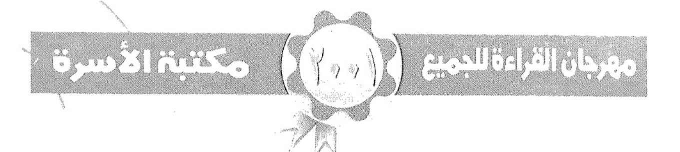
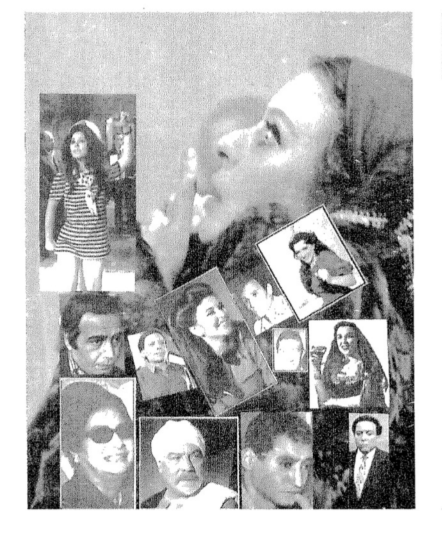


يوسف معاطى

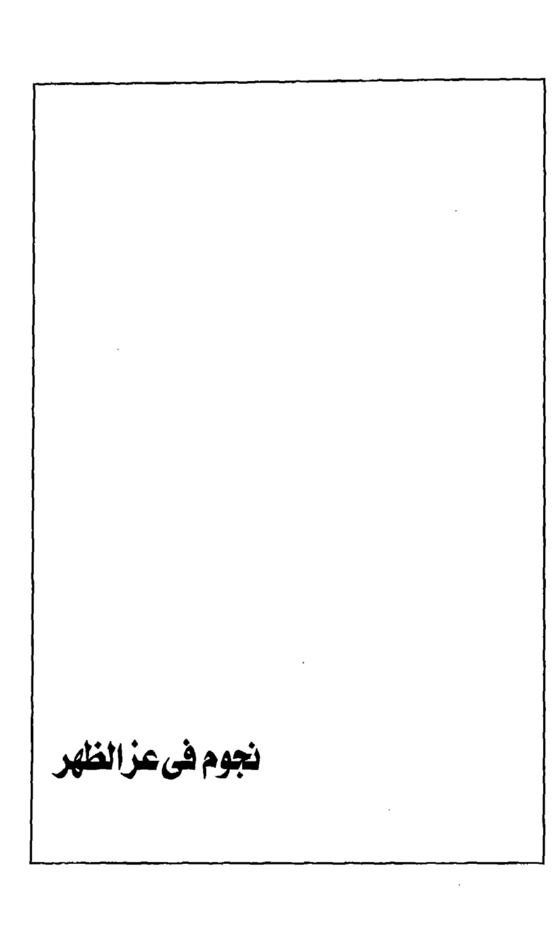
نجوم فى عز الظهر

الأعمال الخاصة





الهيئة المصرية
العامة للكتاب


نجوم فى عز الظهر

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: شخصيات فنية

التقنية: تصوير فوتغرافى وكولاج

المقاس: ٢١×٣٢سم

فى اللوحة المنشورة على الغلاف صورة للفنانة سعاد حسنى تغطى مساحة اللوحة بكاملها، بالإضافة إلى عدة صور أخرى لها فى التمثيلية التليفزيونية الواحدة «هى وهو» تأليف: سناء البيسى وأشعار صلاح جاهين، وصورة شخصية مع صورة من فيلم «خلى بالك من زوزو» عند غنائها لأغنية «ياواد يا تقيل»، وتضم اللوحة صور لكل من السيدة كوكب الشرق أم كلثوم، وعندليب الغناء العربى عبدالحليم حافظ، وصاحبة الصوت النحاسى الفنانة ليلى مراد، وشقيقها الملحن منير مراد، إلى جانب وحش الشاشة المصرية فريد شوقى، المتميز فى السينما والمسرح والتليفزيون كمال حسين، والشاعر الكبير عبد الرحمن الأبنودى

محمود الهندى

نجوم فى عز الظهر

يوسف معاطى

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الخاصة)

نجوم فى عز الظهر

يوسف معاطى

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

المشرف العام :

د. سمير سرحـــان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة الإدارة المحلية

وزار ة الشـبـاب

التنفيذ : هيئة الكتاب

المقـدمـــة

أكثر من عنوان.. وضعته لهذا الكتاب.. ولم أرض عنها جميعًا.. فكل عنوان إخترته.. كان دائمًا ينقصه شيء ما.. فهذا عنوان «جاد» أكثر من اللازم وهذا عنوان «خفيف».. وهذا عنوان مناسب للكتاب.. ولكنه ليس مناسبًا لى أنا فالقارئ حينما يتعود على نوعية معينة من العناوين لكاتب ما.. يصبح شريكًا له فى وضع العنوان ولا يقبل منه أن يفتح سكة جديدة أو يأخذ منهجًا آخر..

وحيرتى فى اختيار العنوان نابعه أساسًا من أننى أنهيت الكتاب أولاً وبدأت بعدها أفكر فى العنوان.. والحقيقة أن هذا الكتاب لم يكن كتابًا من أصله.. ولم أكتبه (خبط لزق) وراء بعضه.. وإنما كتبته فى أكثر من عشر سنوات.. لم أتفرغ فيها طبعًا لكتابته وإنما.. كان يأتى هكذا من تلقاء نفسه.. حينما كان يتملكنى -فجأة- هذا الغرام الغريب بشخصية ما.. فنية.. أدبية.. فأجد نفسى باللاوعى.. اكتب عنها تلقاء أخرج طاقة الحب المفاجئة هذه على الورق.. وهذه الشخصيات التى ستجدها فى الكتاب لا رابط بينها.. ولا توجد أدنى علاقة بينها سوى شيء واحد.. أنهم.. ناس بحبهم.. وكما يقول توماس كارليل.. أن التاريخ ليس أحداثًا ووقائع.. أنه مجرد سير لبعض الشخصيات المؤثرة.. وعليه

فقد -فكرت- فى أن أجمع كل هؤلاء الناس الذين أحبهم بين دفتى كتاب.. ربما ليعرف القارئ لماذا أحبهم.. وربما لألفت نظره.. كيف يحبهم هو أيضاً من زاوية جديدة.. وربما لأن كثير من الكتابات التى تتعرض للشخصيات هذه الأيام مليئة بالكراهية والهجوم والنقد الجارح.. وهى كتابات رائجة.. مؤيدة لمشروع الحقد القومى فأردت أن أقيس مدى إقبال الناس على كتابات عن ناس بحبهم.. متحدياً صديقى الأديب الذى قال لى.. أن عنوان «ناس بحبهم» عنوان فاشل تجارياً.. وإذا أردت للكتاب أن يمشى.. اجعل عنوانه «ناس بحبهم وناس باكرههم».. أن هذا يجعله «حراقًا» ولكننى حينما استعرضت كل كتاباتى لسنوات طويلة.. اكتشفت أننى لم أكتب حرفًا واحداً عن شخص أكرهه .

وفكرة الكتابة عمن نحب.. فكرة قديمة بل وأصيله فى التاريخ الإنسانى كله.. فالحب هو حاجة كده تطبق على نفسك وتجعلك فى حالة ليس لها تفسير.. مبسوط.. قلقان.. مبهور.. زعلان.. مش على بعضك.. ولكن شيئًا ما بداخلك يظل يزن على ودانك.. قل.. تكلم.. عبر عما بداخلك.. ولذا أنا لا أومن بالحب فى صمت بل أننى اعتبر أن ثلاث أرباع الحب هو قدرتنا على التعبير عنه والبوح به فهل نحب الله صامتين؟! أم نرفع ايدينا بالصلاة ونقول الله أكبر.. وحينما نحب شخصًا ما.. فإن هذا الحب لا يتجلى ولا يصبح ملموسًا إلا إذا تحول إلى كلام.. إن أقسى حكم على عاشق

من العشاق.. هو ذلك الحكم الجاهلى بالا يتغزل الحبيب فى حبيبته.. وإلا حرم منها إلى الأبد.. وبرغم ذلك.. فلم يستطع عاشق واحد أن ينفذ الحكم.. كلهم قالوا.. صرخوا.. وأنا أيضًا لا استطيع أن اسكت.. فأنت إذا كرهت أحداً.. تستطيع أن تقول منه لله.. وتسكت وتنسى الأمر برمته.. ولكنك إذا احببت أحداً وكتمت هذا الحب يبأه منك لله لإنك حرمت نفسك من متعة أن تحب.. وحرمته من سعادة أن يشعرانك تحبه وظللت هكذا.. لما أحب.. أقول علطول.. يأتينى طيف سعاد حسنى.. فأقوم واكتب عنها.. افتكر رشدى أباظة.. لا أصبر.. اكتب عنه.. اتذكر إحسان عبدالقدوس.. الريحانى.. ليلى مراد.. يوسف وهبى.. ولا استطيع أن أغلق فمى أو أمنع قلمى.. وما الحياة إلا ناس نحبهم.. ونتذكرهم.. ولذا قلت لصديقى الذى أضاف لعنوان الكتاب.. وناس باكرههم.. لا يا عزيزى الكراهية ليست فى حاجة إلى دعاية وإعلانات.. ان سوق الكراهية شغال لوحده..

وكان الاسم الثانى للكتاب.. (ملوك على عرش الفن).. وهو عنوان مقال لى بداخل الكتاب.. وكنت أرى فيه أن دولة السياسة زائلة.. وعروش الملوك ذاهبه.. ولكن تبقى عروش المبدعين خالدة أبداً.. والفكرة نفسها أنا أؤيدها جداً.. ولكن يظل العنوان.. محفلطًا كلاسيكيًا مرتديًا بدله وكراڤاته. فخمًا بلا داعى... ملوك قال!! وعرش!! والفن!!.. كلام كبير

ومجعلص.. والحكاية بسيطة بساطة متناهية فالكتاب ليس به أسرار خطيرة ولا جاسوسية ولا مخابرات ولا قصص زواج وطلاق.. الكتاب عن ناس بحبهم.. وبس..

ولكن أحدهم قال لي.. هل كتبت عن فلان؟ قلت له لأ.. وأردف متسائلاً.. وفلانة.. هل نسيتها؟.. قلت له.. آه.. للأسف.. قال.. وهل تحبهم.. قلت له جداً.. ولكنني لا استطيع أن أضمن كتابي كل من أحبهم.. هذا يا صديقي مشروع موسوعة..

قال لي: إذن أنت ظلمت من تحب بدون أن تدري.. ووجدت كلامه منطقيًا إلى حد كبير.. ووجدت نفسي أعمل مثل ضيوف البرامج التليفزيونية وأنا أشكر القائمين على عمل ما.. ثم أقول.. يارب أكون مانسيتش حد.. وأخيراً.. وجدت عنوان الكتاب حينما أدركت أن هؤلاء الذين تكلمت عنهم.. بلا ترتيب وبلا رابط.. وبلا خطة.. بعض الذين أحبهم وليسوا كلهم وإنما هم وش القفص.. اللى طلع فى أيدى إنما القفص لايزال عامراً.. بآخرين... أحبهم جداً.. (وش القفص).. ليكن هذا هو العنوان.. ولكن.. وآه من ولكن هذه.. أليس العنوان به استسهال!؟ وش القفص؟! ربما تناسب سوق الخضار أو سوق الفاكهة.. أما سوق الإبداع والفن ألا يحتاج منى أن اتعب نفسى أكثر.. هل اسمى الكتاب مثلاً.. أهل المحبة.. والله مش وحش ما رأيكم.. ولكنه يشبه عنوان

ما قرأته قبل ذلك.. يذكرنى بعطر الأحباب.. و.. و.. وبعدين.. ما رأيكم فى (ياللى بدعتوا الفنون...) أنها تقدمه حقيقية هؤلاء المبدعين الذين هم نجوم . هذا الكتاب..فالشىء الذى جـمع بينهم هنا.. هو الابداع وتلك هى حلقـة الوصل الوحيدة.. ولكن.. مالى.. اجرى وراء الأغانى الشهيرة.. وأغتصبها هكذا كما يعملون فى عناوين أفلام هذه الأيام.. وأضعها عنوانًا لكتابى..

وهكذا ظللت طول الليل.. ابحث عن عنوان.. وطلع الفجر.. وملأت الشمس بضوءها الذهبى حجرتى المليئة بأوراق كلها عناوين.. لم تعجبنى ..

ونظرت إلى النجوم الذين اتعبونى من منتصف الليل.. حتى الظهيرة فى اليوم التالى.. باحثًا عن عنوان يجمعهم.. فلم أجد.. غير هذا.. نجوم فى عز الضهر فإذا كان عنوانًا.. مجرد عنوان.. قد أرهقنى كل هذا الإرهاق.. فما بالكم فيما تكبده هؤلاء النجوم والمبدعين الكبار من جهد ومشقة لكى يصلوا إلى القمم التى وصلوا إليها؟! حتى صاروا بهذا البريق وهذا اللمعان وهذا الأثر.. اختفت يا اعزائى كل نجوم الليل.. ولم يبق أمامى.. سوى نجوم تلمع وتتلألأ.. أمامى.. فى عز الضهر.

يوسف معاطى

ملوك على عرش الفن

كلنا يذكره .. كلنا يعرفه جيداً .. ربما ضاع الاسم.. أو محته السنون.. ولكنه بملامحه.. بأثره موجود.. بل إن حضوره أقوى بكثير من أسماء أخرى، ملء الأسماع والأبصار.. اسمه عبد العزيز خليل ..

اصبر قليلاً عزيزى القارئ.. استنى شوية.. لا تتساءل هكذا علطول.. ومن عبد العزيز خليل هذا .. إنه الشرير الخرافى العبقرى فى فيلم العزيمة.. إنه الممثل المهول فى خاتم سليمان.. إنه الرجل الذى كان يمثل بعينيه.. وبكل خلجة من خلجات نفسه.. وهذا الرجل بالمناسبة كان بطلاً.. وأستاذاً فى الثلاثينات.. وذات ليلة كان على خشبة المسرح يؤدى دور محمد على باشا .. جلس فى غرفته بالمسرح.. المصيبة صارت مصيبتين.. المصيبة الأولى الشخصية التى يؤديها .. محمد على باشا!!! إنه يضع الذقن البيضاء الكثيفة.. وينظر فى المرآة.. ليدخل فى إهاب الشخصية ليتقمصها بعد وضع الملابس والماكياج سيخرج من غرفته بالمسرح متجهاً إلى الخشبة.. وقد ترك عبد العزيز خليل فى الأوضة وأصبح هو شخصياً محمد على باشا .. المصيبة الثانية.. من الذى يشاهد العرض هذه الليلة؟ الملك فؤاد..

ربنا يعدى الليلا دى على خير.. وفتح الستار.. والملك جالس فى البنوار.. يشاهد العرض فى ضيق.. فلم يكن يحب المسرح والكلام الفاضى ده.. وفجأة.. طلع محمد على باشا على صهوة حصانه.. وانحنى كل من على الخشبة.. ونظر الملك فؤاد وهو لا يكاد يصدق عينيه.. إن جده العظيم قد تجسد له بشحمه ولحمه ونظرته الرهيبة.. وبحركة لا إرادية.. قام الملك ووقف احتراماً لجده الباشا.. وهل تعلمون يا أعزائى.. معنى أن يقوم ملك ويقف.. قامت الصالة كلها طبعًا والمسرح كله هب واقفًا.. ومرت فترة صمت رهيبة.. الكل فيها واقف فى رعب.. ولم ينقذ الموقف سوى إشارة من يدى عبد العزيز خليل.. كأنه هو الباشا نفسه.. يسمح للملك بالجلوس بكل عظمة.. وكل فخامة.. يا لعظمة الفن.. إن به لسحرا ومغناطيسية.. بعد العرض.. كان الباشا «عبد العزيز خليل» جالسًا على مقهى فى عماد الدين هو وزملاؤه وقد فردوا ورقة بها بعض من أقراص الطعمية والباذنجان المخلل.. والعيش السخن.. وكان هذا الممثل الجبار الذى أجلس الملك فؤاد بإشارة من يده.. قد بح صوته لينادى القهوجى.. شوية مية يا بنى.. اللقمة واقفة فى زورى.. الفن أبقى من السياسة.. هذه حقيقة.. فقد استطاعت الثورة أن تمحو اسم وصورة الملك فاروق من كل مكان.. واستطاعت أن تلغى من الوجود أسماء وكوادر سياسية مهمة عاشت

فى الحياة السياسية قبل الثورة.. ولكنها الثورة - يعنى - لم تحاول أن تمس حزب الفن بل ساندته وعضدته فقد يتقبل الناس أن تكشط صورة الملك فاروق من الفيلم وعبد الوهاب يغنى أمامها «وكل ده وأنت مش دارى يا ناسينى وأنا جنبك» ولكن هل يتقبل الناس أن تكشط صورة عبد الوهاب.. لا يمكن.

وحينما قامت الثورة .. سمع الناس صوت الوليد الفنى الجديد وهو يقول واء .. واء .. إنه عبد الحليم ابن الثورة الشرعى وأول بختها .. وبكريتها .. فأحاطته الثورة بذراعيها.. وكبر الوليد.. كبر جداً.. كان صوت الثورة والوطنية .. وصوت العالم العربى كله.. وكان جمال عبد الناصر هو موضوع الأغنية .. أحلف بسماها وبترابها .. أحلف بدروبها وأبوابها .. ما تغيب الشمس العربية .. طول ما أنا عايش فوق الدنيا.. من هذا الذى يحلف بسماها وبترابها.. هل هذا صوت عبد الحليم.. إنه صوت عبد الناصر.. قلنا ح نبنى وأدى احنا بنينا السد العالى .. إنه كلام عبد الناصر .. كل أغانيه الوطنية .. كانت شيئًا ما من جمال عبد الناصر .. ورحل الزعيم .. وتغيرت الدراما.. لم يعد هو البطل.. وانتصرنا فى أكتوبر.. وعبرنا القناة.. وكان يجب على العندليب أن يقول شيئًا.. السكات هنا له معانى تودى فى داهية.. وغنى.. أغنية باهتة.. ضعيفة.. يقول

فيها.. عاش اللى قال للرجال عدوا القنال.. عاشوا العرب اللى فى ليلة أصبحوا ملايين تحارب.. أغنية ليست فيها حماسته.. وعنفوانه.. وثورته.. وزار السادات القدس.. وخسر العرب على مائدة السياسة ولم تعد «القومية العربية» تصلح كوبليهًا فى أغنية وتغيرت المسرحية تغيرًا كبيرًا.. وارتبك الراوى العبقرى عبد الحليم حافظ.. صار النص الذى معه.. نصًا قديمًا لا يتلاءم مع المرحلة.. فانسحب فى هدوء.. ومات..

الملوك يا أعزائى.. يروحون ويجيئون.. ربما سكنوا كتب التاريخ.. وربما نسيهم التاريخ أحيانًا إلا مملكة الفنان.. فهى باقية خالدة.. لأنها مملكة من القلوب.. فريد شوقى كان ملكًا حقيقيًا.. ملكًا للطبقات الشعبية.. أطلقوا عليه أيامها ملك الترسو.. ورشدى أباظة كان إمبراطورًا لقلوب النساء والرجال معًا.. وفاتن حمامة كانت ملكة على عرش البراءة والصدق.. وسعاد حسنى.. كانت السندريللا.. أميرة على عرش السينما المصرية.. وكل عمل فنى يذاع لهم.. هو دورة انتخابية جديدة يعاد فيها انتخابهم بالإجماع.. ولا تزال تشغل ذهنى حكاية ذلك الملك الذى أراد أن يعرف كل شىء.. فأرسل فى طلب العلماء والمثقفين.. أريد أن أصبح عالمًا فى الكيمياء.. وينصاع الجميع للأمر الملكى.. ويتعلم.. أريد أن أصبح عالمًا فى الفيزياء.. ويفعلها.. والهندسة..

والفلك والطب وكل العلوم.. إلى أن أتى له شاعر فنان كبير إلى البلاط وأمره الملك أن يعلمه الشعر.. فابتسم الشاعر وقال.. إلا الشعر يا مولاى.. إنها إجابة حادة وصريحة ومؤلمة.. أنت تستطيع أن تتعلم كل شىء.. إلا الفن.. ما أسهل أن تكون ملكًا.. ولكن ما أصعب أن تكتب أغنية.. وفى مراجعة بسيطة للصحف والمجلات قبل الثورة وبعدها.. وجدت أن الصحف نفسها التى كانت تبجل الملك وتنهال عليه بالأوصاف الثنية وتمدح فى جلالته.. انقلبت عليه بعد عدد واحد من الصحيفة وصارت تنعته بأسوأ الألفاظ.. الملك نفسه الكريم المؤمن المعطاء الوطنى.. هو هو نفس الملك البخيل الفاسد.. الفاجر.. الخائن لوطنه.. ولكنهم لم يغيروا رأيهم فى يوسف وهبى ولا فى ليلى مراد ولا فى عبد الوهاب.. فيا للمفارقة الغريبة.. مع سقوط عرش الملك لم تتحرك عروش هؤلاء.. ولم تهتز.. إنها أكثر ثباتًا بكثير.. ومقابرنا الفرعونية عملها أجدادنا الفراعنة كى يخلدوا أنفسهم.. ونجحوا فى ذلك.. ولكن هل تعرف من الذى كتب لهم الخلود.. إنه الفنان الذى رسم هذه النقوش على هذه الجدران، ونحت هذه التماثيل البديعة.. صدقنى يا عزيزى.. الفن هو الذى يخلد السياسة.. قد يزول العرش والتاج والصولجان.. ولكن تبقى الريشة والدواة.. والقلم.. والعود أيضًا.



الست دى . . أم كلثوم



أعترف أننى لم أكن أحب أم كلثوم وليس اعترافى هذا على سبيل التباهى أو التفاخر كما يحلو للبعض أن يأخذ موقفًا من الرموز ولكن اسمحوا لى أن أكمل الجملة.. لم أكن أحبها حقًا وأنا طفل.. لم يبلغ السابعة بعد.. كنت أنظر إليها بزهق وهى تغنى الساعات الطوال.. ولم أكن أجد مبررًا لأن يتجاهلنى كل أفراد الأسرة الكبار ومنهم أبى الذى كان يعتبرنى دلوعته.. ويجلسون أمامها متسمرين كالتماثيل.. وباءت كل محاولاتى لجذب انتباههم بالفشل الذريع.. فكانت أغنية أم كلثوم هى ساعات الهجر والتبرؤ منى كطفل لا يسعده بالطبع أنه كلما فعل أى شىء.. لا يجد سوى.. ششت.. اسكت يا يوسف اقعد هادى كده واسمع.. ماذا أسمع؟!! (وفيت وفى بعض الوفاء مذلة لفاتنة فى الحى شيمتها الغدر).. ماذا يعنى هذا؟! ثم تعود وتكررها.. مرة..

واثنتين وعشر مرات قلت لأبى مغتاظًا.. إنها لا تغنى سوى جملة واحدة.. إنها لا تأتى بجديد أجاب أبى وهو يخبطنى على يدى.. ششت اسكت واسمع.. غداً ستكبر وتحبها.. وظلت أم كلثوم بالنسبة لى مؤجلة إلى أن أكبر.. ويبدو أن أم كلثوم لكى تحبها بالفعل يجب أن تكبر ولا أعنى هنا أن تكبر فى السن فقط.. ولكن يجب أن تنضج مشاعرك.. يجب أن ترقى حواسك.. وكان جمهور أم كلثوم شريكًا فى عظمة أم كلثوم.. فكان جزءًا من الكورس.. أو بتعبير أدق جزءًا من الأغنية.. فهو يطلب إعادة أبيات معينة وكوبليهات معينة بنفسه لتتكامل السيمفونية.. كالمايسترو الذى يقود الفرقة.. وكانت كلمة «أعد» كما كانوا ينطقوها بالفصحى لتتناسب مع جلال الموقف.. ولم يقولوا.. عيدى مثلاً أو كمان مرة يا ثومة وفجأة تنقلب الليلة الكلثومية إلى حلقة ذكر.. الكل يقول الله.. الله.. الله.. وأطلقوا عليها الست.. وهو لقب عجيب فى الحقيقة وفريد من نوعه.. وكأننا جميعًا كجمهور فى خدمتها.. وفى خدمة إبداعها النسيج وحده.. وهذه حقيقة.. ألسنا شركاء الست فى روعة الليلة الساحرة؟! أنا أعتبر الست هى ثانى قنبلة أطلقت فى القرن العشرين لتصنع للمرأة كيانًا ضخمًا بعد كتاب قاسم أمين فى تحرير المرأة..

لم يقل لها أحد مدام أم كلثوم ربما غير الرجل الفرنسى الذى قدمها فى مسرح الأوليمبياد بباريس.. وكان وقعها على الأذن غريبًا.. مدام إيه.. إنها الست.. وفى تحليلى لهذا الرجل الذى هب واقفًا فجأة من فرط انفعاله.. وصرخ غير متمالك لحواسه.. عظمة على عظمة يا ست لم يقل أنها عظيمة فهذا عادى.. إنها العظمة نفسها.. وليست عظمة واحدة.. بل أكثر من ذلك.. وظلت جملة أبى فى أذنى.. ستحبها حين تكبر.. وكبرت ورحل أبى يرحمه الله.. وعاشت أم كلثوم لتنفذ الوصية.. وبدأت أتسمر أمامها كما كان الكبار يفعلون.. وفى كل إعادة أنتشى طربًا وأسخر من طفولتى.. (كنت باشتاقلك وأنا وأنت هنا بينى وبينك خطوتين) تقولها كم مرة.. عشرات المرات بل قطعت طريق الاسماعيلية الصحراوى كله بالسيارة فى خطوتين من الشوق للست لم تكن قد قطعتهما بعد.. وحينما قالت لى الفتاة العصرية.. معقولة أقعد ساعتين اسمع أغنية.. دماغك يابا.. قلت لها مثلما قال أبى حينما تكبرين ستحبينها قالت فى غيظ أنا عندى خمسة وعشرين سنة قلت لها.. قد تكبرين غدًا أو بعد غد.. وبعد شهور قليلة ضبطتها متلبسة فى سيارتها.. كانت تسمع (ابتديت دلوقت بس أحب

عمرى.. ابتديت دلوقت أخاف للعمر يجرى) كان فى يدها دبلة وفى عينيها نظرة مختلفة.. وعلمت أنها كبرت.. واندهشت.. لماذا لم تلجأ إلى أمها هى تبثها مشاعرها الجديدة.. ولجأت إلى أم كلثوم.. ومالى أندهش.. أنا أيضًا لجأت إليها..

وحدث أننى عملت حديثًا تليفزيونيًا مع الدكتور الحفناوى ابن زوج أم كلثوم فى برنامج «الست دى أمى» كنت أريده أن يقارن بين أمه وبين زوجة أبيه الأسطورة.. وكانت ورطة بلا شك.. فهو شديد الحب لأم كلثوم التى كانت هى مستشاره الوحيد فى القرارات المصيرية فى حياته كما أنه شديد الارتباط بأمه بالطبع.. وظللت أحاصره بأسئلتى.. إلى أن قال فى النهاية.. الست دى أمى.. كان يعنى أمه ولكن بسرعة قال.. وأم كلثوم هى أيضًا أمى.

نعود لحكاية العلاقة الطردية بين زيادة نضجنا ورهافة حسنا وزيادة عشقنا لأم كلثوم كنت قد انفكت عقدتى وكبرت وحدث هذا فى سن مبكرة وأحببت أغنياتها العاطفية لدرجة الجنون ولكن ظل بينى وبين قصائدها شىء ما.. فأنا أحب أن أنظر إلى القصيدة مكتوبة أتأمل الأبيات بتمعن.. وأسرح معها.. هكذا بلا موسيقى ولا غناء.. ولا دوشة.. باختصار

كنت كلما أسمع الست تشدو بإحدى القصائد.. أتلخم.. أفقد تركيزى.. ذهبت إلى طبيب متخصص فى أغنيات أم كلثوم.. فكتب لى روشتة بها دواء واحد.. اسمع الأطلال.. وكان الشفاء على يديه.. وكأن الأطلال هى التى جذبتنى مسحوراً إلى ثورة الشك وهذه ليلتى.. وغيرها من القصائد الرائعة التى أصبحت أتناولها بسهولة ويسر واكتشفت أيضًا أننى كبرت قليلاً كما قال أبى حتى عن مرحلة الأغنيات العاطفية بل وصرت أتكلم مع الآخرين بطريقة غريبة لا تتناسب مع روح العصر.. من فضلك إذا سمحت واللهى.. أنا ممنون جداً.. وصرت أتكلم بأدب يضايق فى الحقيقة كما تعلمت من الست أن أسمع.. فهى التى قسمت الناس إلى صنفين.. سميعة.. وغير سميعة وفى السمع حالة من الحضارة والهدوء والاختزان والشبع الإنسانى وهى أيضًا التى جعلتنى حينما أعطى أذنى لأحد.. أعطى له قلبى فوق البيعة.. فصار قلبى فى أذنى ولذا.. حينما حضرت حفلاً غنائيًا صاخبًا ذات ليلة ولاحظ المحيطون بى عدم تجاوبى وانعزالى.. أدركت أننى كبرت جداً وأن قلبى لم يعد فى أذنى .

نوادر أم كلثوم

لا توجد عبقرية فى الدنيا تفتقد إلى خفة الدم.. لا يمكن.. مهما كانت هذه العبقرية.. جادة.. رصينة.. أدبية.. علمية.. الكترونية.. لا بد وأن يشملها شيء من الهلس.. والصياعة على خفيف.. فهل يمكن أن يكون إينشتين مكتشف النسبية ومعجزة القرن العشرين دمه تقيل!! لا يمكن.. والعقاد هذا الكاتب الجبار.. صاحب الصوت الجهوري والمعاني الفخمة.. والعقل الداهية.. ومع ذلك كلنا يعلم أنه كانت له نوادر وردود غاية في الظرف واللطافة.. هو نفسه كتبها دون أن يشعر حينما ألف روايته الوحيدة «سارة» وهنا أنا لا أتكلم عن العباقرة المشهورين بكتاباتهم الكوميدية.. مثل برنارد شو.. وموليير والمازنى.. ومحمد عفيفى.. والسعدنى وأحمد رجب.. فهى شغلتهم وأكل عيشهم بل ربما كان هؤلاء فى الحقيقة أكثر رزالة بكثير مما نتصورهم ويبدون لنا فى حقيقتهم فى حكاية خفة الدم هذه أقل بكثير مما نظن.. وأم كلثوم هى إحدى هذه العبقريات التى كانت تتميز بخفة دم بصورة ليس لها نظير برغم الآهات والأطلال والهجر والحرمان.. وهذه الصفة برغم أن الأستاذ المبدع محفوظ عبد الرحمن أشار إليها كثيراً بل ودعمها كثيراً.. إلا أنها تصلح موضوعاً منفصلاً.. اسمه

«نوادر أم كلثوم».. ويحكى أن فلاحة من أهالى الدقهلية جاءت وطلبت مقابلة بلديتها الأنسة أم كلثوم وقالت لها .. إنها تريدها فى خدمة بسيطة وسألتها أم كلثوم ما هى الخدمة البسيطة فقالت الفلاحة .. أن تكلمى الملك وتتوسطى عنده فى مسألة بسيطة.. فقالت أم كلثوم وما هى المسألة البسيطة؟ قالت الفلاحة أن يسامح ابنى فسألتها أم كلثوم.. بسيطة يسامحه.. بس من إيه.. قالت إنه حكم عليه بالإعدام فسألتها أم كلثوم.. بسيطة هوه عمل إيه فقالت الفلاحة حاجة بسيطة قتل واحد.. فقالت أم كلثوم بسيطة ومن هو الواحد؟ فقالت الفلاحة أبوه.. يعنى ما جتلش حد غريب.. فقالت أم كلثوم.. لا بسيطة خالص.

وتنتهى الحكاية عند هذا ولكن حينما تسمعها تشعر بمغزاها على الفور حينما تلحظ استدراج أم كلثوم للفلاحة.. وملاحقتها لها بالأسئلة بطريقة تبدو جادة.. ولكنها لا تخلو من البسمة والنأورة برضه.. فهى من البداية واضح أنها لن تكلم لها الملك.. ولكنها مستمرة.. لا لشىء.. إلا للإضحاك. وفى موقف آخر ذهبت أم كلثوم إلى عزاء فى أحد الأشخاص وسألت قريبًا له فى حزن: لا حول الله يا رب هو المرحوم كان عنده حاجة.. فقال الرجل باكيًا أبدًا يا ست هو شوية برد اللى جوله.. فقالت أم كلثوم: طيب يا أخى بسيطة.. إيه يعنى شوية برد.. وانفجر الجميع فى الضحك إنها تستطيع بسرعة بديهة رائعة أن تحول المأتم إلى ضحك هستيرى .



هذا الجانب الذى لم أره فى أم كلثوم يثيرنى بشدة.. وأنا العاشق الولهان بالجانب الآخر الذى رأيناه جميعًا وعشناه جميعًا بكل مشاعرنا. كان رامى يغمض عينيه حينما يسمعها ليعيش فى حالة من الوجد والاستغراق التام.. وأنا أفعل ذلك أحيانًا.. ولكننى أحيانًا أخرى أحب أن أفتح عينى وعقلى وأنظر لها بعين جديدة .. فأحبها بطريقة جديدة .

تاريخ الشتيمة فى مصر العظيمة !

فى البيت عندى.. صورة معلقة على الحائط منذ الأربعينات.. صورة المرحوم أبويا.. إذا نظرت إلى الصورة جيداً وحققت فيها لوجدت أنك ترى صورة لعبد الوهاب.. البذلة والمنديل والسوالف والبصة إياها التى أوقعت عذارى الأربعينات والخمسينات فى هواه. وكنت أعتقد أن أبويا تفرد بهذا الشبه بينه وبين عبد الوهاب إلى أن اكتشفت أن جيل أبويا كله كان عنده نفس الصورة. نفس الملامح.. نفس البصة.. وبالتالى لم تكن الحكاية حكاية شبه وإنما هى حالة من التقمص النابع من جنون الإعجاب بعبد الوهاب .

وبرغم أن موسيقار الأجيال نال من التكريم فى حياته ما لم ينله فنان فهو الدكتور واللواء وموسيقار الأجيال.. والرائد.. وألقاب أخرى كثيرة.. برغم كل هذا.. هل تتصور يا عزيزى القارئ أن هناك من شتموا عبد الوهاب.. وجعلوا الرجل يقضى ليالى طويلة يأكل فى أظافره من الغيظ .

عبد الوهاب واكلها والعة :

فى مايو عام ١٩٥٦كتب أحد النقاد فى مجلة آخر ساعة.. مقالاً بعنوان مرسيدس عبد الوهاب يقول.. هل خطر فى بالك وأنت تستقل أحد التاكسيات فى مدينة

القاهرة.. من يكون صاحب هذا التاكسى.. إنك إذا ركبت تاكسيا من نوع المرسيدس فاعلم أن النقود التى يسجلها عداد التاكسى سوف يدخل جزء كبير منها إلى جيب المليونير الأصلع الذكى فعبد الوهاب يملك مجموعة كبيرة من التاكسيات المرسيدس التى تجوب أنحاء القاهرة.. وعبد الوهاب لا يكتفى ببناء العمارات وإنما يدخل فى صفقات القطن ويضارب فى البورصة ويربح الألوف وعشرات الألوف.. وفى كل صفقة لا يمد يده فى جيبه أبداً.. وإنما يستطيع بعلاقاته أن يطلب سلفة من البنك لتغطى مشروعه الجديد.. من دقنه وافتل له.

عبد الوهاب . . حرامى

لم ينج من تهمة السرقة الفنية أى مبدع من المبدعين العمالقة.. حتى شكسبير .. [illegible] عنه إنه سرق أعماله من كريستوفر مارلو.. وتهمة السرقة الفنية هى تهمة مغرية لمتعاطى النقد إلى حد كبير فإلى جانب أن فيها استعراضاً لمعرفته فهى قضاء مبرم على طاقات هذا المبدع. كما أنها تشعر الناقد أنه (بُرَمْ) وفتك.. واستطاع أن يقفش ويرفع بصمات المبدع الحقيقى من على عملك الفنى.. ولم تعرف الساحة الفنية قضية أشهر من قضية سرقات عبدالوهاب.



وفى مجلة آخر ساعة عام ١٩٦٢ يقول الدكتور يوسف شوقى تحت عنوان «سرقتان فى أغنية واحدة» وأوضح مثل على عملية ترقيع ألحان الأستاذ محمد عبد الوهاب من أعمال سيد درويش «أغنية مين عذبك» التى تحتوى على جملتين موسيقيتين كاملتين منقولين بالمازورة من الشيخ سيد.. ولقد تعلل أقطاب السرقة الموسيقية بترقية الذوق العربى بالسطو على الألحان الغربية.. فإلى أى شىء كان الأستاذ عبد الوهاب يسعى عندما اتجه إلى سرقة ألحان سيد درويش!!

عبد الوهاب . . ما بيعرفش

بعد أن لحن عبد الوهاب أغنية نبتدى منين الحكاية لعبد الحليم حافظ.. ونجحت الأغنية نجاحًا ساحقًا كتب فى الموعد.. ما هذه الرداءة.. الأغنية أقل من المستوى العادى.. وأنا فى دهشة كيف قبل عبد الحليم أن يغنى مثل هذا اللحن؟!

عبد الوهاب . . خليع . .

دخل المخرج محمد كريم على عبد الوهاب.. وقال له.. اسمع دى.. فكرة جديدة نوفى.. أريد أن نعمل اتجاهًا جديدًا فى تصوير الأغنية.. كفاية جلسات على كراسى والعود فى يدك أو وقوف فى حديقة.. لقد مللت كل ذلك.. قال له عبد الوهاب.. قول يا أستاذ.. قال محمد كريم العبقرى المجنون.. ستقلع هدومك وتجلس فى البانيو.. تستحم.. وتغنى الميه تروى العطشان.. (كان العبقرى يحلم فى الأربعينات بالفيديو كليب بدون أن يشعر) وانزعج عبدالوهاب.. أقلع هدومى؟! معقولة يا محم. ويثور محمد كريم.. ويشد شعره. إنه يريد أن يقنع عبد الوهاب بفكرته.. وتطرأ على رأسه فكرة جهنمية.. مضمونة الأثر عن عبد الوهاب قال له .. جمهورك عنده انطباع عنك إنك رقيق مرهف.. والمرأة تحب القوة.. الفحولة.. الرجولة.. إذا خلعت

هدومك.. أظهرت قوتك فتوتك عضلاتك.. سيتضاعف عدد المعجبات.. واقتنع عبد الوهاب على الفور.. وقلع هدومه وقعد فى البانيو.. وغنى.. الميه تروى العطشان.. وهاجت الصحافة وتدافعت الأقلام.. وكتب أحمد الصاوى محمد يقول: من هذا الخليع الجالس فى البانيو عاريًا.. يا عبد الوهاب ثب إلى رشدك.. أنت صديق أحمد شوقى تصل بك الخلاعة والمجون إلى هذه الدرجة، (لم يكن فى وقتها أى ممثل أو فنان جرؤ على أن يظهر بلا ملابس فى السينما.. وكانت أول لقطة تظهر على الشاشة بهذا الشكل).. وثار عبد الوهاب وذهب إلى محمد كريم وأمسك به من رقبته.. وقال له.. عاجبك كده آدينى قلعت..

ومرت السنوات.. ونسى الناس كل هذا.. ولم يتبق سوى.. الميه تروى العطشان.

ويقول الكاتب الكبير جليل البندارى: إن عبد الوهاب مريض باقتباس النساء والألحان والكرافاتات.

واسألوا إقبال نصار زوجته..

واسألوا بيتهوفن عن لحن أحب عيشة الحرية.

واسألوا محمد التابعى عن كرافاتاته .

عبد الوهاب عينيه زايغة . .

سأل جليل البندارى زوجة عبد الوهاب عن عدد النساء اللاتى غازلهن ففاجأته هى بسؤال كم امرأة تعتقد أن زوجى صافحها بيده فأجاب.. نقول ١٠ آلاف مثلاً فقالت .. يبقى بص للعشرة آلاف.

كان المازنى رحمه الله يهاجم عبد الوهاب فى جلساته الخاصة ويقول إن صدر عبد الوهاب ضيق فهو لا يصلح أن يكون مغنيًا ولكن يصلح أن يكون مريضًا.. وكان المازنى لم يسمع عبد الوهاب بعد..

ولم يكن هجومه على عبد الوهاب سوى تعصب ضد كل ما هو مع شوقى.. حيث كان العقاد والمازنى معسكرًا ضد معسكر شوقى.. ورأى أحد أصدقاء عبد الوهاب أن يحميه من هجوم العقاد والمازنى عليه فأقام حفلة فى داره.. دعا إليها المازنى والعقاد.. وغنى عبد الوهاب فى الحفلة.. وأبدى العقاد إعجابه بصوت عبد الوهاب.. وقال.. إنه لا عيب فيه إلا إعجاب شوقى به..

تنهال المعاول على القمم.. تحاول أن تهدها.. أن تجعلها بسوى التراب.. ولكن الفن الأصيل أيضًا له معاول هو الآخر.. فتظل معاول الهدم مضادات حيوية.. تهد الحيل.. ولكنها تقضى بدون أن تشعر على الفيروس الرهيب الذى اسمه الفشل.

وأنا قلبى دليلى

لم أحلم فى حياتى بحلم أكبر من أن تأخذنى مركبة الزمن الرهيبة وتنزل بى فى تلك الحفلة الأسطورية التى تغنت فيها تلك المرأة الحلم «أنا قلبى دليلى» كانت العصابة فى الحفلة تتنكر فى زى العصابات: فانلات مخططة.. والبوليس فى الحفلة يتنكر فى زى البوليس حتى لا ينكشف.. وبرغم سذاجة كل هذا إلا أنك تنساه. لا تأخذ بالك منه . لأن بالحفلة امرأة جوهرة.. حولت الليلة وهى تشدو فيها «أنا قلبى دليلى» إلى حالة من الجمال.. تلك هى ليلى مراد.. الحلم الرائع الذى أصر على أن يصبح حلماً إلى النهاية.. كان الحلم قد وصل إلى أحلى لحظاته.. وكانت هى فتاة الأحلام وأغلى وأشهر وأجمل وجه ظهر فى السينما على الإطلاق.. وفجأة نظرت ليلى مراد فى المرآة فخيل إليها أن تجعيدة ظهرت أعلى خدها الأيمن.. أو أن أسفل عينيها بدأ ينفذ تعليمات الزمن.. هنا دخلت ليلى مراد إلى حجرتها ولم تخرج منها.. أعطتنا أجمل ما عندها واكتفت.. ولم تبحث بعد ذلك عن «سبوبة» تستثمر بها تاريخها الرائع.. فى فيلم غزل البنات كان دورها أن توهم الأستاذ حمام بأنها تحبه وتلعب عليه وتستغل مشاعر الرجل حتى يصل بها إلى الكباريه حيث حبيب القلب (المليجى) وفجأة ترتبط بأول ضابط تراه فى السكة

(أنور وجدى طبعًا) لو عرض هذا الدور على أى ممثلة الآن لقالت على الفور.. لا يا أستاذ ده الناس تكرهنى.. وعلى طول تتعاطف مع الأستاذ حمام ده.. لكننا برغم تعاطفنا الشديد مع العظيم الريحانى.. إلا أننا لم نستطع أن نكره ليلى مراد.. بل أحببناها.. غفرنا لها كل شىء.. قلنا بنت شقية ومن حقها تحب.. بصراحة الريحانى كبير عليها.. وفى فيلم حبيب الروح تركت زوجها الميكانيكى (أنور وجدى برضه) لتذهب مع يوسف بك وهبى إلى عالم الفن والطرب وخربت البيت ومع ذلك تعاطفنا معها وقلنا مظلومة.. الحكاية ليست حكاية دور.. إنه العقد الذى بين الممثل والجمهور.. والذى وقعه لها الجمهور على بياض ومن أول لحظة .

وليلى مراد هى أول من استطاعت أن تربط بين الحب والجمال فى أذهاننا.. وتقابل حسين صدقى «فى شاطئ الغرام» وتجلس على الصخرة تغنى للطبيعة بحب اتنين سوا يا هنايا فى حبهم ويدخل حسين صدقى ومعه محسن سرحان.. فأقول لنفسى معقولة بتحب الاتنين ولكنها تكمل.. الميه والهوا طول عمرى جنبهم.. كان المخرجون أيامها يحبون ليلى مراد وكان الناس أيامها يحبون ليلى مراد ولذا كان هناك نوع من الجمال فى كل شىء.. لم تكن التيارات الواقعية قد ولدت بعد.. فلا كان المخرج يصور صرصارًا يدخل بلاعة.. ولا فأرًا يخرج من تحت السرير.. ولماذا يفعل ذلك.. عنده ليلى مراد..

استمعت إلى أغنية لها.. وأخذت أتعجب.. كيف استطاعت أن تغنى هذا الكلام.. تقول الأغنية.. (مين النهاردة فى الدنيا أسعد منى إدانى وردة خلاص يا روحى اتهنى..) ما هذه القناعة وما هذه القيم والأخلاق.. وردة أعطاها لها الحبيب.. كفاية.. حياء وخجل ورضا بالقليل..

كان هذا ينضح من فن ليلى مراد.. والفيديو كليب الوحيد الذى عملته ليلى مراد كان فى أغنية اتمخطرى واتمايلى يا خيل.. كانت تركب حصانًا وخلفها البنات خجولة وهى تغنى لدرجة أنها لا تفتح فمها ولذا ترى دائمًا أسنانها البيضاء المتلألئة على الخد المشوب بحمرة الكسوف.. (برغم عدم وجود الألوان فى هذه الأيام).

وتظل حلمًا.. تصر على أن تبقى حلمًا.. حتى فى رحيلها.. انتهزت فرصة الزحام والضجيج وانسحبت فى هدوء.. الزلزال.. والانتخابات.. ومهرجان السينما.. فى هذا المولد.. وسط الأزمات والإحباطات.. يخيل لى أن صوتها المعجزة ينساب إلى أذنى.. يتسلل منها.. ويقول.. ما ليش أمل فى الدنيا دى غير إنى أشوفك متهنى.. فأرد عليها بصوتى الوحش وأقول.. يا حبيبة الروح فين أيامك.

أنا مطرب عن الغناء

لم أحاول فى حياتى أن أصبح مطربًا.. فأمكانياتى الصوتية لا تؤهلنى لذلك وإمكانيات الجمهور السمعية لا تؤهله لذلك وكنت أرى المطربين وهم يغنون وعروقهم ناطة فى رقابيهم.. ونفسهم يكاد ينقطع .. كل هذا والمطرب لا يقول إلا كلمة واحدة.. يااااااا حبيبى.. من أول (يا) يغنيها المطرب أدرك استحالة أن أصبح مطربًا لأننى لو جربت مرة واحدة وعملت زيهم.. سأغنى يااااا.. وسأفقد النطق بعدها مباشرة لتتحول أوراقى من نقابة الموسيقيين إلى معهد الصم والبكم أو إلى برنامج من غير كلام.

ورغم كل هذا ظلت رغبتى فى الغناء تروح وتجىء مثل الخايلة الكدابة.. فالمطرب اللهم لا حسد يعنى يحصل على كل شىء.. الشهرة والمال وأغلفة المجلات وإعجاب البنات.. والكاتب اللهم لا شماتة يعنى انتوا عارفين!! برغم أننى ككاتب كثيرًا ما أحصل على تعاطف القراء فيرسل بعضهم مطالبًا برفع أجرى اثنين جنيه وربع لمواجهة الظروف الاقتصادية الصعبة.. كتر خيره برضه.. ولكن رغم كل هذه المعوقات التى فى طريقى لأصبح مطربًا معروفًا.. إلا أن

واحداً فقط فى هذه الدنيا هو الذى كبر الفكرة فى رأسى العندليب.. ولماذا العندليب.. لأنه يغنى ببساطة شديدة ويسهولة تجعلك تشعر أن أسهل حاجة فى الدنيا هى الغناء.. وأنا ولله الحمد لا ينقصنى شىء وليس بى عيب كمطرب سوى أن صوتى وحش فقط برغم امتلاكى لمجموعة بدل روشة وقمصان مشجرة ونخبة لا بأس بها من الترنجات الفوسفورية.. وتمتلك أمى مجموعة من الشالات الحريرية لزوم الفيديو كليب ولكن هل يصلح كاتب (طقت فى دماغى) مطربًا ح يغنى إيه ده؟! طقت فى دماغى برضه؟! وهل سيسلم من رد فعل الجمهور الطاقق الذى لا يرحم.. إذن المسألة تحتاج إلى شوية تخطيط فعبد الحليم كان صاحب أجمل حدوتة صاحبت مطربًا فى الدنيا كلها.. فهو اليتيم المحروم من الحنان ومدرس الموسيقى الغلبان المكافح.. ثم المريض الذاهب للعلاج وقلوبنا كلها معلقة به.. والأمهات والخالات والعمات فى البيوت يذرفن الدموع ويدعين له بالشفاء.. وعماد حمدى المسكين كان يتلقى خطابات تهديد ووعيد من الجمهور بسبب القلم الذى رزعه لعبد الحليم فى الخطايا.. ويطلع عبد الحليم على المسرح ليغنى وأمامه ميكروفون وكباية المية فيها الدواء.. يغنى كوبليه ويأخذ شفطة لم يكن عبد الحليم مطربًا فقط.. كان فيلمًا.. كان

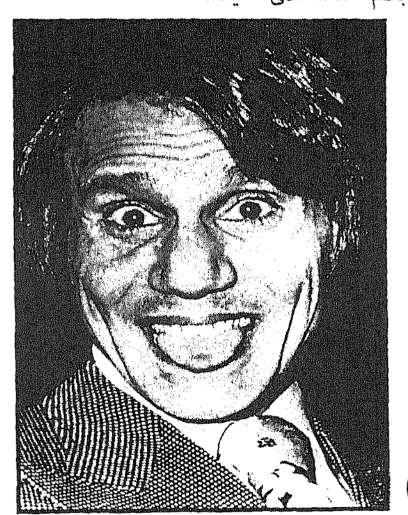
حالة وجدانية.. ولم يكن العندليب يدرك أن الترعة التى لم يعط ظهره لها فى قريته بالشرقية ستصبح سبب عذابه وسبب سعده بعد ذلك.. وبرغم عذابه هذا إلا أننى أعتقد أنه كان سعيدًا.. صدقونى.

ولكن هل تصلح حكاية عبد الحليم لتصنع مطربًا الآن؟! فى فترة ما.. طلع مطرب فى التليفزيون وحكى لنا أنه فقد أسرته منذ عشرين عامًا.. وظل ابنًا ضالاً بلا أم وأب إلى أن غنى وأشتهر ووجدهما أخيرًا.. ولم يتأثر الجمهور بقصته الميلودرامية ولا كأنه هنا.. ولم يشعر به أحد.. أنا لا أشكك فى صدق حكايته.. ولكن احنا أيضًا تغيرنا.. لم يعد من السهل التأثير علينا.. وصورة المطرب تغيرت أيضًا.. فهذا النحيل المتهافت العبقرى.. ليس هو مطرب هذا الزمان.. فالمطرب اليوم يطلع فى الأفلام.. ملاكمًا.. مصارعًا.. ميكانيكى سيارات.. استورجى.. والمجانص تبرز من صدره وذراعيه.. وهذه كلها صفات تعقدنى بصراحة وتقلل من احتمال أن أصبح مطربًا فى يوم من الأيام.. ولكنهم ناجحون هكذا والجمهور يعشقهم بهذه الصورة.. وإذا كان العندليب هو الصورة الرومانسية الحالمة من المطرب.. فهم يمثلون الشكل الواقعى من المطرب.. ولا تعتقدوا أن جمهورهم من الشباب فقط الذين

يريدون أن يرقصوا أو يتنططوا.. لا.. صدقونى أعرف امرأة فى السبعين تعشق عمرو دياب.. ورجلاً فى الثمانين مطربه المفضل محمد فؤاد.. عرفت هذا حينما كنت جالسًا فى مقهى.. والرجل المسن يجلس بجوارى.. وكان التليفزيون يعرض أغنية الجندول لعبد الوهاب.. وكان القهوجى يقلب القنوات وجاءت أغنية محمد فؤاد فى السكة فى السكة فى السكة.. فنادى الرجل المسن على القهوجى فى وهن.. خلى ده ياد يا عزوز.. وأخذ يدندن.. فى السكة شفت اتنين ماشيين مع بعضهم.. واستأذنت قائلاً.. طيب عن إذنك بقه يا كابتن..

كنت مسافراً إلى الاسماعيلية وبجوارى فتاة رقيقة من الجيل الشبابى.. وكنت أضع فى الكاسيت أغنية أم كلثوم.. «كن باشتاقلك وأنا وأنت هنا.. بينى وبينك خطوتين».. وصلنا سوق العبور وما زالت الست تقول.. بينى وبينك خطوتين.. وصلنا الريست ولسه برضه بينى وبينك خطوتين.. دخلنا ع الاسماعيلية.. والست شغالة.. بينى وبينك خطوتين.. قالت لى الفتاة الرقيقة فى غيظ وهى تنزع الشريط من الكاسيت.. بعد إذنك بس عشان اتخنقت.. ووضعت شريطًا آخر يقول.. دباديبو.. دباديبو..

إلا العندليب.. فى النايت كلوب يرقصون على أغانيه.. وحتى المطربين الشبابيين يغنون له.. لا يزال الرجل رغم غيابه ممتلئًا بالحضور إنه الحارس الوحيد الباقى ليحافظ على عرش الرقة والرومانسية والعذوبة فى وجدان الناس.. سأغنى إذن.. ما المانع فى أن أغنى.. ذهبت إلى منتج الكاسيت وأخبرته بنيتى.. عمل لى تيست.. وعرض على مبلغًا ضخمًا.. ولكنه كتب شرطًا غريبًا فى العقد.. أن أتعهد له بعدم الغناء.. مدى الحياة..



الحلوة .. الحلوة .. الحلوة

بعد أن يرحل الشتاء .. بصقيعه ورطوبته وتكتكته.. بليله الطويل البارد.. بألحفته وبطاطينه وشراباته الصوف بأصواته التى تصدر عننا كبنى آدمين والتى لا توجد فى قاموس مثل بررررررر برررررررررد يابا يابا يابا يابا... تك تك تك تك تك .... بعد أن يرحل الشتاء بشوارعه الخالية المظلمة.. وأشجاره الزعلانة البردانة.. يتحرك السبات العميق والنعاس الدائم.. ويرضى الله عن مخلوقاته كلها.. فتنتفض الأشجار فى سعادة كامرأة خارجة من البسين وتغنى العصافير أغنية بديعة ظلت شهور الشتاء كلها تؤلفها وتلحنها وتتدرب عليها فى صمت.. انتظاراً ليوم الحفلة.. الشمس أيضاً وصلتها الدعوة ولكن هى ليست فى حاجة إلى دعوة.. هيه جاية جاية.. حالة من الحركة والنشاط تدب فى الكون كله.. الأوراق تتفتح وتخرج الفراشات فى موعدها ترفرف بجناحيها ويبدأ العرض الإلهى الساحر ولا تقوللى ألفية ولا تقلية.. كل هذا كنت أرقبه بانفعال صباح يوم وقفة عرفات وأنا جالس على مقهى فى شارع جسر السويس.. الكل يبتسم.. القهوجى يبتسم ورواد المقهى يبتسمون وعبد الحليم يبتسم هو أيضاً

فى الراديو وهو يصدح.. يا حبايبى يا أهلى يا جيرانى أنا عاوز أخدكو فى أحضانى.. مش قادر على فرحة قلبى.. مش قادر أبداً يا حبايبى، مش قادر.. مش قادر.. اقترب منى الجرسون وهمس لى بلطف الصوت بس شوية يا أستاذ يوسف.. ما هذا؟!.. آه.. يبدو أننى كنت أغنى مع عبد الحليم ولكن من فرط حماستى وجيشان شعورى صوتى على شوية.. قلت لنفسى لا شك فى أن الزهور مهمة جداً للإحساس بالربيع.. وكذا العصافير والأشجار.. ولكن عبد الحليم أيضًا مهم جداً لاكتمال السيمفونية الربيعية هذه.. فهل رحل فى الربيع.. متعمداً لتظل ذكراه مرتبطة بهذا العرس الرائع للطبيعة.. جايز.. هو ذكى ويعملها.

وهناك ظاهرة إنسانية وطبيعية فريدة اسمها Pathatec Falacy.. وهى استجابة الطبيعة لمشاعر الإنسان.. فإذا غضب وثار.. تنقلب السماء الملبدة بالغيوم وتنهمر السيول والأعاصير.. وتتلاطم الأمواج.. وإذا هدأ واستقر يسكن البحر الهائج ويصفو الجو وتصبح الطبيعة كأنها صدى أو رد فعل هائل للمشاعر والأحاسيس.. وأنا شديد الإيمان بهذه النظرية كما أننى شديد الإيمان بعكسها أيضًا.. فأنا أستجيب للطبيعة أنا الآخر.. فأنا أحب عبد الحليم طول السنة ولكن مالى أجد نفسى متيماً هائماً به إلى هذا الحد

فى الربيع.. فكما أحب أن أسمع ليلى مراد فى الصباح الباكر.. وكما أحب أم كلثوم فى الليل.. فعبد الحليم فى الربيع شىء آخر.. إن العصافير كلها تعمل فى الأغنية كورس رائع.. اسمعوا.. ها هو يشدو بدفء جميل.. الحلوة.. الحلوة.. الحلوة.. بعيونها السودة الحلوة.. الله قلت لنفسى: يا رب بنتى تطلع حلوة كده.. يا رب.. لولا ضحكتها الحلوة.. وعدتنى بحاجات حلوة.. يقترب منى القهوجى ويهمس لى.. الصوت بس شوية يا أستاذ يوسف.. كان صوتى جايب آخر جسر السويس.. كنت أغنى معه كالعادة.. اعذرنى يا أخى.. أنا مريض بالغناء معه.. فهو لا يتوقف عند أذنى بل يتسلل إلى قلبى.. ثم يمشى فى دمى ويطلع فى بؤى.. ثم يخدعنى.. يوهمنى أن صوتى الوحش هذا مثل الكروان.. فأغنى.. اسمع هات لى شاى بحليب وشيشة.. أضعها فى فمى حتى لا أغنى.. يذهب ليحضر الطلبات باسمًا.. ولكن فجأة.. عيش أيامك عيش لياليك خلى زمانك يفرح بيك افرح ارقص غنى.. لأ بقى.. ثانية واحدة.. أقوم إلى القهوجى وأمسكه من كتفه.. لو سمحت الصوت شوية عشان نسمع.. كان هو الذى يغنى هذه المرة يرن التليفون المحمول.. يا رب.. أنا مستنى المكالمة دى.. ألو.. مبروك جبت بنت أمورة واسمها «هيا».. تعالى بسرعة.. وقفزت كالمجنون.. هل يمكن أن يكون عطاء

الحياة بكل هذه الروعة.. الله أكبر فى السيارة كنت أغنى.. اسبقنى يا قلبى اسبقنى.. على الجنة الحلوة اسبقنى.. أنا جاى علطول يا حبيبى.. جاى لك علطول يا حبيبى.. وطيران على المستشفى.. وأخيراً حملتها بين ذراعى.. لحظة فى غاية التفرد.. تأملت ملامحها.. إنها هى.. هى التى وصفها عبد الحليم الحلوة.. الحلوة.. الحلوة.. بعيونها السودة الحلوة.. أخدتنى .. جابتنى ودتنى.. وهمست لى الممرضة بخجل.. الصوت بس شوية يا أستاذ يوسف.. طبعًا كنت أنا الذى أغنى.. ومن غيرى.. وهمست أنا لهيا ابنتى.. قلت لها يا هيا.. صحيح أنه رحل قبل حوالى ربع قرن من مجيئك إلى الدنيا.. ولكن أنا متأكد أنك ستطلعى بنت راقية وحساسة.. ومتيمة بعبد الحليم.. هل تعلمى يا هيا.. حينما ذهبت لأسجل حلقة عنه مع أخته السيدة علية شبانة.. وجدت أمام البيت على السلم آلاف التوقيعات من معجبات عبد الحليم وقرأت اسم أمك يا هيا.. بين المعجبات فلم أغير ولم أزعل بل وضعت اسمى أنا كمان بجوار اسمها.. وغدا تكبرين إن شاء الله.. وأخدك من إيدك لحد باب بيته لتكتبى له كلمة أنت أيضًا.. وبكت هيا.. بكت.. ما أجمل بكاء المولود.. فهمست لها قائلاً.. الصوت بس شوية يا آنسة هيا.

تاريخ الشتيمة فى مصر العظيمة

لما ليمو الشخلوعة.. الدلوعة.. الكتكوت
الليلة ح يتنهد ويغنى.. ويموت
ويشيلوه على لندن علشان جده هناك
من بعد ما يتلايم على دخل الشباك
ويهرب أموالك ويقولك أهواك
يا شعب يا متلوع مانتش لاقى القوت

هل قرأت يا عزيزى الأبيات السابقة.. هل تعرف من هو ليمو هذا!! إنه العندليب عبد الحليم حافظ.. هكذا كان يراه أحد الكتاب.. كما وصفه.

عبد الحليم . . المتاجر بمرضه .

لا ليس مريضًا ولا حاجة.. كل هذا كان فيلمًا.. فيلمًا ألفه وأخرجه ومثله عبد الحليم ليستدر عطف الناس.. ورحلات العلاج الشهيرة إلى لندن لم تكن سوى رحلات شوبنج.. إنه يتاجر بمرضه.. ونحن شعب عاطفى.. واستطاع الداهية النحنوح أن ينصب على وطن بأكمله.. إن مريض البلهارسيا لا يستطيع أن يبذل ربع الجهد الذى يبذله عبد الحليم.. بروفات.. وإعداد.. وغناء لأكثر من



ساعتين على المسرح.. كيف ؟! هل يظن أننا مغفلون.. علميًا عبد الحليم لا يمكن أن يكون عنده بلهارسيا.. ثم ما حكاية «كباية الميه» التى يرتشف منها رشفة بين كل كوبليه وآخر على المسرح ثم يضعها على الأورج بجواره.. ويرزع الكوبليه ثم يعود لكوب الماء.. كل هذه حركات وأونطة فارغة، قال لى



الإذاعى الكبير وجدى الحكيم الذى كان مرافقًا لعبد الحليم فى مشواره الفنى.. إن العندليب كان عنده حفلة فى جامعة القاهرة عام ٧٤.. وبعد أن أنهى الحفل.. وأغلق الستار.. سقط عبد الحليم فى الكواليس وكان ينزف بغزارة.. لدرجة أنهم أحضروا له «طشت» امتلأ حتى ربعه بالدم.. ونظر العندليب بعيون ذابلة إلى دمه الذى فى الطشت وقال لوجدى الحكيم فين اللى قالوا إنى باتاجر بمرضى.. ييجوا يشوفوا!! .

عبد الحليم . . عدوانى ويشتم الجمهور . .

وقف عبد الحليم على المسرح وقال بصوته الحزين المتعب الذى يخطف القلب.. ح أغنيلكم قصيدة جديدة بس عاوزة سمع شوية.. اسمها قارئة الفنجان.. وبدأ يغنى.. ولكن فرقة الغلوشة وبعض العيال الصيع استمروا فى الصياح والتصفيق.. ويتوسل لهم العندليب أن يعطوه فرصة لكى يغنى.. ويسترجع عبد الحليم يوم غنائه فى بداية حياته الفنية لأغنية صافينى مرة حينما ثار عليه الجمهور وقالوا.. بايخ.. بايخ.. انزل.. انزل.. وأنزلوه من على المسرح عنوة.. واستطاع الفنان العنيد الذى لا ييأس أن يستقطبهم جميعًا حوله ..

والذين أنزلوه من على المسرح عنوة هم الذين حملوه فوق رؤوسهم.. فهل بعد كل هذه النجاحات.. والتاريخ الفنى

الحافل بالإبداع هل سيعانى مرة ثانية من الجمهور!! واستجمع عزيمته وغنى.. بحياتك يا ولدى امرأة عيناها سبحان المعبود.. ولكن الجماعة إياهم مصرون على الغلوشة.. شعروا بثورته.. بتوتره فكبرت المسألة فى دماغهم.. تصفير.. وتصفيق.. وضحكات.. وانفجر العندليب.. وقال فى عصبية.. بس بأه!!.

وقامت الصحافة ولم تقعد.. واتهموا العندليب بالعدوانية وقلة الذوق.. والتكبر والتعالى والغرور والتخاطب مع دولة معادية.. وبدأت حركة النقد الغنائى فى مصر تعيد تقييمها لعبد الحليم ونسوا له تاريخه الحافل بالعذوبة والرقة والشاعرية.. وصارت «بس بأه» هى «عبد الحليم» وصار عبد الحليم» هو «بس بأه» واقترح أحدهم أن تضاف «بس بأه» إلى قائمة الألفاظ التى تخدش الحياء العام.. مثلها بالضبط مثل الشتيمة بالأم.

عبد الحليم لا يحترم الكبار :

كانت حفلة تشدو فيها كوكب الشرق أم كلثوم.. ويحضرها عبد الناصر.. وكان عبد الحليم يشارك فى إحياء الحفل.. وأصرت الست على أن تغنى قبل عبد الحليم حتى تضمن الموعد المناسب لآذان الجمهور وشدت أم كلثوم ولعلعت وتألقت.. وأنهت وصلتها فى الثالثة بعد منتصف الليل.. أشبعت الناس.. أمتعتهم.. وأصبح المستمع بعدها

واكل دكر بط ومش عاوز حاجة من الدنيا.. وطلع عبد الحليم وقد خرجت نصف الصالة.. كان موقفًا لا يحسد عليه.. وهل يستطيع أن يفتح فمه بعد أم كلثوم.. وقال عبد الحليم بسخرية مرة.. أنا مش عارف طلوعى على المسرح بعد كوكب الشرق الست أم كلثوم هل ده شرف ليا.. والا ده مقلب أنا شربته!!

يا نهارك أسود.. هل تتعدى على كوكب الشرق يا نكرة.. من أنت!! وثار النقاد وكتب الجميع يهاجمون عبد الحليم هجومًا حادًا وعنيفًا ولم يكن ما قاله سوى إقرار بضعفه وقلة شأنه أمام العظيمة كوكب الشرق.. ولكنهم اعتبروا هذا تعديًا على الكبار. وقلة ذوق وعدم احترام. وأن العندليب يجب أن يتربى.

وأخيرًا . . .

حتى بعد رحيله بسنوات عديدة يفتح البعض ملفات سرية وخاصة عن عبد الحليم.. هل تزوج فى السر.. هل كان يستطيع الزواج.. وما أخبار فحولته كرجل.. لا أعلم لماذا؟! هل عندكم عروسة لعبد الحليم.. أبكانى مجدى العمروسى حينما قال لى فى حديث تليفزيونى.. إن عبد الحليم كانت أمنيته أن يأكل قرن فلفل أخضر وطعمياية.. صدقونى يا أعزائى.. كان الثمن الذى دفعه غاليًا.. غاليًا جدًا.. فهل نطالبه بأن يستمر فى الدفع حتى بعد رحيله؟!

ابن عبد الحليم

كأكبر جهاز مخابرات فى العالم فعلت الصحافة مع عبد الحليم.. لم يتركوا كلمة قالها لم يسجلوها ويحللوها.. لم يتركوا فيمتو ثانية فى حياته لم يكتبوا عنها.. أفلامه.. أغانيه.. قصص حبه.. الحقيقية والوهمية.. ملابسه.. تسريحة شعره.. مرضه.. صور الأشعة والتحاليل ووراءه فى كل مكان المصور العبقرى فاروق إبراهيم يلتقط له الصور.. وهو واقف وهو نايم وهو صاحى.. وهو مريض وهو يضحك وهو يغنى.. ليصبح عبد الحليم نفسه لوحده كده.. هو أهم فيلم فى حياتنا.. الفيلم الذى استمر بنجاح عظيم ربع قرن بعد رحيله وبدأ جهاز المخابرات الصحفى.. تحقيقاته مع هؤلاء الذين عاصروا عبد الحليم.. الكاميرات تلاحقهم والأحاديث الصحفية.. ماذا كان يأكل؟ فول مهروس على بيضة نيئة.. كان هذا هو المسموح.. وحينما كانت نفسه تهفه على طعمياية وقرن فلفل أخضر.. كانت تبأه ليلة سودة.. وآخر يقول كان عبد الحليم لا يفضفض إلا لى. اعترف لى بحبه الوحيد.. ولا أستطيع أن أذكر اسم الحبيبة لأننى وعدته أن أتكتم الأمر ويظل الرفاق حائرون.. يفكرون.. يتساءلون.. حبيبته من تكون؟! وتنهال الاعترافات ويصبح ملف عبد الحليم أكبر ملف فى الحياة الفنية كلها.. أنا نفسى شاركت جهاز المخابرات فى البحث والتدخل

داخل عبد الحليم.. ذهبت إلى بيته وقابلت السيدة علية شبانة أخته.. وبكت بحرقة كأنه توفى بالأمس وقالت.. بعد عبد الحليم لا حزن ولا فرح..

وادخلتني إلى حجرة نومه.. وكرجل مخابرات محترف.. فتحت الدواليب وجلست على سريره.. بجوار جهاز التسجيل الشهير الذى كان دائمًا بجواره.. وخرجت إلى الشرفة وسألتها كان يجلس هنا؟! وبدأ صوته ينساب إلى أذنى وأنا أطل على الحديقة التى كان كثيرًا ما يتأملها.. عيش أيامك عيش لياليك خلى شبابك يفرح بيك.. وصار الكلام عن عبد الحليم فنًا مستقلاً بذاته.. عملاً إبداعيًا.. فأنت حينما تحكى عنه أو تقول رأيًا فيه.. بالضبط كأنك تغنى.. فهذا يتحدث عن ذكائه.. وهذا عن دهائه.. وآخر يكلمك عن إخلاصه وكفاحه.. وذلك يتمطع ويصرخ قائلاً.. بس اسكتوا.. أنا اكتشفت حاجة جديدة عن عبد الحليم لم يعرفها أحد.. عبد الحليم تزوج سرًا!! ويفتح ملفًا جديدًا فى قضية عبد الحليم التى لا تنتهى ولن تنتهى وأصبح عبد الحليم.. موسم.. فى ذكرى ميلاده وذكرى وفاته.. آلاف الصفحات والصور الجديدة.. فهو لا يكرر نفسه.. صحيح هو لا يكبر فى الصور محتفظًا بشبابه الأبدى.. لكنه لا يزال فتى الأحلام.. لكل البنات حتى البنت التى ولدت يوم وفاته منذ أربعة وعشرين عامًا وصارت الآن شابة ناضجة لا يزال هو حلمها.. وهى بالمناسبة لا تحتفل بعيد ميلادها أبدًا وإنما بذكرى عبدالحليم وبدأت المخابرات



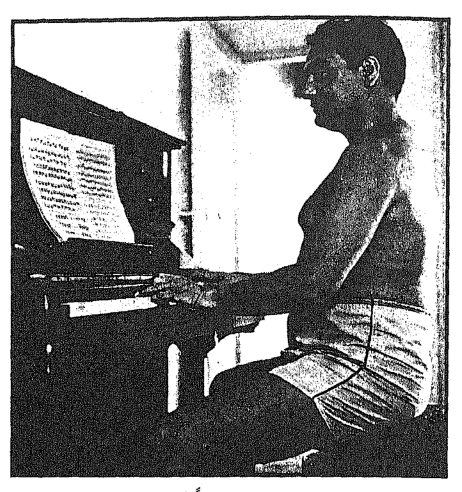
الصحفية تدقق أكثر.. فلا تكتفى بأن تسأل من عاصروه أو عاشوا معه.. بل بدأت تسأل كل إنسان.. فالقضية كبرت.. ولم يعد يكفى أن يتكلم عنه حسين كمال أو عمر الشريف أو فاتن حمامة.. وهذه فعلتها أنا أيضًا فى برنامج تليفزيونى سألت عنه سواق تاكسى.. وحلاق.. وقهوجى.. وبائع ورد.. وتكلموا.. وقالوا أشياء رائعة أجمل وأعمق بكثير من هؤلاء الذين معهم توكيل الكلام عن عبد الحليم وهؤلاء الذين هاجموه فى حياته وحاولوا تحطيمه.. رحلوا هم أيضًا.. وأغلقت ملفاتهم كلها إلا ملفه هو .. ظل مفتوحًا.. وصدقت قارئة الفنجان حينما قالت له فى حفلته الأخيرة قالت يا ولدى.. لا تحزن.. فالحب عليك هو المكتوب.. هذا الحب الغريب الاستثنائى من كل الناس.. ومن كل الأجيال.. فأطفالنا يولدون ويرضعون ويتعلمون المشى والكلام.. ثم .. عبد الحليم..

وحارت أجهزة المخابرات الصحفية فى هذه المعجزة الفنية وفتحوا الملفات من جديد.. وعادوا يفتشونه.. يحللون دمه.. ومشاعره.. ومشواره.. وبعد خمسين سنة فى العدد الخاص عن عبد الحليم سيطلع صحفى ليقول مفاجأة جديدة!!! عبد الحليم كان متجوز.. ومخلف كمان وابنه أهوه.. وسنرى رجلاً فى الثمانين من عمره.. مكحكح يقول.. أيوه كان بابا.. هو ده السر اللى فضلنا مخبيينه طول السنين دى.. وستنهال عليه الأحاديث الصحفية والتليفزيونية.. وسيتأمله الناس ويقولون.. آه واللهى تصوروا شبهه بالضبط.. وسيقول الدكتور فلان المتخصص فى علم الوراثة فى لقاء تليفزيونى.. فعلاً الحواجب وحجم الأنف وقطعية الوش بالضبط.. الجينات بتقول كده ولكن.. كلنا شبه عبد الحليم.. مفيش مصرى مفيهوش حاجة من عبد الحليم.. قال أحد الكتاب الكبار ذات مرة حينما اتهم بالبخل فى الكتابة عن المبدعين.. ولماذا أكتب عنهم.. إننى آخذ من عمرى لأضيف إلى أعمارهم.. ولكننا سنظل نكتب عن عبد الحليم وسنأخذ من أعمارنا وأعمار الأجيال التى تلينا ليظل هذا الفنان الأسطورة باقيًا.. حتى لو ذهبنا نحن ولم يذكرنا أحد لسبب بسيط لأننا حين نكتب عنه.. نطيل أعمارنا نحن.. أعزائى لقاؤنا العام القادم على خير فى ذكرى عبد الحليم.. وعندى لكم مفاجآت كثيرة جديدة تنشر لأول مرة.. عن عبدالحليم.

حبيبى وعنيه

هو لا يغنى .. هو لا يمثل هو لا يفعل شيئًا .. هو سايب ايديه.

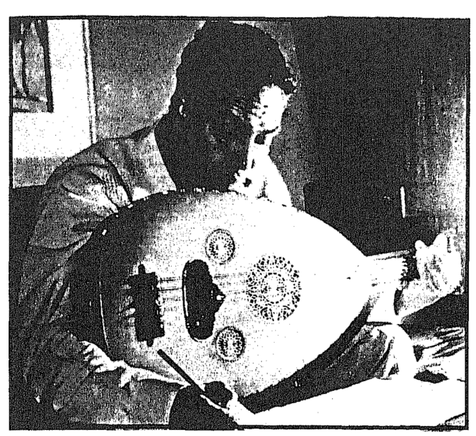
هذا المخادع العبقرى.. يعطيك انطباعًا أن المسألة سهلة خالص.. واخد بالك معايا.. ببساطة.. مفيش عقد.. اعمل زيى قول معايا.. حبيبى وعنيه.. لو فى وسط ميه.. ما يخفاش عليا عليا ما يخفاش عليا.. وأجى أعمل زيه.. فلا أستطيع.. ولا يستطيع أحد.. يخرج سيجارة ويولعها ويأخذ نفسًا ثم ببساطة شديدة يغنى.. عوازلى.. لامونى.. وينساب فى النفس كالماء السلسبيل.. إذا أحببت أن تعيش دور المعذب اسمع عبد الحليم.. وإذا أحببت أن تتسلطن اسمع عبد الوهاب.. وإذ أحببت أن تكون نفسك اسمع محمد فوزى.. ثم إنه لا يموت كما أنه لا يستمر.. إنه يهف على النفس.. كل كام سنة كده تلاقى مصر كلها بتغنى محمد فوزى.. من غير مناسبة وبلا أسباب هل تذكرون موضة الشارلستون التى كانت فى السبعينات ثم اختفت فى الثمانينات وعادت فى منتصف التسعينات هكذا هو محمد فوزى يغيب ثم يعود أقوى مما كان.. لم ينافس أحدًا ولم ينافسه أحد.. كله يعمل اللى هو عاوزه.. ومحمد فوزى



شغال.. استطاع عبد الحليم مثلاً أن يؤثر على فريد.. هذه حقيقة.. فكلاهما يغنى لنا.. للعشاق.. للمعذبين.. المدهولين فى الحب. أما محمد فوزى فهو يغنى له.. يغنى لنفسه.. نوع فذ من المطربين نسيج وحده.. وفى رائعته شحات الغرام.. هو شحات.. ولكنه لا يصعب عليك وإنما تقول عنه فيما بينك وبين نفسك يابن الجنيه.. شحات ببدلة فاخرة يقف أسفل بلكونة ليلى مراد مستنداً على جذع شجرة قال!! يطلب منها موعداً أو ابتسامة أو قبلة. لله.. إنه لا يتعذب ولا يعذبنا

معاه.. حتى حينما تتجاهله الحبيبة لا يغنى مثل عبد الحليم راح.. راح.. خد قلبى وراح.. ويقطع قلبنا عليه.. بل يغنى ببساطة متناهية ماله القمر ماله؟! ما جيناش على باله؟ مجرد سؤال!!.. وحتى حينما ركب الموجه ذات مرة ومثل دور مطرب مريض بمرض خطير فى أحد الأفلام لم تكن تصدقه.. كنت أحس أنه سينهض من على سريره فجأة ويقول.. هيه أنا مش عيان وضحكت عليكوا .. ولاحظوا معى الفرق بين حليم وهو يبكى ونتقطع نحن معه.. دمرتنى لأننى كنت يوماً أحبها.. شوف بقى أخونا فوزى بيقول إيه.. تعب الهوا قلبى والحلو مش دارى.. مجرد تعب بسيط وإحنا زى الفل ومفيش أى حاجة.. له أغنية جميلة اسمها كلمنى.. وطمنى.. والأجمل قصة هذه الأغنية.. حينما ضايقه تأخر الموسيقيين ومغالاتهم فى كل شىء.. وكرّهوه فى عيشته.. فأقسم أن يغنى بلا آلات.. هكذا ببساطة.. لا أحد يقف فى طريقه.. أوقف الكورال.. هم يقومون بدور الآلات.. فلانه.. كمنجه.. وفلان عود.. وفلان طبلة.. كلهم ببقهم وسجل الأغنية.. وهو يقول.. كلمنى تقول الفرقة تاتا تاتا.. يقول طمنى.. تقول الفرقة.. لا لا لا لا.. ولا الحوجة للآلاتية.. كممثل بقى.. أستطيع أن أصنفه على مسئوليتى واحداً من أخطر الكوميديانات الذين ظهروا فى السينما كان يزاحم إسماعيل ياسين بكتفه فى الأفلام.. يريد أن يقول هو

«الأفيه» قبله.. وكان مفكوكًا.. ليس نجمًا منشيًا.. يرقص ويتنطط.. ويعمل كل شيء.. ببساطة متناهية.. وبرغم مظهره أو ما كان يحاول أن يوهمك به بأنه واد شقى ومقطع السمكة وديلها إلا أنه كان به طفولة وبراءة غير طبيعية.. كان يبدو لى مثل طفل يقول كلامًا أكبر من سنه.. ولهذا السبب حقق نجاحًا رهيبًا وفريدًا من نوعه مع الأطفال.. لأنه كان واحداً منهم.. وللحق لم يظهر قبل ولا بعد محمد فوزى أن خاطب فنان الطفل بهذه الدرجة من العذوبة والصدق.. بل إننى أتصور أن غناءه للطفل كان أشبه بهدهدة الأمهات لأطفالهن غارقًا فى الحنان والحنية.. عارف الواد اللى اسمه عادل جه الدكتور وعمل له إيه.. راح مديله حقنة كبيرة عارف اداله الحقنة ليه.. مابيشربش اللبن الصبح وكل أصحابه ضحكوا عليه.. ما هذه العبقرية!! إنه حتى لا ينسى أن يضمن لحنه طريقتنا فى مناغشة الطفل .. والتى لا أعرف كيف أكتبها لكم الآن.. أنتم عارفينها طبعًا.. وقصص للأطفال وحواديت يغنيها.. ذهب الليل طلع الفجر والعصفور صوصو.. شاف القطة قال لها بسبس قالت له نو نو .. ويعلمهم تاريخ الثورة من خلال أغنية بسيطة ولطيفة جداً.. صبح الماضى فى خبر كان كأنه ما كان كأنه ما كان.. والمستقبل بقى ويانا.. هكذا.. بلا آلات نحاسية وبلا زعيق.. هكذا كان فوزى يتعامل مع الطفل.. لو رجعنا إلى



بدايات التفكير فى هذه الأعمال لوجدنا أنها محفورة فى وجداننا متغلغلة فى أعماقنا.. وأنا اعتقد أن الفنان الحقيقى ليس الذى يخلق عوالم خاصة به وأشياء من صنع خياله.. وإنما الذى يرى أكثر مننا.. يرانا نحن فيقول لنا نحن هكذا.. وذلك ما فعله محمد فوزى.. ومن الأشياء اللطيفة جداً.. حينما عمل أغنية يغنيها ثلاثة هو وإسماعيل ياسين وسليمان نجيب (يا بختك يا قلبى) وظلف كل واحد من هذا الثالوث الرائع حسب طريقته وتون صوته وأسلوب أدائه.. ولكن.. لماذا تراجعت مسيرة محمد فوزى الفنية فى

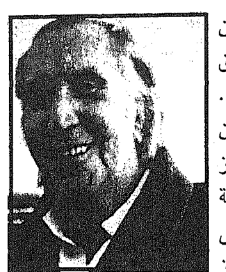
السنين الأخيرة من حياته.. هل هو مرضه.. هل تغيرت الدنيا فى عينيه وحدث ما يسمى بعدم التواؤم.. هل فضل العصر الجديد أن يعتمد على حصان جديد هو عبد الحليم حافظ واعتبر محمد فوزى حصانًا على المعاش!! وهل لى الحق أن أسأل خبراء الموسيقى الشرقية وكبار منظريها أين محمد فوزى؟! وإذا كنا قد أخرجناه إعلاميًا من مثلث العظمة الموسيقى الرائع.. حليم وفريد وعبد الوهاب.. فأين وضعتموه.. هل هو فى نفس الأهمية.. أم أقل أهمية.. أيه حكايته بالضبط؟! فهمونا محمد فوزى.. لا نريد أن يطلع أحد ليقول إنه من طنطا وإنه تزوج فلانه.. وأنه كان يحب المكرونة فرن ولا أريد أن يذيع له التليفزيون فيلمًا فى الظهيرة.. حفظنا أفلامه صم.. لكننا نريد أن نفهمه.. ولا أريد أن نتعامل معه مثلما يتعامل إخواننا الصعايدة مع قريبهم الذى فى مصر.. فيقولون ده ماسك حاجة كبيرة قوى فى مصر بس أنت روح له وهو ح يخدمك.. ولا أعرف ما هى هذه الحاجة الكبيرة اللى ماسكها جريبنا ده.. أعلم أن فوزى قيمة فنية كبيرة.. ولكننى أتوسل إليكم أن تشرحوها لنا.. علشان لو حد سألنى والا حاجة.. لا أجيب عليه مثل يونس شلبى.. أيو.. أنا عارفه.. عارفه والله.. بس قول أنت..

يوسف بيه .. يا عينى عليه ..

يوسف وهبى

حينما شاهده عزيز عيد.. تأمله جيداً.. وهرش قليلاً فى صلعته.. نظر إلى جسمه.. الفارع الطول.. إلى وجهه الذى يشبه تماثيل الآلهة الإغريقية.. فحص بعناية فمه الضخم وأنفه الكبير.. وقال بخبرته.. أنت تنفع كوميديان.. أنت تشتغل مضحكاتى.. وزعل يوسف بيه.. زعل قوى.

فقد كانت الكوميديا أيامها سبة .. وتركه حانقًا وقال لنفسه.. الراجل ده مجنون واللا إيه.. ولم يكن عزيز عيد مجنونًا.. كان أعقل من العقل نفسه.. ولكن يوسف بيه لم يسمع كلامه.. كان يحلم براسبوتين ونجح.. والتهبت الأكف بالتصفيق الهادر وصار الجمهور خاتم فى صباعه واخترع طريقة فى الأداء الكريشيندو.. يعنى إيه.. يعنى يبدأ الجملة بأداء هادئ ثم يعلو بها بالتدريج.. بالتدريج إلى أن يصل إلى عنان السماء.. وتدوى الصالة بالتصفيق.. وبنات هوانم فى البناوير تخرجن المناديل الحريرية البيضاء وهات يا عياط.. ويطلع الفنان العظيم ليحيى الجمهور.. ولا ينسى طبعًا أن يغمز بعينه لتلك الحسناء الجالسة فى البنوار. وتنظر له فى وله وشغف وهيام.. وتتوالى النجاحات التراچيدية الرهيبة كرسى الاعتراف.. سفير جهنم.. ليلة ممطرة.. إنه يقتل ويسفك الدماء.. ويبكى وينتحر.. والإقبال



منقطع النظير.. واحد فقط كان ينظر إلى هذا النجاح الساحق بضيق.. وكأنه لا يفهم شيئًا.. إنه لا يجد مبررًا لكل هذا.. كان هذا الواحد العبقرى هو عزيز عيد.. ويناوله يوسف بيه جملة ساخرة.. كنت عاوزنى أبقى كوميديان يا أستاذ.. كنت عاوز توقعنى.. وصار هو بحق فنان الشعب.

ولأننى أؤمن دائمًا بقيمة هؤلاء الذين يختلفون ليس ليعرفوا.. وإنما يشذون عن القاعدة ويكسرون التقليد ويحلقون فى آفاق أخرى جديدة.. لا نصل نحن إليها.. ولما رأيت الملايين يقفون فى صف واحد يصفقون لهذا التراچيديان العبقرى.. ووجدت عزيز عيد يقف وحده فى صف يوسف وهبى الكوميديان وجدت نفسى أنسحب من تلقاء نفسى من صف الملايين الرهيبة.. وأقف وراءه.. وراء عزيز عيد فى صفه.. وأنظر إلى يوسف وهبى بعينى أنا.. ليس بعين النقاد ولا الصحافة ولا حتى الجمهور.. ولم أتمالك نفسى وانفجرت من الضحك.. وجدتنى أمام الممثل الكوميدى الأول فى مصر.. بالنسبة لى على الأقل.. حتى فى مأساته كان كوميديًا.. فى أعماله الأولى.. حيث كان يمثل بطريقة استعراضية ومسرحية.. ويخلط اللغة العامية باللغة الفصحى.. يأخذ نفسًا طويلاً.. ويقول.. صضأينى يا

ليلى هانم.. أبواب المجد مفتوحة أمامك على مصراعيها.. ونجوم السماء تتلألأ فرحة بقدوم الكروان الذى سيصدح فى سماء الفن..

وحين يستقبل ليلى مراد والريحانى فى فيلم «غزل البنات» ينزل يوسف بيه بالروب دى شامبر الحرير ولا ينسى المنديل طبعًا.. إنه يرسم صورة للفنان أسطورية.. ويقول لهما.. أنا الليلا دى كنت فى حاجة إلى حادث غامض.. حدث مريب حتى يحرك إبداعاتى وخيالاتى.. ثم يشير لهما بالسكوت ويقول بطريقة استعراضية فخمة.. عبد الوهاااااب.. يشدو رائعته الجديدة.. ثم ينهى المشهد وهو يقول جملته الشهيرة.. ما الدنيا إلا مسرح كبير.. هل يمكن أن يتكلم ناس عاديون بهذه الطريقة.. طبعًا لا يمكن.. إن هذا كوميدى.. وكوميديا صارخة كمان.. وأعطيكم مثلاً تخيلوا أننى داخل على الست الوالدة.. وقت الغداء.. فأرتدى الروب دى شامبر.. وأجلس على السفرة.. ثم ألتفت إليها.. قائلاً.. هل أعددتى الغداء يا أماه.. بوركت يديكى.. تضع لى طبق المحشى فأنظر إليه فى تأثر وأقول.. وما الدنيا إلا صحن كبير.. كان يعرف أنه يمثل.. وكان يريد الناس أن تعرف أنه يمثل.. أن يبهرهم بيوسف وهبى.. أكثر من الشخصية ومن العمل الفنى كله.. وهذه حقيقة إنه الشخصية الأكثر بريقًا بين كل نجوم الفن.. وفى فترة من شدة إعجاب الجمهور به.. لم تكن حتى تفسر كلامه.. أو ما

يقوله على خشبة المسرح.. ولكنهم كانوا يصرخون من فرط التأثر والمتعة.. وكان أحيانًا يراهن زملاءه على خشبة المسرح أن الجمهور سيصفق له حتى لو لم يسمع ما قاله حتى إذا لم يفسره وفعلها.. وكسب الرهان وفى مشهد من «غرام وانتقام» لا أعلم لماذا يحذفه التليفزيون من نسخته التى يعرضها.. مشهد تقديمه للأسرة العلوية.. أسرة محمد على باشا.. تراه وهو يقدم الملك فؤاد والملك فاروق.. فتحس أنه الوحيد الذى يستطيع ذلك.. كان به فخامة وهيبة ولكنها لا تخلو من كوميديا إنك تشعر من رنة صوته.. أنه سيختم المشهد وهو يقول ما رأى جلالتكم.. ألا أستحق البهوية بعد كل ما فعلت- ونالها فوراً.. وصار يوسف بك.. وهل كان يستطيع ممثل أن ينال البهوية وهو كوميديان.. مستحيل.. فعلها فقط.. يوسف بيه..

صدقته الناس كلها.. صدقوا فخامته وهيبته.. إلى أن صارت بهويته أمراً واقعًا.. حتى أمام الملك.. وصار الريحانى العظيم الذى ألقت به الأقدار إلى الكوميديا.. مجرد فنان غلبان تحبه ولكن.. هل يجرؤ أن يطالب بالبهوية.. إنها نكتة.. أنت تقارن بين قصر منيف وبيت فى زقاق.. وإن كان هذا البيت المتواضع يحوى أشياء لا تقل عن محتويات هذا القصر.. وأخيراً زهق يوسف بك من قصره فقد حصل على كل شىء.. أصبح يملك كل الألقاب والنياشين.. البيك وعميد المسرح العربى.. وفنان الشعب..

وفجأة نفسه هفته على هذا البيت الذى فى الزقاق.. وطلع له عزيز عيد من التربة.. ليعيد عليه ما قاله من نصف قرن.. أنت ما تنفعش إلا كوميديان.. وبدأ يوسف وهبى يعيد اكتشاف نفسه من جديد.. ولا يمكن أنسى شخصية الراجل البصباص المراهق فى فيلم «إشاعة حب» أنا شخصيًا مت على روحى من الضحك.. وكل مرة أراه فيها.. لا يقل ضحكى بل يزيد.. كان بجواره كوميديان محترف.. عبد المنعم إبراهيم وشخصية عمر الشريف مكتوبة كوميدى صارخ ولكن هو.. مفيش غيره.. بلع الفيلم.. لا يظهر فى مشهد إلا ويقلبه رأسًا على عقب.. سخريته من زوجته التركية الأصل.. مغازلته للنساء بطريقة رائعة ثم ثورته المفتعلة على عمر الشريف.. يا صواعق يا براكين اهبطى على رأس هذا الفاسق الفاجر وصبى لعناتك عليه وعلى ذريته.. ثم يهمس له.. هما مشيوا واللا أكمل.. إنه بعبقرية يسخر بنفسه من طريقته فى الأداء المسرحى.. وكان هذا تحولاً كبيرًا فى حياته.. فبعد ما كان باشا تعجب به وتنبهر.. ولكن من بعيد.. ممنوع اللمس.. استطاع هذا الداهية العبقرى.. أن يجعلك تقترب منه وتأخذ عليه.. بل وتقول له وأنت ميت من الضحك.. كفك.. يخرب عقلك.. يا أعزائى.. اسمحوا لى أن أعلنها لكم بكل صراحة.. لم أضحك مع إسماعيل ياسين والريحانى بقدر ما ضحكت مع يوسف وهبى.. ماشى.. قولوا عليا مجنون.

الريحانى الذى أبكانى

لا شك أنه هو .. وليس غيره.. أكثر الممثلين قدرة على اجترار الحزن والدموع والشجن.. إن صوته المبحوح يتسلل بداخلى ويلمس تلك الغدة الكئيبة بداخلى.. وهات يا عياط.. قد تختلفون معى.. وقد أختلف معكم.. فأنتم تعتبرونه رائد فن الكوميديا والإضحاك فى مصر والعالم العربى كله- وأنا أعتبره حائط المبكى فى فن التمثيل.. إنه الريحانى الذى كان يختلف معكم ويتفق معى. كان يريد أن يصبح ممثلاً تراچيديًا.. كان يرى نفسه بالضبط كما أراه أنا ولكنكم أنتم يا أعزائى السبب فى أن يفشل حلمه التراجيدى الكبير وأنتم الذين شددتموه رغمًا عن أنفه ليعتلى عرش الكوميديا ولكنه كان عنيداً حاول أن يقاومكم ويقاوم ضحكاتكم التى كانت ترج المسرح.. قالوا عنه.. إنك لا تتمالك أن تراه حتى تضحك ولو من وجهه المكفهر المشحون بالعذاب.. أوصدتم فى وجهه كل محاولات البكاء والنكد التى كان يتمتع وهو يؤديها.. وكلما حاول بكل صدق أن يؤثر فيكم ويبكيكم.. انفجرتم فى الضحك كأنه يلقى نكتة.. ومشت الصحافة وحركة النقد وراءكم.. تهكمت الصحافة وقسا النقاد وسخر الجميع من تراچيديته وتراكمت عليه الديون وغرق فى الفشل.. وكانت تهمته أنه يحاول أن يكون تراچيديا.. وذات يوم أصيب بنوبة برد فظيعة.. ونصحه الأطباء ألا يغادر منزله.. وحينما جاء



موعد المسرح.. أحس أن جسمه يأكله.. تصور الجمهور وهو يسترد تذاكره ويعود محبطًا لأن الممثل مريض.. وإحنا ما لنا مريض وإلا بيموت حتى.. احنا جايين نتفرج.. ونهض من على سريره وعرقه مرقه وطيران على المسرح. لفحة الهواء التى استقبلته وهو خارج كانت واضحة وعاقدة العزم ومتجهة شخصيًا إلى حنجرته.. وطلع على المسرح ليمثل بصوته المريض المبحوح.. كان صوته له مذاق غريب.. فتصور أنه سيساعده على تحقيق حلمه على كسب عطف الناس وبكائهم.. هكذا يستطيع أن يكون تراچيديًا حقًا.. ولكن بمجرد أن فتح فمه.. وقعت الصالة كلها من الضحك وفطست على نفسها.. إن الجمهور لا يرى سوى ما يريد أن يراه.. ولم يكن أمامه خيار.. سوى الكوميديا.. وإن كانت طريقة أدائه ظلت مشوبة ببعض السخرية.. وببعض المرارة.. ربما كان يسخر منا بدون أن ندرى.

كان موظفًا محترمًا فى شركة السكر إلى أن جاء خطاب من عزيز عيد ليقلب حياته وضربت أمه يدها على صدرها.. يا نهارك أسود.. ممثل؟!! قلبى وربى غضبانين عليك ليوم القيامة.. ولم يتراجع.. كان يعلم أن قلب الأم غضبه ليس حقيقيًا وإنما تمثيل.. وغضب الرب مغفور

بالتأكيد إذا استطاع أن يسعد الناس.. وصارت أمه تأنف من مهنته وتكره أن يعرف أحد أن ابنها ممثل.. وظلت رغم نجاحه تقول ابنى نجيب اللى بيشتغل فى شركة السكر.. وكان هو وقتها أهم من شركة السكر كلها وأكثر عسلاً.

وحدث أنها كانت فى عربة المترو ذات يوم عائدة إلى المنزل فسمعت رهطًا من الركاب يتحدثون.. يقول أحدهم.. شفت رواية الجنيه المصرى.. بديعة قوى يا سيدنا الأفندى.. يرد الآخر.. الأبدع بقى سى نجيب الريحانى.. عظمه.. والله إن الراجل ده بحبه أكثر من ولادى ومن عيلتى كلها.. رد الثانى مصر كلها بتحب سى نجيب.. وظلت أم نجيب تنصت للحوار الدائر وقلبها يرقص من الفرحة. ولم تتمالك نفسها فقامت فى وسط عربة المترو.. وقالت بأعلى صوتها أنا أم سى نجيب الممثل.. وابتسم الريحانى وهو يأخذها بين أحضانه.. قائلاً.. الممثل.. أخيرًا نطقتيها يا امه..

وفى حياة الريحانى تراچيديا كبيرة.. أخوه چورچ.. الذى اختفى فجأة.. وكان اختفاؤه الغريب.. مصاحبًا للصعود الصاروخى لنجيب.. وكأن القدر كان يعوض هذا بذاك.. كلما اختفى جورج ظهر نجيب وقال بعضهم إن جورج أسلم وانضم إلى جماعات الصوفية.. وقال آخرون إنه ترهبن واعتكف فى أحد الأديرة.. وزادت البحة الحزينة فى حنجرة الريحانى شجنًا وكان يؤمن بالفأل والحظ والأحلام بصورة مرضية.. قالت له العرافة.. ستصاب فى حادث سيارة تكون فيها.. وأصابته فوبيا السيارات.. لم

يمتلك سيارة طوال حياته.. وكان إذا ركب تاكسى يجنن السواق: حاسب.. على مهلك يا سيدنا الأفندى.. إيه.. وراك إيه.. بشويش شوية أقف عندك هنا.. وينزل ساخطًا لاعنا.. وينط فى أقرب حنطور..

ويقول لنفسه الحصان ع الأقل تعرف تتفاهم معاه عن سواق الأتومبيل.. اطلع يا أسطى..

وكانت النهاية التى لم تكتبها العرافة.. فى سيارة.. لا لم يحدث له حادث تصادم.. وإنما كانت نهايته الفنية فى سيارة.. فى نهاية فيلم غزل البنات وهو جالس فى الخلفية.. وأنور وجدى هو الذى يقود السيارة.. وليلى مراد بجانبه.. وكان كعادته يشخط فى السائق.. بص قدامك يا جدع أنت.. الدركسيون هنا.. مش هناك.. الدركسيون ده بعدين.. وتصدق العرافة.. فيموت الريحانى وتكون النهاية فى سيارة الفيلم لتصبح تلك هى آخر لقطة له فى لقائنا الطويل الممتع به.. ويصر أنور وجدى العبقرى أن يضع مشهد النهاية للريحانى وحده.. وهو جالس يبتسم فى سخرية ومرارة ويعوج طربوشه.. ابتسامة مليئة بالحزن والدموع.. ضحيت هنايا فداه.. وح أعيش على ذكراه.. هذه الجملة خارج الفيلم.. إنه الريحانى يتكلم عن الفن.. الذى ضحى بهنائه من أجله..

وسيعيش.. بالتأكيد سيعيش على ذكراه.. وأعماله يا أعزائى اسمحولى أن أعلنها لكم بكل صراحة.. أمينة رزق لا تبكينى.. يوسف وهبى لا يبكينى.. الريحانى.. هو الذى أبكانى.

عاش .. فريد شوقى

أعلنت وكالات الأنباء فى العالم كله رحيل فريد شوقى.. ملك الشاشة ووحشها المهول عن عمر يناهز الثامنة والسبعين.. ووجدتنى أتساءل بمرارة هل عاش فريد شوقى ثمانية وسبعين عامًا بالفعل!! مأساة الفنان الحقيقى أنه لا يعيش، إن حياته أشبه بدوامة رهيبة.. إنه يقرأ ويفكر ويكتب.. ويظل الساعات الطوال واقفًا أمام الكاميرا.. يمثل المشهد.. ثم يعيد مرة ثانية.. لماذا يعيد المشهد؟! من أجلك أنت ومن أجلى.. ويضيع العمر يا ولدى.. يضيع فى أكشن.. بنصور اشتغل يا أستاذ فريد.. هايل.. نطبع ده.. والأستاذ جالسًا فى أحد الأركان ينتظر بين الديكورات فى البلاتوه.. يتقمص شخصية أخرى غير شخصيته الحقيقية التى تركها ولا يعلم أين تركها.. وإذا أحضرنا كل شرائط أفلامه ومسرحياته ومسلسلاته وعرضناها بلا توقف.. لظللنا سنوات نتابع رحلة إبداعه فإذا وضعنا فى الاعتبار الوقت الذى صورت فيه وجلسات التحضير والتفكير والولادة والمعاناة لوجدنا أنفسنا نتفرج على حياته كلها.. وكثيراً ما كنت أتأمل بداياته الأولى من أفلام أنور وجدى.. وهو فرد من أفراد العصابة.. لا ينطق سوى جملة أو جملتين فأرى فى عينيه إصراراً على النجاح وعزيمة من فولاذ.. وكأنه يقول.. اصبر قليلاً يا عزيزى المشاهد.. قريباً جداً سأصبح بطلاً.. وأصبح بطلاً بالفعل بلا منافس.. بطلاً فريداً حقًا

وصـار وحش الشـاشـة هو الورقـة المضـمـونة للنجـاح.. وصـاروا يوقـعـون مـعـه الفـيلم ويكتـبـون فى عـقـده عـدد الخناقـات التى فى الفـيلم.. فـإذا ضـرب فـريد شـوقى فى الفـيلم أنت ملكت الجـمـهـور.. وصـار مـثـلاً يقـولونه أهل السينما.. أجيب فريد شوقى وما يضربش.. أمينة رزق وما تعيطش أديك شاش وأقول أبلكاش.. وعرف بذكائه الخارق أثره المهـول على الجـمـهـور فـأصـبـحت خناقـاته أفـيـهـات كوميدية.. إنه يصبر فى البداية على أن يضربه غريمه فى الفيلم.. ويبتسم للجمهور فى الشاشة.. والناس هايصة فى الصالة.. اضرب.. ياللا.. اضربه.. وفى اللحظة المناسبة.. بكل لطف.. يقول ما بدهاش.. تصدق بالله يرد الغريم.. لا إله إلا الله يقول الملك حلو.. ما دام اتشهدت.. طيب خد.. وينهـال عليـه ضـربًا.. ويقف الناس فى السـينمـا كـأنهم يشاركون فى الخناقة.. ذهبت إليه ذات يوم بفيلم يقوم فيه بدور نصـاب.. وقرأ الفيلم وقال لى.. إن دورى ينتهى قبل نهـاية الفـيلم بنصف سـاعـة.. لن تجد أحـداً فى الصـالة بعدها.. كان يعرف قدره عند جمهوره وحكى لى أن صلاح أبو سيف أصر أن ينضرب فريد شوقى فى فيلم الفتوة بالقفا.. فى بداية الفيلم قبل أن يتوحش ويكبر ويصبح هو فـتـوة السـوق.. وفى أسـيـوط عـرض الفـيلم ولم يتـحـمل الجمهور أن يرى «الفتوة» يأخذ قفا وكسروا السينما كلها قبل أن يبدأ الفيلم.. وفى بداية السبعينيات سادت موجة أفلام الكاراتيه وصار لها جمهوراً كبيراً.. ومر الملك ومعه المليجى شريكة اللدود فى معظم الخناقات الجماهيرية

المثيرة على دار سينما كان الشباب مكتظًا أمامها وكانت تعرض فيلمًا.. اسمه الرأس الكبير.. لبروس لى.. بطل الكاراتيه الشهير وبكى الأثنان.. وشعر كل منهما أن عصرًا جديدًا قد بدأ.. وقال له المليجى هيه راحت علينا ولاَّ أيه؟! ولكن الملك أبى أن يموت.. وقرر أن يلم شعبه الذى بدأ ينحسر من حوله.. وكانت بداية جديدة عبقرية.. لمجموعة من الأفلام الإنسانية الرائعة.. والميلودراما التى أحبها الناس.. لا تبكى يا حبيبى العمر وبالوالدين إحسانًا.. ومضى قطار العمر.. ولم يعد الجمهور يطالب وحش الشاشة أن يستخدم ذراعيه وينهال ضربًا على العصابة.. وقبلوا منه أن يستبدل بونياته وشلاليته بدموعه.. وأحاسيسه.. وصار وحشًا أيضًا فى المشاعر..

وأول مرة ذهبت إليه فى مكتبه بمنزله.. انتابنى شعور غريب بأننى أعيش لحظة تاريخية.. من هنا تطلع الأفكار من هذا المكان.. كلمنى عن مسلسله البخيل الذى كانت شوارع القاهرة تخلو من المارة وكأن قرارًا بحظر التجول أثناء المسلسل هنأته على المسلسل.. فإذا به يتبرع مشكورًا ويدينى حصة فى التأليف «درس خصوصى مجانى» أفادنى كثيرًا.. قال لى- إنه كان كل يوم يسمع رجلاً من الباعة الجائلين ينادى.. بيكيا.. بيكيا.. وكان صوته مزعجًا.. فأمر الخدم أن يحضروه وجاء بائع الروبابكيا.. ليجد نفسه وجهًا لوجه مع الملك.. يا خبر أسود يا جدعان فريد شوقى!! وتوتر الرجل.. وبلع ريقه بالعافية.. ولكن الملك.. أخذه إلى الجنينة.. ومع كاسيت صغير.. وقال له.. احكيلى قل كل شىء..

البيوت التى تدخلها.. والناس الذين تقابلهم.. وكيف تعرف قيمة ما تشترى.. وسجل له كل كلمة.. ليكتب بعد ذلك مسلسلاً رائعًا عن تجار الانتيكات والروبابكيا.. تلك هى عبقرية الفن.. أن تلتقط شخوصك ونماذجك من الحياة.

وبرغم طيبته الفريدة.. صدق الناس شره على الشاشة وكثيراً ما كان يطلع فى أدواره باسمه الحقيقى.. فريد شوقى.. وكان له نظرته الخاصة ورفعة حاجبه المميزة التى سخر هو نفسه منها بعد ذلك ضاحكًا وقال.. أنا مش عارف كنت بأمثل كده ليه.. وفى لقاءاتى القليلة معه كنت أسمعه يتكلم عن أساتذته باحترام ووقار كأنه لا يزال يتعلم وهو المتربع على عرش الفن.. وفى فيلم الأسطى حسن يقدم لنا الملك شخصية العامل الصنايعى الناقم على حياته وفقره والذى تجتذبه المرأة الثرية الحسناء فى الزمالك.. ويصبح بعدها ملك الترسو.. لماذا لأنه يحقق لكل هذه الفئة من الطبقات الشعبية حلمًا خياليًا رهيبًا.. ويؤثر فى الناس بشكل ليس له مثيل لدرجة أنى سمعت من نجارين ونقاشين وكهربائية.. حواديت خاصة بهم تشبه إلى حد كبير قصة الفيلم أنه ذهب إلى إحدى الفيللات لكى يدهن الشقة.. وراودته صاحبة الشقة عن نفسها ولكن رفض أن يغضب ربنا.. حواديت كلها من صنع الخيال أو بشكل أكثر دقة من صنع الأسطى حسن.. نجمهم المحبوب الذى صار هو المثل.. ويسرح قليلاً الملك ويشرد بعيداً.. ويسأل نفسه.. هل يولد الإنسان مجرمًا أم أن المجتمع هو الذى يصنع المجرم؟! ويطلع الفيلم جعلونى مجرمًا.. قنبلة فى وجه

المجتمع ورسالة جديدة للتسامح مع من زلت قدمه مرة.. لإعطائه فرصة جديدة للحياة.. ويتغير القانون من أجل الفيلم.. يا للعظمة.. يا للروعة.. إلى هذا الحد يؤثر الفن فى المجتمع.. يتجاوز كل العقبات والروتين والاختام والوراق والإمضاءات.. ولا يتوقف الملك.. لا يهدأ.. رغبته فى التأثير والتغيير رغبة جنونية ليس لها سقف إن ثقته بالنفس الإنسانية ليس لها حدود.. ما المانع أن يسمح لسجين أن يترك زنزانته لمدة ساعتين.. ليرى زوجته وهى تحتضر.. الفكرة مجنونة وغير تقليدية.. إذا رفضها الواقع فلماذا لا يحققها الفن.. ويطلع فيلم جديد كلمة شرف.. ولا تهدأ دماغ الملك.. النجاحات مذهلة.. والمسئولية تزيد.. والحب يغمره لدرجة أن قلب الملك لم يتحمل.. يركبون له جهازًا ليضبط ضربات فى القلب.. ونحن الذين كنا فى حاجة لهذا الجهاز.. فى كل رحلة علاج.. فى كل عملية جراحية.. وحينما أشيع خبر موته الأخير.. أنقذ الملك قلوبنا من الهلع والجزع عليه وقال كلمته الأخيرة الرائعة.. أنا خدمت مصر خمسين سنة بكل الحب والإخلاص والتفانى.. بكت أمى وهى تشاهده.. وأنا لم أستطع أن أمنع نفسى من البكاء.. كان يجب أن تحدث هذه الشائعة.. حتى يقول هذه الكلمة التى لخص فيها حياته.. الثمانية والسبعين عامًا التى عاشها أو التى لم يعشها من أجلنا جميعًا.. ولا أعلم لماذا انتابنى شعور بأن الملك سيبدأ حياته الآن وليست هذه النهاية.. قال لى أحدهم والدموع تملأ عينه فى حسرة.. مات الملك قلت له أبدًا.. عاش الملك.

أنت بشر غير عادى



أعترف لكم أننا جميعًا معشر الرجال نغير منه.. نحاول أن نتناساه.. نحاول ألا نذكر سيرته كثيراً.. ولكن هذا ليس مهمًا.. فالبنات والنساء لا يرين غيره فتى لأحلامهن مهما بعد.. مهما تغير شكل فتى الأحلام.. والحقيقة أن فتى الأحلام الذى تقف أمامه البطلة.. هو أمل ملايين الحالمين الغلابة فى أن تضحك لهم الدنيا ذات يوم ذات سنيورة حلوة زى البطلة كده.. ولذا كلما كان فتى الأحلام عاديًا بسيطًا زاد أملنا نحن.. ولكن رشدى بصراحة يعقد.. مفيش أمل يابا!!! عينان بهما خليط عجيب بين الحنان والقسوة.. وشارب حكاية يفصل بين الأنف المنحوت كأحد تماثيل الفراعنة وفم لذيذ المبسم.. وشعر ناعم يسقط كثيراً على الجبهة المصقولة فى فوضى غير مفتعلة.. فارع الطول مثل ناطحات السحاب.. وله ضحكة شهيرة مثل صوت موتور عربية ديزل.. ضحكة أسد فى عرينه.. وبرغم أنه يدخل الخناقة من دول كالصاعقة

كأنه فتوة من فتوات العصر الماضى إلا أنه كان حينما يحب.. يتعذب وينهار كأنه عبد الحليم.. تذكرونه طبعًا فى (الحب الضائع) مع سعاد حسنى عاشقًا نموذجيًا ولكنه يرتدى بذلة اللواء ويمسك بالعصا.. فتجد نفسك أمام باشا حقيقى (كلمة شرف).. وتنسى أنه بالأمس القريب كان صعيديًا حتى النخاع (صراع فى النيل) وتنسى أيضًا أنه ذلك الممثل الكوميدى الرائع (الزوجة ١٣).. وأتساءل كيف استطاع هذا الوطنى المجاهد صاحب القضية فى (لا وقت للحب) كيف أقنعنى أنه ذلك الشرير الرهيب المخيف (الرجل الثانى) .

لم تكن بداياته كممثل تبشر بهذا التألق وهذا العمق الفنى.. كان شابًا غنيًا ابن ذوات.. غريم البطل غالبًا.. يتصور دائمًا بالبذلة الأسموكنج والبابيون فى إحدى صالات الرقص.. ولكنه فجأة.. نوّر .. أشع.. سطع.. وبرغم هيئته الارستقراطية كان له كلمات ريفية فيقول مثلاً.. أنا ح اتكلم فى (التلافون) ولكنك تتقبلها منه.. لأنك تحبه.. لا تعلم لماذا.. ربما لأنه كان محاطًا بهالة من الوقار والاحترام والغموض.. كان كالأسطورة.. حتى وهو يرقص على واحدة ونص وقد حزم وسطه بإيشارب وسط مجموعة من النساء (الزوجة ١٣) لا تشعر أنه فقد وقاره أو احترامه وهذا تناقض غريب.. وشعور المعجبات تجاه الفتى الأول يختلف..

فشعور المرأة تجاه عبد الحليم حافظ مثلاً.. أنها تحب أن تقع فى غرامه.. تتمنى أن تذوب فى مشاعره.. فى أغانيه.. فى عذاباته إذا نظر إليها.. تجرى هى وتأخذه فى أحضانها أما شعور المرأة تجاه رشدى أباظة.. أنها تخشى أن تقع فى غرامه .. تتمنى أن يخطفها ويجرجرها من شعرها إذا نظر إليها.. تبأه مش على بعضها.. والشىء الغريب أن النجم حينما يحقق جماهيرية ضخمة.. يقلده الشباب.. قصة شعره.. ملابسه.. طريقته فى الكلام.. أجيال كثيرة قلدت عبد الوهاب وعبد الحليم وأحمد رمزى.. وغيرهم إلا رشدى.. لم يقلده أحد.. ألا تعرفون لماذا.. لأن أحداً لم ينجح فى تقليده لأن أحداً لا يستطيع أن يقلده وظل رشدى فى حياة الشباب قمة لا تبلغ.. أمر واقع.. فتقول الفتاة الجميلة لخطيبها.. أنا طول عمرى بأموت فى رشدى أباظة؟! ماذا يفعل خطيبها بالله عليكم.. ينظر للمرآة التى إلى جانبه ويقارن بينه وبين رشدى فيستسلم.. ويحبط.. ويحمد ربنا أن رشدى أباظة مش قاعد فى القعدة.. وإلا صارت مصيبة..

ولكن هل كان سعيداً فى حياته؟! أشك.. أنا لم أقابله ولكنى سمعت حواديت كثيرة عنه.. كان رشدى ينتحر.. يدمر نفسه.. يحب الحياة بجنون فينهل منها حتى الثمالة.. حتى يفقد وعيه.. كان مبهوراً مثلنا بشبابه وفتوته وجاذبيته

فكان يكسر الترابيزات ويدشدش المحلات ويطلق النار هنا وهناك من مسدسه الذى لا يفارقه.. ثم يعود طفلاً.. يعتذر.. ويدفع ثمن أفعاله.. ويراضى الجميع..

تعذب كثيرًا.. وكان يبكى من فرط الحب.. وعذب كثيرات قضين ليال سوداء من فرط حبهن له.. وكانت الحياة تجرى بإيقاع سريع مهول.. وهو يريد للزمن أن يأخذ نفسه قليلاً..

وكبر رشدى.. رأيناه أبًا أبيض الشعر حركته ثقيلة.. ويتكلم بصعوبة.. وإن لم تفارقه تلك الهالة الأسطورية العجيبة.. وحينما كان الرئيس السادات يكرم الفنانين كرمه.. وطلع رشدى أباظة على المسرح مرتديًا بذلة بيضاء.. وكان ساحرًا.. قالوا إنه تيرون باور مصر.. وكنت أراه أكثر جاذبية ونجومية من تيرون باور.

رشدى أباظة.. مقالتى عنه.. طلعت أشبه بمعالجة لفيلم سينمائى.. حياته زاخرة ملآنة مواقف وحكايات.. ولكنه فيلم سينمائى لن يطلع إلى النور.. لن يراه أحد.. لأننا فى الحقيقة لن نجد بطلاً يقوم فى الفيلم بدور رشدى أباظة.. سنكتفى بأن نصنع فيلمًا بداخلنا يؤلفه ويخرجه ويتخيله كل واحد منا على حده.. وأتوقع أن يرى هذا الفيلم ستون مليون مصرى وستكون لهذا الفيلم نسخة خاصة بالنساء فقط..

صــوت الـقـمـر

لا شك أن الجمهور أى جمهور مريض بفكرة ثابتة وانتقال الفنان من مرحلة إلى مرحلة أخرى هى أصعب فترات حياته.. خصوصًا لو كان ناجحًا .. فإذا أحبك الناس طفلاً.. لا يريدونك أن تكبر.. وإذا كبرت ينفضون من حولك.. وحينما كبرت فيروز الطفلة المعجزة وصارت شابة جميلة ناضجة.. لم يتقبلها الجمهور.. وإذا أحبك الناس شابًا خفيف الدم مثل أحمد رمزى وحسن يوسف.. تظل المعجبات تهيم حبًا بك حتى لو صرت جدًا ولكنها أعنى «المعجبة» لا تريد أن ترى آثار الزمن على وجهك.. وعليه فالنجاح المبكر كارثة وهو شهادة ميلاد فنى.. وشهادة وفاة فى نفس الوقت للأسف .

استثناء واحد فقط.. غريب ومثير للدهشة لهذه القاعدة.. يتكون من كلمتين.. فاتن.. حمامة.. طفلة عبقرية خفيفة الدم لأقصى حد.. بريئة براءة ليس لها نظير.. وممثلة مع عبد الوهاب فى «يوم سعيد» وربما ممثلة أفضل من عبد الوهاب نفسه.. أتذكرها وهى تقول عن المشمشية التى عملتها أمها «فردوس محمد» كم هى شهية وطعمه.. ولم تكن المشمشية وإنما كانت هى.. أنيسة الطفلة المشمشية الغارقة فى العسل والسكر وأتذكرها وهى جالسة أمامه وهو يغنى لها وحدها.. طول عمرى عايش

لوحدى.. انفعالات.. نظرات براءة ورقة.. وخطفت الفيلم.. صار بطولتها هى مع عبد الوهاب.. ولم يذكر أحد سميحة سميح بطلة الفيلـــم نهائياً.

ولكن البنت تكبر.. تدخل فى طور المراهقة.. ولم تعد تعيش فى بيت متوسط الحال مع أبيها وأمها كما فى فيلم (يوم سعيد) .. وإنما.. تعيش فى قصر وتربى كلب لولو.. وارستقراطية.. وليس لها دور فى الرواية (رصاصة فى القلب).. مجرد أخت البطلة الصغرى.. ولكنها مرة أخرى بونبوناية الفيلم.. إنها تجرى خلف الكلب فى سعادة ومرح طفولى أخاذ.. وقد بدأ صوتها يتشكل.. وخدوا بالكوا من حكاية صوتها هذه.. فسيكون لها شأن كبير بعد ذلك.. صوت متقطع رقيق تخشى عليه من الهوا الطاير لا علاقة له بالحنجرة والأحبال الصوتية.. فصوتها من الأحبال القلبية مباشرة.. وانتصرت فاتن الطفلة.. صار لها معجبون.. ولكن حتى هذه اللحظة لم تكن فاتن قد أحبت سوى المشمشية والكلب اللولو.. فهل يتقبل الجمهور أن تحب رجلاً.. وتتعذب فى حبها.. وتصبح (الفيديت) أو البطلة التى يحبها البطل؟ لا.. لسه شوية.. إن ملامحها البريئة وصوتها المرهف يرشحها لسلسلة رائعة من الأفلام الميلودرامية.. أنا بنت ناس.. وظلمونى الناس.. لتصبح بعدها فى قلب كل الناس وفى (اليتيمتين) هى ليست فقيرة فقط ولا رقيقة فقط.. وإنما كفيفة أيضًا.. حتى يتسنى لصوتها أن يأخذ راحته فى الدخول إلى شغاف القلوب.. بل وتلقى بها الأقدار فى براثن

الشريرة الخرافية (نجمة إبراهيم) وابنها المجرم ولا يعطف عليها سوى إثنان.. بائع جرائد يخفى عنها أنه أعرج (فاخر فاخر) والجمهور طبعًا.. وتصبح فاتن حمامة هى فتاة الأحلام الوحيدة وتحاول كل فتاة أن تقلد طريقتها الهادئة المرتبكة الخجولة فى الكلام.. فليس وجهها فقط فوتوچينيك.. وإنما صوتها أيضًا فونوچينيك. اسمعها وهى تغنى مع شادية «ألو ألو إحنا هنا».

ما كل هذا الكسوف والحياء والرقة والسعادة والشقاوة وخفة الدم؟! انظروا إنها تتبادل مع شادية نظرة جميلة.. وكأنها تقول لها ولنا على استحياء.. معلش أنا مش بأغنى واللهى.. دى مش شغلتى.. وقلنا جميعًا.. غنى.. غنى يا فاتن.. بنموت فيكى.. واعملى شرايط كمان ولقطة أخرى تعبر عن احتفاظها بشخصية «البنوتة» البريئة الساحرة فى فيلم «لحن الخلود».. حينما كان يغنى فريد الأطرش جميل جمال.. وهى كما نعلم تحبه فى صمت.. إنه كلما نظر إليها.. تضع عينيها فى الأرض .. ويحمر وجهها خجلاً. لقد شاهدت احمرار خديها بنفسى مع أن الفيلم أبيض وأسود.. ويغنى فريد.. ليه الدنيا جميلة وحلوة وأنت معايا.. وحينما يطلب منها سراج منير أن ترقص.. ترفض جدًا تنكسف جدًا وماجدة تزقها وسراج منير يزقها.. لكنا لا تستطيع.. لا يمكن أن يهتز جسدها.. وعشقناها عشقًا.. وهى حينما لم ترقص.. كأنها فعلت كل ما فعلته تحية كاريوكا وسامية جمال معًا وصارت أسطورة.. واسطورتها

ليس لها علاقة بالفيلم أو بالحدوتة أو بأى شيء وكأنها فوق الدراما.. وهى مهما فعلت فى الفيلم أنت تحبها.. وهنا أتوقف عند نقطة عجيبة تكررت فى أفلامها تؤكد أن الناس أحبت فاتن حمامة بجنون.. فهى فى نهر الحب مثلاً.. متزوجة وتحب رجلاً آخر.. ومع ذلك كل الدنيا مش طايقه جوزها وتتمنى أنها تخلص منه عشان تعيش مع اللى هيه عاوزاه.. لو كان لهذا الفيلم بطلة غير فاتن حمامة لشافت الويل من الجمهور. والغريب أن معظم عشاقها فى الأفلام متزوجون فى «بين الأطلال» عماد حمدى متجوز.. وفى «لحن الخلود» فريد الأطرش متجوز وفى فيلم «وداعًا يا غرامى» هى متجوزة عباس فارس وبتحب عماد حمدى.. وحتى فى فيلم «أريد حلاً» كان هناك من يحبها وينتظر أن تخلص من جوزها وكأن الجمهور من فرط عشقه لهذه الأسطورة يقول لنفسه أو بالأحرى يقول للمخرج: شوف فاتن عاوزة إيه وأعملهو لها.. ما تزعلهاش.. وحينما أقدمت على مخاطرة كبيرة وهى أن تعمل دور شريرة فى فيلم «لا أنام» صدقونى لم نستطع أن نكرهها برغم كل الأسافين التى عملتها.. وكل الشر الذى كان فى الشخصية.. وجدنا لها مبررات كثيرة.. قلنا: أكيد ح تندم فى الآخر.. وبعضنا قال: أصلها اتحرمت من أمها.. وأكثرنا حبًا لها.. قال : يا جماعة دى بتمثل.. ده المخرج اللى قاللها تعمل كده.. واتفقنا جميعًا على أن نزعل من هند رستم فى الفيلم ونظل على رأينا فى حبيبتنا فاتن وحينما نشب الحريق فى حجرة

نومها فى آخر الفيلم.. نسينا الفيلم والحدوتة.. وكادت قلوبنا أن تنخلع لحسن يكون بعد الشر حصل لها حاجة.

ومرة ثانية.. يمر الزمن لتصبح أنيسة الطفلة المعجزة.. أمًّا ناضجة.. وفى الوقت المناسب كعادتها تقدم لنا «أمبراطورية ميم».. أم حقيقية مثقفة رائعة يقوم أولادها بثورة وانتخابات فى البيت.. وكلنا نقول لأنفسنا.. يا رب تنجح فى الانتخابات.. هما ح يلاقوا ضفرها.. وتنجح طبعًا.. ويظل صوتها العبقرى.. مفتاح القلوب.. حتى وهى تشخط فى أولادها.. (جتكوا القرف) مليئة بالعذوبة.. والرقة.. والسحر.

وأخيرًا لا أحب تعبير «الزمن الجميل» الذى صار من أكلشيهات الكتابة هذه الأيام فلا تزال فاتن حمامة بيننا.. مستمرة فى عطائها وفى إبداعها.. ونحن فى شوق ولهفة ننتظر (وجه القمر).. وجهها المضىء دائمًا بكاريزما غير متكررة.. لا تزال تدقق.. وتقرأ الجملة عشرات المرات حتى تستقر على فمها مرتاحة.. بعد أن تمررها أولاً على الحبال القلبية.. فهى على موعد مع خمسة وستين مليونًا.. لم تخذلهم أبدًا.. وهم أيضًا لم يخذلوها.. نحن فى انتظارك يا قمر.. من قال إن زماننا ليس جميلاً.. يكفيه جمالاً وروعة.. أن به فاتن حمامة.

صغيرة على البعد !!

سعاد حسنى

فى الأعداد الخاصة .. المرتبطة بشخص أو بمناسبة .. أفضل ألا أكتب .. أشعر أننى لا أعمل بأزرار .. اكتب لنا عن الموضوع الفلانى .. فأدوس على الزر ويطلع الموضوع إلا هذه المرة .. حيتما علمت من رئيس التحرير أن هذا العدد سيخصص لها .. وجلست بين الزملاء فى حالة لا يعلم بها إلا ربنا .. انكسفت .. وعرقت .. واشتقت وهمت وكنت فى دنيا تانية .. واخترق أذنى صوت رئيس التحرير .. اكتب عنها وابتسمت بلا رد .. فالصب تفضحه عيونه .. وهل أستطيع ألا أكتب عنها .. عن فتاة أحلامى .. وحبى الوحيد الذى هو من طرفى أنا وحدى .. ولست وحدى طبعًا .. قالوا إن مجنونا هام بها حبًا .. وأطلقوا عليه مجنون سعاد حسنى.. ولكنهم لو توغلوا بداخل كل رجل .. لامتلأت الخانكة عن آخرها .. ويمر شريط ذكرياتى معها أمام عينى .. عرفتنى بنفسها فى البداية .. كان اسمها نعيمة .. ناعمة كالغريبة .. طعمة كاللبن .. طرية كالمهلبية.. ريفية مستسلمة ضعيفة لا حول لها ولا قوة .. وكانت للأسف - طبعًا - تحب حسن.. ولأول مرة أبكى مع النهاية السعيدة .. لقد تزوجت حسن فى آخر الفيلم .. يا خسارة .. وبدأت أصبح حسودًا



قرّاراً .. أحسد كل من يمثل معها .. ويكتب لها .. ويخرج لها .. وكنت أحرص على أن أشاهد أى فيلم لها وحدى ... لا أريد أن يشاركنى أحد الفرجة... فربما تجرأ أحدهم وقال وهو يشاهد الفيلم معى .. إيه القمر ده .. تهبل .. تجنن .. هنا الذى سيتجنن هو أنا .. ح اروح فيه أبو زعبل .. أنا بقول أهو.. اللى يتفرج يتفرج بأدبه ويحط لسانه فى بقه .. ولماذا كل هذا لأشاهد الفيلم وحدى .. ربما .. صار لى .. دور..

وصارت مكتبتى الخاصة من الأفلام .. عبارة عن أفلام سعاد حسنى .. وآخرين وكل يوم مهما كانت ظروفى.. لى لقاء معها .. بالأمس القريب كنت ألتقى بها فى غروب

وشروق .. إعجاز يا أعزائى فى فن التمثيل .. المرحة الشقية اللعوب فى نصف الفيلم الأول .. ثم الحزينة .. ذلك الحزن المثير .. لطفلة كسرت لعبتها رغماً عنها .. بعد وفاة زوجها الطيار .. ثم الحب الذى وقعت فيه مع زوجها الجديد .. الذى فرضته عليها الظروف الشىء المرعب أنها فى الثلث ساعة الأخير من الفيلم لم تنطق .. ولا كلمة .. زوجها وقد استغل البيت للانتقام من أبيها .. والمواجهة بينهما .. وهى الضائعة بين حبها له وحبها لأبيها.. المجرمة والضحية فى نفس الوقت .. بلا كلمة واحدة .. بصات فقط .. نظرات عينى سعاد حسنى بعشرة أفلام .. إنها موجودة فى المشهد بل إنها أكثر الحاضرين وجوداً .. عيناها يا ناس ..

وصارت أيامى .. أفلام سعاد حسنى.. السبت بئر الحرمان .. الأحد الحب الضائع .. أنا لن أنتظر التليفزيون حتى يعرض لى أفلامها . وما الذى فعلته فى بئر الحرمان؟.. إنها تلعب شخصيتين .. ماشى .. البنت المتحررة الجريئة .. والأخرى الخجول البريئة .. والاثنان كما يقول الكاتب والمخرج .. شخصية واحدة ولكنها حالة نفسية .. ما معنى هذ أنا الذى عندى حالة نفسية.. لقد أحببت كلتيهما .. الجريئة والبريئة .. وبنفس القدر وتمنيت ألا يكون عندها ازدواج فى الشخصية فقط ياريت يكون عندها انغماس أو انحشار فى الشخصية .. لقد نجحت فى الشىء ونقيضه ...

وإذا تأملنا قليلاً دورها في الحب الضائع والصراع بين حبها لصديقتها .. وحبها لزوج صديقتها ... الرجل كان سعيداً في حياته .. زوجة حلوة يحبها وولد لطيف .. ولكن المشهد العبقرى الذى تحذفه الرقابة على طول لا أعلم لماذا.. مشهد القارب .. حينما تلاقت الأعين .. والأنفاس المتهدجة .. واللحظة الرائعة التى لم تكن جنسًا بقدر ما كانت حالة نادرة .. من التلاقى بين رجل وامرأة ليس بها مجون .. أو خلاعة .. أو بهيمية.. وكانت القبلة أشبه بشروق الشمس أو انحدار الموج.. أو هطول المطر.. وقلت لنفسى إذا كان هذا هو الحب الضائع.. فأنا إذا أحببت لن أعمل لحبى بدل فاقد.. خليه ضائع كده.. وإللى ح يجيبهولى.. مش ح استلمه وإذا أحببت أن أفرفش بقى وأدلع نفسى.. أشوف زوزو.. نصحنى بها طبيبى الخاص.. كلما ذهبت إليه قرفان من الدنيا وبلاويها.. يكتب لى مهدئات ويقول لى.. شوف زوزو.. جاءنى صديق خسر كل ما يملك فى صفقة.. وكان منهاراً أخذته من يديه وقلت له .. نشوف زوزو.. وبعد ما شاف زوزو.. صار شخصًا آخر ممتلئًا بالأمل والحماس والحياة وآخر تقدم لوظيفة.. ولم يقبل فيها .. فجاء لى .. وشفنا زوزو.. وهو الآن مبسوط ويعمل فى مركز محترم ولا داعى لذكر اسمه.. وثالث جاء لى بعد مشاجرة عنيفة مع زوجته.. وقلت له كلمة السر.. شوف زوزو.. وبعد ما شاف زوزو.. طلق مراته.. وكل مشاكله

اتحلت.. إن هذا الفيلم البسيط الرائع يحمل فكرًا تقدميًا خطيرًا ويحارب التيار الرجعى الذى يريد أن يشد المجتمع إلى الوراء .. هذا الكلام الكبير المجعلص لم يقدمه لنا الفيلم بصورة منفرة مباشرة .. وإنما قدمه من خلال تلك المعجزة الشعبية التى احتلت وجدان كل الرجالة.. وكل البنات التى اسمها زوزو .. أذكر أننى رأيت مشهدًا عجيبًا حينما كان يعرض الفيلم فى السينما .. آلاف من البنات خارجات من السينما .. من طبقات مختلفة .. طالبات .. موظفات .. ممرضات.. عاملات فى محلات.. كلهن خارجات من الفيلم صورة طبق الأصل من زوزو .. نفس التسريحة .. والبصة .. والبنطلون الهيلانكة بتاع زمان.. واستطاعت زوزو أن تغير نظرتى للراقصات بعدها.. وكلما رأيت رقاصة فى فرح انتابنى شعور غامض بأنها لا تزال تكمل تعليمها .. وان هذا الواقف وراءها بالفرقة .. هو رئيس اتحاد الطلبة ..

ومن أشهر المشاهد المرتبطة بهذه النجمة المعجزة.. مشهد اغتصابها فى الكرنك كان مشهدًا رهيبًا .. علق بأذهان المشاهدين بصورة غريبة.. بل إن مغتصبها الكومبارس صار نجمًا ومعروفًا بالاسم.. ليس اسمه الحقيقى.. وإنما اسمه فى الفيلم.. فرج . وتساءلت فيما بينى وبين نفسى لماذا تذكر الناس فرج.. الذى لم يفعل شيئًا فى الفيلم ولم يقل كلمة سوى أنه اغتصبها.. الإجابة..

لأنها عزيزة قوى على الناس.. لأنها صديقة.. جارة.. أختى.. بنت حتتى.. بنت خالتى.. بل إن الشاشة شهدت نجمات كثيرات يغتصبن.. إنما هنا.. نتوقف قليلاً.. إن الجمهور لايقبل أن يمسها أحد.. لأنها ملك هذا الجمهور .

الصفحة قاربت على الانتهاء.. والكلام لم يبدأ بعد.. أنا يادوب بدأت أسخن ولكنى مقيد بالصفحة.. آخر حاجة.. قبل ما أمشى.. قصة لقائى الحقيقى بها.. فى المسرح فى أول رواية اكتبها.. جاءت لتحضر البروفة الجنرال.. وجلست فى أول صف.. كنت فى مكتب داخل المسرح وجاء أحدهم وقال للمنتج.. مدام سعاد حسنى بتتفرج.. انتفضت واقفًا.. وأمسكت بالرجل.. سعاد حسنى.. حسنى !! أجاب الرجل .. ايوه يا أستاذ.. وعاوزاك أمسكته من ياقة قميصه .. وقلت له.. ركز معايا وحياة والدك.. سعاد حسنى اللى هيه سعاد حسنى.. ونظر لى الرجل كأننى قد أصابنى جنون.. وجريت من المكتب إلى المسرح كمن مسته الكهرباء صاروخ.. و.. أخ.. حته هُضر!! .. وذهبت إليها جلست بجوارها.. سلمت عليها وعرفتها بنفسى.. كانت هى تنظر إلى المسرح تشاهد البروفة.. وأنا أنظر إليها فقط.. بروفة إيه دى اللى ح أبص عليها وسألت نفسى هل يعقل أن تعتزل فنانة بهذا التوهج وبهذه العبقرية؟! وأجبت على نفسى.. هى لم تعتزل .. احنا اللى اعتزلنا ..

سعاد حسنى .. راحت .. عند عبد الحليم

راحت السندريللا .. اختفت فجأة ولم تترك فردة حذاءها فى حفلة الأمير وهو لن يجوب البلاد بحثًا عن قدم تناسب فردة حذاء سندريللا كما حدث فى الحدوتة.. فلن يعثر عليها الأمير مهما فتش ومهما حاول.. راحت السندريللا.. رقصت رقصتها الرومانسية البديعة.. فأثارت القلوب وحركت المشاعر.. ثم تسللت فجأة.. وتركت كل شىء.

ولم ترحل السندريللا.. من هنا.. من وسطنا.. من بين عشاقها حبايبها والهائمين بها وإنما رحلت من هناك من بلاد غريبة.. باردة لم تمت فى بيتها المتواضع فى مصر ولم تلق نظرة على نهر النيل قبل الرحيل وإنما كانت النهاية.. هناك.. عند نهر.. التيمز.. فى لانكشير وإكسفورد وبادينجتون.. ماتت بالانجليزية وهى المصرية حتى النخاع.. ومتى حدث هذا؟ هل هو يوم الجمعة الماضى كما قالوا فى نشرة الأخبار؟! لا لم يحدث.. قبل ذلك بكثير.. حينما القت بها الأيام فى بلاد تانية.. تتنفس فيها هواء تانى.. ماتت يوم أن مرضت وهى فى قمة عنفوانها.. وحيويتها وأصرت كعادتها أن تتدخل فى المونتاج.. تحذف هذا الجزء المؤلم من فيلمها الفاتن.. هربت.. ابتعدت.. وكأنها صدقت - كما



صدقنا نحن - أنها هى سندريللا بالفعل.. وصرنا كلنا.. ذلك الأمير المتيم الولهان الباحث عنها فى كل مكان.

سقطت أوراقها.. ورقة ورقة.. مرة برحيل صلاح چاهين أستاذها.. وأبوها.. وعقلها الذى كانت تعشقه والذى كان بالنسبة لها أشبه بالساحرة الطيبة التى ألبستها الفستان المسحور وجعلتها أجمل فتاة فى الحفل.. ولكنها لم تنس أن

تؤكد عليها أن تغادر الحفل قبل «الثانية عشرة» وإلا فسد كل شيء وسقطت أوراقها مرة.. برحيل عبد الحليم حافظ.. قالوا إنها أحبته وقالوا إنه الذى أحبها.. ونحن أحببنا أن تحبه وأن يحبها...

وأكد بعضهم أنها تزوجته والبعض الآخر.. أكد أن هذا لم يحدث وكانت هى هناك فى لندن.. صامتة.. لا ترد.. ولا تجادل.. ولا تؤكد ولا تنفى وها هى الآن قد رحلت.. ذهبت إليه..

من نفس المحطة الأخيرة التى غادرنا هو فيها أيضًا.. من لندن.. ما أصعب النهايات.. الشقية الجميلة الخفيفة.. المنطلقة.. تموت بالاكتئاب!! إن عصرًا كاملاً من الفن والبهجة والروعة أراه أمامى وهو ينسحب فى أسى..

راحت السندريللا.. ولكن يا سوسو.. بدرى قوى لا زلت صغيرة صغيرة على الحب وعلى البعد وعلى الإكتئاب.. ثم إن سندريلا ترحل فى منتصف الليل كم تقول الحدوته والساعة لم تأت الثانية عشرة بعد يا عزيزتى.. فلماذا هذا الهروب المفاجىء؟!

كنت بعيدة فى بلاد الإنجليز.. ولم نكن نطيق هذا البعد.. والآن صرت بعيدة جدًا فكيف نتحمل؟!.. كان وجودك هناك مؤلمًا.. كنا نتوسل إليك أن ترجعى.. أن نراك فقط.. أن نسمع صوتك أخبارك أى حاجة من ريحتك ورغم التوسل والإلحاح لم نفقد الأمل أبدًا.. فبجوار صالة السفر

فى المطار.. دائمًا هناك صالة أخرى.. للوصول.. باقات الزهور كانت جاهزة لاستقبالك وقصائد الشعر كانت مكتوبة.. وفرقة «حسب الله» واخدة عربون.. وسمير خفاجى.. جاهز بالمسرحية التى ستقومين ببطولتها.. هو يعلم أنك صعبة ومتعبة ومجادلة نمكية.. ولكن يهون كل التعب معك.. كنت ستجدينه واقفًا فى المطار بإنتظارك طبعًا.. وستجديننى واقفًا بجواره.. فأنا لا أضيع فرصة كهذه أبدًا.. هل تذكرى لقائى الأول بك فى المسرح.. حينما علمت بوجودك.. وجريت ملهوفًا نحوك وأخذت .. «هضر» محترم.. كانت أول رواية أكتبها ولم أكن قد تجاوزت السادسة والعشرين.. وقفت «متنح» أمامك.. وحينما نظرت لى بعينيكى المعجزتين الضاحكتين وقلت لى مندهشة:

أنت اللى كاتب الرواية ؟! ده أنت «صغير على الكتابة» فقلت لك بسرعة.. كيف تقولين ذلك وأنت «صغيرة على الحب» فضحكت وقالت لى فى ود.. طيب أقعد هنا جنبى.. وجلست بجوارك أرقبك بطرف عينى.. ونسيت المسرحية ونسيت الممثلين.. كانت سعاد حسنى هى التى تتفرج.. وكانت.. هى البطلة..

وقال عنها صلاح چاهين فى حديث إذاعى.. مرة روحت السينما وقعدت أتفرج على فيلم لقيت حاجة كده طالعالى فى الشاشة حاجة غريبة!! زى الشهاب لما يطلع فى السما ساعتها قلت للى قاعد جنبى.. البنت دى ح تكسر الدنيا.. وقد حدث كسرت الدنيا فعلاً.. ولكن الدنيا هى أيضًا

كسرتها.. وبعد أن أعطتها كل شيء.. الشهرة.. المجد.. حب الناس.. الجمال.. الجاذبية.. خفة الدم.. والفلوس أحيانًا.. عادت وبكل قسوة وسلبتها كل شيء.. وعاشت سنواتها الأخيرة منفية بإرادتها فى لندن.. وهى التى كتبت بنفسها أدوات النفى.. (لا) ترد على تليفون.. و(لم) تقابل أحدًا.. و(لن) تعود للفن.. و(ليس) أمامها سوى أن تعيش وحيدة فى منفاها الاختيارى ترفض أن تقبل معونة من أحد أو حتى ثمن علبة دواء إلى أن قررت فجأة.. أن تلحق بمن أحبتهم وأخذت معها أيامًا جميلة من عمرنا.. عشناها معها وتركتنا فى هذا الخواء الفنى.. فى هذا التردى وهذا الافتعال وهذه المهزلة..

عذرًا يا سعاد.. لم أستطع أن أكون كوميديًا هذه المرة ولكن ربما أعود وأبتسم.. وأضحك.. وأشعر بالسعادة يومًا ما.. وأنا اسمعك تغنين بكل ظرف.. وبكل خفة دم وبكل حيوية بيت صغير فوق جزيرة لوحدنا

والعنب طالع

وريحة البحر هاله...

حلم.. ولا حقيقة؟

سيان عندنا..

النتيجة واحدة يا عزيزتى.. سواء كنت حلمًا جميلاً فى حياتنا.. وافقنا منه.. أو كنت حقيقة رائعة.. وضاعت من بين أيدينا النتيجة واحدة.. الحياة لم يعد لونها بمبى.. بأى حال من الأحوال ولا حتى الأحلام ..

سعاد حسنى .. التانية

لست طبيبًا نفسيًا.. ولا أحب أن أحلل الشخصيات ولكنى أؤكد لكم أنه دائمًا كانت هناك «سعاد» تانية.. ما أن تظهر الأولى حتى تطلع لنا التانية.. تنافسها تقاومها.. تضربها وتجرجرها من شعرها.. ثم تحضنها وتبكى بحرقة.. ثم تمسك كل منهما بيد الأخرى.. وتنطلقان فى سعادة فيملآن الدنيا كلها مرحًا وبهجة.. ولذا نراها فى معظم أفلامها لا تبحث عن دور.. وإنما عن دورين.. فهى لا ترضى أن تشتغل وتترك سعاد «التانية» فى البيت.. برغم أنها تتقاضى أجرًا واحدًا.. وتكتب اسمها مرة واحدة.. وهى لا تساوم فى هذا ولا فى ذاك.. وإنما هى تجادل وتطلع عين «المؤلف» إذا كتب لها دورًا.. دورًا واحدًا.. فى فيلم «نادية» لعبت الدورين.. المرحة المنطلقة الشقية والهادئة الخجول الرقيقة.. ولا أقول إنها لعبت الدورين باقتدار.. وإنما هى ببساطة شديدة لعبت أحد الدورين بعظمة.. والدور الثانى.. لعبته سعاد التانية.. بروعة أيضًا.. وفى فيلم «صغيرة على الحب» فعلت الشىء نفسه.. أعطت نصف الفيلم لسعاد الطفلة.. وهى لعبت الدور الثانى.. وفى «بئر الحرمان» جاء السيناريو.. وعرض عليها فاختارت سعاد الأولى دور الخطيبة البريئة المحبة.. واختارت سعاد التانية دور المرأة المثيرة التى تخرج فى أنصاص الليالى لتلتقى بالرجال وكانت أجمل من مارلين مونرو.. دائمًا كانت هناك تلك الإزدواجية فى كل أفلامها.. حتى فى زوزو.. هل يصدق

مخلوق أن تلك الراقصة التى من شارع محمد على والتى تحيى الموالد والأفراح الشعبية.. هى هذه الطالبة المثالية الملتزمة فى الجامعة؟! ولكننا جميعًا صدقناها أو بتعبير أصح صدقناهما.. وأيضًا فى « الزوجة الثانية» هل هذه الفلاحة البسيطة الغلبانة مرات أبو العلا.. هى زوجة العمدة القوية التى تحل وتربط وتكيد وتنتقم كل هذا الانتقام؟! وأيضًا هل تتحول هذه المرأة العابثة اللعوب فى «غروب وشروق» إلى هذه الزوجة المحبة الهائمة بزوجها؟! وفى مسلسلها الوحيد «هى وهو» احسبوا معى.. كم «هى» فى المسلسل.. بل كم «هى» فى كل حلقة وفى كل مشهد؟!

افترت سعاد فى الفن.. لم تترك عضلة من عضلاتها ولا عصبًا فى وجهها ولا لمحة من مشاعرها لم تطوعها لفنها المعجزة.. وكأنها كانت تعلم أن عمرها قصير.. فكانت تمثل بالدورين والتلاتة مرة واحدة..

قال مرة عنها الفنان حسين فهمى فى حديث تليفزيونى.. حينما مثلت مع سعاد.. تعجبت.. فتلك الفنانة الكبيرة التى تملأ الدنيا رقصًا وغناء وبهجة.. فى اللوكاشن (مكان التصوير) جادة جدًا.. مغلقة جدًا.. ولم أتعجب أنا.. فهذه هى سعاد التانية فموهبتها العبقرية كانت تدفعها دائما لفعل شيئين فى وقت واحد.. أتخيلها قبل التصوير شاردة.. ضاربة بوز.. قلقة.. ولكن بعد دقيقة واحدة.. حينما تدور الكاميرا.. سينفجر بركان من الدلع والضحكة الرائعة التى لم يتورع كمال الطويل أن يلحنها بعد أن كتبها صلاح چاهين هو أيضًا.. ولم تسمح سعاد الأولى ولا التانية.. لسعاد حسنى الإنسانة بأى شئ.. أحبت

فعارضتا هذا الحب.. سمحت لكل البنات فى الدنيا بأن يلقدنها فى الحب، ولم تسمح لنفسها به.. تزوجت.. ولم تعطياها الفرصة لأن تستقر أو أن تستمر.. كسبت آلاف الجنيهات.. ولم يتركا لها مليماً واحداً للزمن.. لم يكن لدى سعاد الأولى من هم سوى أن تسكت الثانية.. وتشبعها بأدوار جبارة ترضى غرورها الفنى وطموحها العبقرى.. ولم يكن لدى سعاد الثانية سوى أن توفر للأولى.. الدور الملائم.

ولكن هذا السيناريو الأخير.. كان كارثة بمعنى الكلمة كان الدور.. مريضة ضائعة وبعيدة هناك.. فى لندن!!

ماشى أعمله ولكن أين الدور الثانى؟! إن سعاد الثانية تزن عليا طول الوقت.. ولا أقبل أن أعمل دوراً بدونها.

ولأول مرة.. لم يكن لسعاد الثانية دور.. ولأول مرة.. الدور إجبارى.. أمر واقع وليس أمامها أية فرصة للاختيار.. وقاومت.. احتجبت عن الناس وزاد وزنها وسمنت وهى الرشيقة الخفيفة كالغزال.. وهذا حدث أيضاً رغماً عن إرادتها.. وبدأ الدور الجديد يزعجها بحق.. وغرقت فى الإكتئاب ولكنها لا تملك حتى أن تعتذر هذه المرة.. وقررت أن تستدعى سعاد الثانية مهما كان الثمن.. فأنقصت وزنها.. بصورة رهيبة.. ١٥ كيلو مرة واحدة.. وحينما قال لها الطبيب فى هلع.. اللى بتعمليه ده جنون.. انتى فقدتى نصف وزنك قالت له فى حزن.. يبدو أننى فقدت النصف الحلو اللى فيا.. وكانت لا تعلم أنها فقدت «سعاد» الثانية.

إن حزناً واحداً لا يكفى على رحيل سعاد حسنى.. فلا أقل من.. حزنين.. حزن على الأولى.. وحزن على الثانية.

ده أنا غلبااان

وقف النجم الوسيم جدًا يداعب شعره بأصابعه ليعيده إلى الوراء.. وكان الأوتيل كله مقلوبًا عليه.. أقصد الجنس اللطيف يعني واستطعت أن ألتقط الهمسات والتنهدات من حولي.. ياه.. ده أمور قوى.. ده أحلى من السينما كمان شفتي عنيه؟! والنجم الوسيم يقف مرتبكا لا يدرى ماذا يفعل ولكنه من آن لآخر يوزع ابتسامات ونظرات وتحيات للمعجبين والمعجبات الأحياء منهم.. والأموات وفجأة خرج من الأسانسير رجل بسيط وليس وسيمًا بأى حال من الأحوال ولا يداعب شعره بأصابعه . وإنما يحك أنفه فى حركة عصبية . هذا الرجل البسيط تحولت نحوه كل الأنظار وكل القلوب وكل الأوتيل برجالته بستاته ونسوا ذلك النجم الوسيم نهائيًا فى أقل من ثانية . لم يعد موجودًا .. وانقلب الموقف إذ داعب الرجل البسيط شعره بأصابعه.. أما النجم الوسيم فهو هذه المرة الذى حك أنفه فى حركة عصبية... وفى نفس اللحظة.. كان هناك مسئول عربى كبير يزور الأوتيل نزل من سيارته .. واندفع نحوه النجوم يسلمون عليه.. ووقف الرجل البسيط اياه مكانه لم يتحرك خطوة.. وأتى إليه المسئول الكبير وسلم عليه بحرارة.. ومد

الرجل البسيط يده فى شموخ وكبرياء منتصب القامة وسلم عليه وبرغم أن المسئول الكبير طوله مرتين.. ولكننى شعرت بقامة هذا الرجل العالية وشعرت أيضًا أن هذا المسئول المترين أقصر منه بكثير ..

عرفتم طبعًا من هذا الرجل البسيط؟ إنه زعيم الضحك الجالس على عرش الكوميديا منذ سنوات .. ولان دولة الضحك ديموقراطية لا تعرف تزويراً فى انتخابات ولا تعرف قهراً ولا ديكتاتورية.. فاز زعيمها بالأغلبية الساحقة فى عصر عزت فيه فكرة التوحد على أى شىء إلا شيئًا واحداً لم يختلف عليه إثنان.. عادل إمام.

كنت أصور برنامجًا تليفزيونيًّا فى بيروت وكان أحد الأسئلة الثابتة التى أسألها للناس.. من هو النجم الكوميدى الذى يضحكك من قلبك؟! فإذا كنت سألت خمسمائة شخص هذا السؤال فأنا سمعت خمسمائة عادل إمام مش ٤٩٩ وكنت شديد الاعتزاز والفخر بهذا الرجل الذى أسمع اسمه فى حارة ضيقة من شوارع بيروت الذين حتى وهم ينطقون اسمه كانوا يبتسمون .

ولأن مصر هى عقدة العالم كله.. فكل فنان مصرى ينجح وينال جماهيرية كبيرة يحاولون أن ينسبوه إلى أصل غير مصرى .. فيقولك.. عارف الفنانة الفلانية دى أبوها مش مصرى وأمها مجرية.. أما الفنان الفلانى فأصله

شركسى حتى تلاقى عينه زرقاء وشعره أصفر.. إلا عادل إمام.. طيب ده ح يطلع أصله شركسى إزاى يعنى ؟! انظر إلى ملامح وجهه!! مصرى بدرجة مالهاش حل - ابن الإيه!! شبه كل المصريين اللى شفتهم فى حياتى.. وفى وشه كمية شقاوة غريبة.. أراهن انه نط من على سور المدرسة وزوغ من الحصص ودخل السينما تفليته وشرب سجاير بدرى .. أراهن أنه حب واحدة وما سألتش فيه واتعذب له شويه.. أراهن انه قعد على كل قهاوى مصر وشكك ع النوتة كمان ولهذا صار زعيمًا. ولأنك تحب أن تضع على العرش نفسك وضعت عادل إمام وهذه هى أرقى أنواع الزعامة.. وهذا الولد المشاغب الذى صار زعيمًا ستدرسه الأجيال القادمة فى كتب التاريخ.. وستدخل الأبلة الفصل وتكتب على السبورة بخط جميل «عصر عادل إمام» ... وسيقول أحد التلامذة للأبلة.. «بتحطى نفسك فى مواقف بايخاه» ولكن الأبلة لن تطرده من الفصل ستقول له براڤو .. أنت مذاكر أهوه .

ولم يكن يعرف ابن حى الخليفة الشقى.. أنه فى يوم من الأيام ستتحرك خلفه عربات الحراسة لتحميه من أعداء الوطن.. وفى الواقع هى لا تحميه هو.. إنها تحمى ضحكة الجماهير العريضة الخارجة من القلب.. إنها تحمى البهجة فى صورة زعيمها.. إنها تحمينا نحن .

الفنان الحقيقى ليس هو الذى تعرفه الناس فقط حينما يمشى فى الشارع ويشيرون نحوه بأصابعهم.. وإنما هو الذى يعرف الناس كلهم بأساميهم.. بتصرفاتهم.. وعادل إمام يعرف كل المصريين.. ولو مشى فى الشارع سيناديهم بأسمائهم.. سيسألهم عن الأحوال لأنهم جميعًا يرددون مثله فى «شاهد ما شفش حاجة» ده أنا غلباان .

تحياتى لهذا الغلبان الذى تجمع حوله كل الناس الغلابة وغير الغلابة فى المولد الذى يقام كل يوم فى روايته الجديدة فيسد شارع الهرم ومن قبله شارع عماد الدين .. فصارت هوايته أن يسد شوارع مصر بمظاهرات الحب والبهجة.. ولو فتح عادل إمام مسرحًا فى الصحراء الغربية لساهم فعليًا فى تعمير الصحراء .



أيام .. مع عادل إمام

عصبى .. قنبلة موقوتة.. يرضى جداً ثم لا يرضى إطلاقا.. ينبسط جداً ثم ينفجر فى الغضب.. لا شىء بداخله سوى الفن.. حزمة من أعصاب كلها فن.. يعجبه الأفيه.. فيضحك كطفل.. يتنطط.. ويسرح ويتخيله.. ويضحك مرة ويضحك مرة أخرى كفك يا جو.. وقبلة.. ويجزل لى العطاء.. مرة قلم حبر.. مرة حتة بطيخ ساقعة.. حجر شيشة جميل.. ثم لا تعجبه الجملة التالية.. ينفعل.. يغضب ويصرخ فى زهق: بعدنا قوى.. إيه اللى ودانا السكة دى.. أنا عاوز بودى جارد.. بودى جارد.. مش ده خالص .

أمزق الورق وأنا سعيد.. أنه يسحبنى خلفه إلى قمة.. قمة بعيدة لا أراها.. أعلم أنه مرهق جداً.. متعب جداً.. ولكننى مثله مولع بالقمم.. يثير بداخلى التحدى ككاتب أتحداه بينى وبين نفسى أن ما سأكتبه سيعجبه.. ولكن المهمة صعبة.. مستحيلة فهو الذى قال كل شىء.. وفعل كل شىء فى الكوميديا.. ويطالبنى أنا بالجديد ؟!

ومـاله .. أنا لا أحب الطرق الممهدة.. أعشق الطرق الأخرى المتعرجة .. المحفوفة بالمخاطر.. كنت أعتقد أننى سأكتب مسرحية.. مجرد مسرحية.. ولكنى علمت أنه يريدها بلوة.. فكتبت بلوة .

ولكنه كان هناك بعيداً يفكر فيما هو أكثر من البلوة.. إنه يريدنى أن أكتب أسطورة.. كيف يا أستاذ؟ كيف؟ وأعود لنفسى لأجدها تقولى لى.. هذا حقه.. أليس هو نفسه أسطورة؟ تجربة مثيرة بالنسبة لى وإثارتها تكمن فيما شعرت به لأول مرة فى حياتى بعد الكتابة.. إن الكلام الذى أكتبه حينما أسمعه وهو الذى يقوله ينتابنى إحساس عجيب كأننى لم أكتبه فعلا.. أنا الذى كتبت قبل ذلك كثيراً ووجدت كلامى بشعا على لسان من يقوله.. وكم كتبت ولم أطق أن أسمع ما كتبت.. إنه يحول الكلمة التى أكتبها إلى نجمة.. تبرق.. تلمع مثله تماماً.. قول يا أستاذ إيه الروعة دى. وأموت على نفسى من الضحك «لا بصراحة بقى.. أنا محصلتش» وأروح البيت وأنا أحتضن النص من فرط سعادتى.. وأفتحه وأقرأ.. لأ.. ليس هذا الذى سمعته من عادل إمام.. ينتابنى وأنا أقرأ كلامى إحساس آخر أقل.. أقل بكثير إنها الكاريزما العجيبة لهذا النجم الفلتة.. واسمعوا نصائحه لكاتب المفروض أنه سيبدأ كتابة مسرحية له.. اسمع يا چو.. مالكش دعوة بدورى.. ماتشغلش بالك.. اعمل لى كل الأدوار التانية بتفاصيلها.. إغزلها كويس.. اعمل الرواية وبعدين نتكلم فى دورى .

معقولة.. هل أكتب لعادل إمام ولا أفكر فى عادل إمام؟ حذرونى.. قالولى إنك ستفصل له الدور على مقاسه.. وذهبت إليه ومعى الباترون.. لا يبقى إلا أن آخذ المقاسات ولكننى فوجئت به يعطينى مقاسات كل الأدوار الأخرى



ويطلب منى أن أتمطع فيها.. وظللت لفترة لا أستطيع أن أفهمه.. إنه يكلمنى فى الأدوار الصامتة والشخوص الثانوية.. يبحث عن ملامحها عن سلوكها.. يريدها أن تخرج من الورق وتصبح لحم ودم.. نعم لم يكن هذا هو اللقاء الأول بينى وبينه.. عملنا فيلمًا جميلاً معًا وتلاقينا جدًا.. لكن فى المسرح بقى.. إنسى.. أنت تعامل شخصًا آخر.. سبعة أيام عنده فى العجمى نقوم وننام ولاشىء سوى الرواية نتفق على فكرة.. نتبناها.. نصنعها ثم نلقى بها فى أقرب صفيحة قمامة... ويجرفنا تيار آخر.. يستهوينا.. فنسبح فى اتجاهه.. ولكن فجأة نعود مسرعين إلى صفيحة القمامة.. ونخرج الفكرة الأولى.. وننفضها من التراب.. وننظر لها من زاوية جديدة.. وتعبت.. وزهقت.. وصرخت.. قال لى شريكى فى تأليف الرواية الكاتب الكبير العظيم سمير خفاجي.. تحمل.. تحمل يا يوسف.. قلت له أنا لا أكتب ولكنى أتحمل.. أجاب بابتسامته وهدوئه العجيب.. هوه عادل كده وعشان كده بقى كده وعشان تبقى كده.. لازم تعمل كده..

حد فهم حاجة يا اخواننا؟ ولكن المؤلف الشيطان الذى بداخلى بعناد وتصميم يقسم.. سأفعلها.. سأعجبه. لابد أن أعجبه.. حتى لو بطلت الكتابة بعدها.. ونجلس أنا والأستاذ سمير.. وأكتب.. ويصله المشهد.. وأكلم الأستاذ سمير خفاجي.. وأسأله.. كلمك؟ يرد : لأ .. ما تعرفش الورق عجبه واللا لأ؟ يرد : لأ.. مفيش أى أخبار؟ يرد: لأ.. ثم يسألنى هو فى يأس؟ مش حتيجى تتغدا معايا.. أرد: لأ.. ويومان من القلق.. أنا لا أحب انتظار النتيجة.. أريدها أن تأتى فجاة.. نجحت.. سقطت.. بس أعرف.. كنا في هذه الرواية أربعة أجيال نتصارع.. سمير خفاجى بتاريخه العريق ورواياته الخالدة وعادل إمام نجم نجوم الكوميديا في العالم العربى كله بلا منازع عشرات السنين وأنا.. وشاب موهوب لم يكمل ٢٤ عامًا.. رامى إمام وهو عنيد أيضًا وله وجهة نظر.. ويحلم ويفكر ويختلف.. والأستاذ عادل يختلف.. عام كامل نختلف ونتفق.. ننفعل ونضحك.. نكتب ونشطب.. وفى هذه الرواية أصبت بمرض السكر فكان سمير خفاجي يعمل لى الخرشوف المسلوق مخصوص ويشخط فيا حينما أنسى ميعاد الدوا.. وأخيرًا فعلناها.. ويوم الافتتاح.. كان كما كان يتمنى عادل إمام.. أسطوريًا.. خرافيًا.. وصرخ من الفرحة وقال: "we did it" وارتميت فى حضن سمير خفاجى وانفجرنا فى البكاء.. وأقر وأعترف هنا أن تجربتى مع عادل إمام فى هذه المسرحية.. هى تجربة عمرى كله .

ماحدش شاف.. منير مراد!!

لا أكتب عنه فى ذكراه السنوية، ولا النهارده عيد ميلاده.. ولا يرتبط اليوم بأى مناسبة تخصه، كما أنه ليس قريبى وهو لن يرفع سماعة التليفون غداً ليشكرنى.. ولكنه يطرح سؤالاً رهيباً يؤرقنى.. لماذا لم يصبح منير مراد أكثر أهمية من منير مراد هذا الذى نراه؟! ممثل فى منتهى الحضور وخفة الدم.. صوت جميل عذب تحس أن فيه مغنى حلواً.. راقص لم تأت لنا السينما بمثيله.. ملحن رائع له صولات وجولات مع المطربين والمطربات.. وهو منولوجست أيضاً.. إنه كتيبة فنية متنقلة.. عاوز إيه سعادتك.. كوميدى؟ موجود.. جان أو شاب قمور تهيم به البنات؟! موجود الحقيقة منير كان بلوه فنية.. رقص تلاقى.. مغنى تلاقى.. تأليف.. تلحين.. إخراج.. كل حاجة.. رأيت له فيلمين واحد اسمه!! «نهارك سعيد» والتانى اسمه «أنا وحبيبى».. وتسمرت أمامه.. تأملته وهو يؤدى الاسكتش الشهير الذى يقلد فيه عبد الوهاب وفريد وعبد المطلب.. وحتى أخته الراحلة الرائعة ليلى مراد.. إنه ينافس شكوكو إن لم يتفوق عليه.. إنه لا يقلد بل يقدم لك الحالة.. الحالة الفنية مبالغاً فيها ولكنها تبدو كقطعة فنية

مشغولة ومتكاملة وتأملته راقصًا مع الفرقة الاستعراضية والبنات الخواجات وراءه فوجدت أمامى حاجة كده زى جين كيلى. والشىء الذى يهرنى فى منير مراد الممثل أن به عذوبة.. وطيبة.. ورغبة حقيقية صادقة من داخله فى إمتاعك.. لم يقدم لك أفلامًا معقدة.. ولم يدخل التاريخ ولم يفز فى مهرجانات قالك نهارك سعيد - وقال أنا وحبيبى.. لايت كوميدى حقيقى.. أحضر معه عبد السلام النابلسى وزينات صدقى.. واعتمد على الله.. موضوعات أفلامه بسيطة وسهلة ولكنك لا تشبع منها.. أنها مثل ماء القلة.. يروى كالسلسبيل.. هل كانت مشكلة منير مراد أنه كان يفعل كل شىء.. إنها مشكلة فى بلدنا بالذات.. مشكلة حقيقية.. فى فيلم أنا وحبيبى كان يقوم بدور فنان مغمور فى تياترو شعبى وذهبت النجمة شادية ومعها المنتج الأليط دائمًا اللى مش طايق روحه.. عبد السلام النابلسى فوجدا منير مراد.. هو الذى يقطع التذاكر.. وهو الذى يجلس الناس فى مقاعدهم بالبطارية.. وهو الذى يغنى ويمثل ويرقص.. ويحلق للزبائن أيضًا.. واستفز ذلك عبد السلام النابلسى ولكن هل استفزنا نحن؟!! سيلفستر ستالونى يمثل ويؤلف ويخرج.. وبيلعب حديد كمان.. ولا أحد هناك يهاجمه.. لماذا توقف منير مراد!! ما الذى كبح جماحه؟! لماذا بعد نهارك سعيد لم يقدم لنا..

نهــارك فل.. ونـهــارك نـادى.. ونهــارك حليب.. ونهــارك مش فـايت.. ولماذا لم تصبـح سلسلة.. لماذا ننظر للبسـاطة على أنهــا تفــاهة.. ولماذا نســتكثـر على الموهبــة أن تتنوع وأن تتشعب وإذا قـعد ممثل مع نفسه ومسك ورقة وقلم وجرب إيده فى كتابة سـهرة تليفزيونية لماذا يقاطعه المؤلفون فوراً. ويقول له أحدهم ساخراً ومهدداً ومتوعداً فى نفس الوقت.. إيه إنت ناوى تكتب يا أســتــاذ وإلا إيه حكايتك؟! وإذا جـرب مؤلف وأخرج.. يتهامس المخرجون ده ح يخرج بقى!! ما هو ده اللى ناقص.. مــا تسـيــبـوا الناس تكتب وتخـرج وتمثل وترقص وتغنى وتعـمل اللى هيــه عــاوزاه. الفن انطلاق.. جنون..حرية.. طقـقـان.. كسـر القـاعـدة.. الفن مـالوش أى قـاعـدة.. إوعى تقـول لى ليـه خليت البطل يسـيب البطلة.. إياك.. أنا حر.. أنت خليه يفضل معاها.. أنا عاوزه يسيبها.. نعـود لمنيـر مـراد.. وأتسـاءل.. هل فـشلت أفـلامـه.. هـل لم يتـقبلها الجمـهور أيامـها؟! لماذا ترك الكاميـرات والأضـواء وانكب على عوده يلحن فقط.. هل هى صلة الأخوة بأسطورة السينما ليلى مراد التى جعلت الجمهور مثلاً يعتقد أنه مثل (بالواسطة)!! لا أعلم!! ولم تكن حــالة منيـر مــراد حــالة خاصة.. سعد عبد الوهاب أيضًا مثل أكثر من فيلم فى غاية الروعـة ولا ننسى كلنا.. «الدنيـا ريشـة فى هوا.. طايرة من

غير جناحين».. ومع ذلك لم يستمر.. لأنه فى رأيى.. أنه برغم روعتـه.. لم يكن نسـيـجًا وحـده.. كـان المطرب العـاشق الرومـانسـى الذى يحب فـى صـمت.. وكـان ممثـلاً مـعـقـولاً وأغانيه جميلة جداً.. ولكنه كان شبه حد.. يشبه شيئًا ما رأيته قبل ذلك.. ولذا كـان وجوده على المائدة الفنية مطلوباً ولكن ليس حـراقًا.. إلا هذا الأعـجوبة.. منيـر مـراد.. إنه لا يشـبـه أحـداً.. مـأسـاته فى رأيى أنه طلـع فى عـصـر ليس عصـره.. فى أيام ليست أيامه.. ظـهر فـــى وقت كــــان المولـــد منصوبًا.. كانــت هيصـــة فنية أسطـورية.. أفلام فريد وعبد الحليم.. وليلى مـراد وأنور وجدى ويوسف وهبى وكان هو منيراً فـعـلاً ولكن الأضـواء السـاطعـة التى حوله جعلت نوره يخبو.. فلم يشـعر به أحد.. وكان نوره أشبه بأن تضئ لمبات الشقة فى عز النهار معضلة الفن تكمن فى أن هناك شيئًا آخر.. خـفيًا جبـاراً ليس له حـسابات وليس له قواعد.. بصرف النظر عما يقدمه الفنان وبصـرف النظر عن قـيمتـه الفنيـة هذا الشـىء هو لحظة التـوهج حـينمـا تتـدخل إرادة ربنا وتشـيـر إلى هذا الفنان.. فـيـدخل القلوب بلا استـئذان.. ومنيـر مـراد دخل قلبى.. دخل قلوبنا جـمـيـعًا.. ولكن بعد فوات الأوان .

أصحابى التخان !!

كفى بجسمى نحولاً أننى رجلٌ .

لولا مخاطبتى إياك لم ترنى ..

هذا هو البيت الذى يعبر أدق تعبير عن كاتب هذه السطور وبالتحديد فى البداية.. قبل الفلوس ما تجرى فى أيدى والعز يبان عليا.. كنت نحيلاً.. نحيلاً إذا نفخنى أحد الزملاء أطير.. وكانت رأسى كبيرة ومبططة مع عينين مفتوحتين لامعتين بهما بريق لا ينكر.. تتأملان فى إندهاش وحسد.. كل أصدقائى من التخان والسمان والمكلبظين.

كانت رقبتى مثل علبة زبادى صغيرة تنوء بحمل هذا الرأس وذراعاى عبارة عن اثنين بقصمات من غير سمسم أما صدرى.. فكان بالكاد مساحة تكفى للصق اثنين بقصمات معًا فإذا نزلنا قليلاً لنصل إلى البطن ستجد أمامك مفاجأة مفيش بطن خالص.. لا أثر لأى شىء سوى بعض الضلوع وتجلت معجزة الخالق سبحانه وتعالى فى أن يخرج من هذا الماكيت الصغير ساقان شبه الرجلين بتوع الناس بالضبط.. فكنت أضع الحقيبة على كتفى فتصل إلى آخر ظهرى ويصحبها بالطبع انحناءة كبيرة ليس احترامًا لجلال العلم وإنما لثقل الحقيبة نفسها.. وذات يوم كنت

ذاهبًا إلى المدرسة وهبت عاصفة هوائية شديدة حملتنى كريشه فى هوا طايره من غير جناحين ووجدتنى واقفًا فى فناء المدرسة قبل الطابور بنصف ساعة مع أنى نازل متأخر وفى مسابقات الجرى الشهيرة كنت دائمًا أول المتسابقين بشرط أن أجرى فى اتجاه التيار.. وباعتبارى فردًا من أسرة متوسطة يتبادل أفرادها هدوم بعضهم بعضًا يرث فيها الأصغر هدوم الأكبر.. فكان بنطلون أخى الأكبر ينقسم بسهولة إلى بنطلونين حلوين بتنيه وكسر وكانت تفيض منهما قطعة معقولة من القماش تعملها لى أمى صديرى.. وكان الشارع الذى فيه مدرستى اسمه شارع النخيل.. وقام أحد زملائى الأشرار بحذف النقطة من فوق الخاء فأصبح اسمه شارع النحيل وكانت تلك أول مرة يطلق فيها اسمى على أحد الشوارع بالعاصمة.. ولم يعوضنى هذا التقدير من الدولة فى طفولتى ولم يجعلنى أكف عن أن أحسد أصحابى المتختخين الذين كانوا يملكون حضورًا عجيبًا ويقع الناس فى حبهم من أول نظرة أما طفل نحيف مثلى فيجب أن يبذل مجهودًا كبيرًا كى يحصل على دلعهم وابتسامتهم.. فكان ذهنى يشتغل طول الوقت كى أجد التعليق المناسب الذى ينتزع ضحكة ممن حولى ويبرزنى بينهم.. بينما يصل إلى ذلك صاحبى التخين بكل سهولة وبلا مجهود.. وهكذا كان لأصحابى التخان الفضل فى أن أحاول أن أكون كاتبًا كوميديًا.. ومع ذلك فأنا لا أنكر أن كل

محطة فى حياتى ساهم فى صنعها واحد منهم فأولى مسرحياتى التى قدمتنى حمل عبئها وشالها على كتافه واحد من أظرف النجوم التخان فى القرن العشرين على الإطلاق.. إنه النجم الكبير چورچ سيدهم ذهبت إلى بيته مع أخيه المنتج الأستاذ أمير سيدهم ومعى الرواية .. حب فى التخشيبة.. قال لى فى الأسانسير.. لو الرواية عجبت چورچ .. خلاص.. أنت عديت.. وكانت أول مرة التقى به وجهًا لوجه.. ورغمًا عنى.. ابتسمت.. أنت لا تستطيع أن تفعل شيئًا سوى أن تبتسم.. قبل أن يفتح هو بقه.. وبدأت القراءة فى جو متوتر لكاتب شاب لم يصبح كاتبًا بعد ولكن يد چورچ السمينة المربربة كانت تربت على كتفى كلما أعجبته جملة.. أما إذا أعجبته قوى فيقشر موزايه ويدفسها لى فى بقى إنه حنان الفنان وليس حنان التخان.. وعلى يد چورچ.. أصبحت مؤلفًا مسرحيًا..

أما التخين الآخر الذى كان كلما يقابلنى يحضنى بقوة.. يبلعنى بقوة تكسر لى عظامى.. وبكل حب يخبطنى بيده الضخمة ويقول.. إيه يا بنى أنت.. الفلوس غيرتك واللا إيه وكما هو المعتاد فى هزار التخان تظل خبطته فى صدرى تسمع فى كل جسمى ثلاثة أيام على الأقل.. واتفاداه بكل الطرق.. لكنه يظهر لى فجأة من تحت الأرض وهات على سلسلة ضهرى.. بحبك يابن الإيه بأموت فيك يابن اللذينه أمك عاملة محشى؟! أنا جاى.. قوللها تعمل حسابى.. هات

التليفون.. ألو.. أزيك يا ماما.. أنا جاى آكل عندك.. يدخل إلى بيتى.. هو لا يتعامل مع الكراسى.. أنه لا يثق سوى بالكنبة.. يتقدم نحوها بكل حب.. وهى تئن من مجرد فكرة جلوسه عليها.. ويريح عليها بكامل قواه الجسدية فتتحول الكنبة إلى قوس رأساه إلى أعلى.. إيه يا بنى مش ح نشتغل مع بعض واللا مش ناوى تحترم نفسك.. ونعملها.. نلتقى فى عمل كوميدى (شباب رايق جداً) أول مسلسل تليفزيونى أكتبه .. إنه (نجرو) .. محمد النجار أخف مخرج بهذا الحجم رأيته فى حياتى.. يريد أن يصبح مهماً ويخرج أفلاماً تذهب إلى مهرجانات.. وفعلها.. وعمل الصرخة وزمن حاتم زهران.. ولكن يا صديقى التخين أنت كوميديان أردت أم لم ترد.. شئت أم أبيت.. وإلا فما الذى جعلنى اتحمل رزالتك وأيدك اللى زى المرزبة والولائم التى تقيمها طوال كتابة المسلسل وتجبرنى على مشاركتك الطعام تسعة وجبات فى اليوم.. كل هذا تحملته لا لشىء.. إلا لأنك كوميديان .

وسعيد الفرماوى.. رسام الكاريكاتير الجميل.. والناياتى العظيم والشاعر الأعظم والفنان الفلته وهو عكسى.. على فكرة دماغه صغيرة لا تتناسب على الإطلاق مع كرشه الضخم الذى يضحك أولاً قبل شفتيه ثم أنه حينما يضحك.. يهتز كرشه هزات ريختريه ثم يميل بكل جسمه إلى الإمام حتى تلمس جبهته الأرض.. هو الذى عاش طفولتى كلها

كان هو شابًا محترمًا وسافر إلى لندن وتركنى فى السابعة من عمرى وعاد بعد كذا وعشرين سنة لنتبادل الأدوار.. أصبح هو طفلاً ضخمًا وأنا صرت شابًا محترمًا آخذه على قد عقله.. ولكننى لا أستطيع أن أخذه على قد فنه.

والتخين التانى الكارثة.. المخرج نبيل عبد النعيم.. أستاذ الميلودراما فى البرامج التليفزيونية وصاحب النجاحات الساحقة.. أن اسمه على البرنامج يكفى لكى تبدأ فى النهنهة.. والتقيت به.. أن شكله ليس عاطفيًا بالمرة.. وقلت لنفسى سبحان الله.. هذا التخين صاحب الملامح الحادة.. يملك كل هذا الحس المرهف.. وهذه الرقـــة والحنان.. وأقسمت أن أحول مساره.. وأن أجعله يضحكنا يا للا يا نبيل.. نعمل برنامج مع بعض.. ولكنه سحبنى إلى عالمه هو .. وجدت نفسى أنا الذى أبكى.. منك لله يا بلبل.

أعزائى .. يبدو أن عقدتى انحلت.. ولم أعد أحقد على التخان.. لأنهم كانوا قوة الدفع لى فى مسيرتى ثم أن كرشى بدأ يظهر هو الآخر مبشراً بأننى سأنضم إلى قبيلتهم فى القريب العاجل .

فتيات الأحلام

لكى نعيش يا أعزائى.. يجب أن نحلم.. فالحياة بلا أحلام ماتلذش ولهذا فلكل بنت فتى أحلام ولكل شاب فتاة أحلام.. وإذا تابعنا أجيال نجمات السينما مثلا لاستطعنا أن نكون تصوراً عن تطور شكل فتاة الأحلام من جيل إلى جيل.. فى البدايات مثلاً نرى راقية إبراهيم.. ومارى كوينى.. وعزيزة أمير.. وبهيجة حافظ.. تحس أنهن هوانم.. كلهن «خُنْف» جمع خنفاء يعنى الجيوب الأنفية بعافية شوية ويتكلمْ بأنوفهن وكلهن فى منتهى الشياكة والألاطة والدلع «المرق» وأضم إليهن أسمهان أيضًا وكان هذا يتناسب مع سينما القصور والباشاوات والهوانم.. ولما جاء كمال سليم ونزل إلى الحارة المصرية أتحفنا بطعم جديد لنجمة ساطعة فى أيامها وهى فاطمة رشدى.. بنت البلد اللى على حق.. يقبلها «حسين صدقى» فى بير السلم فتقول له فى ذعر.. سى محمد الجيران يشوفونا ياسى محمد ثم تقبله هى ونجح الفيلم نجاحًا ساحقًا.. فآلاف من الشغالات والبنات اللاتى يرتدين الشبشب الزنوبة ويقفن جنب الفرن وجدن أنفسهن فى هذا الفيلم.. ثم ظهرت فتاة أحلام جديدة رقيقة مغلوبة على أمرها.. منكسرة تقطع القلب فاتن حمامة..

ونام كل رجل فى هذا الوقت وقد تخيل بجواره على وسادته الخالية فاتن حمامة ويحلم بأن يخلصها من العذاب الذى تعيش فيه.. وبعدها ظهرت ماجدة أشهر وأخف دم مراهقة في تاريخ السينما.. وسواء فاتن أو ماجدة كلتاهما يلعب فى منطقة «المقطقط» الصغنن يعنى إلى أن فجرت السينما بقه.. وظهرت البطلات اللاتى يملأن العين.. أيوه كده قول يا سيدى.. عندك هدى سلطان.. شاديه.. ليلى فوزى.. هند رستم.. بسم الله ماشاء الله والله أكبر.. بطلة تخش الفيلم من دول تملاه.. يعنى بطلة تشيل فيلم لوحدها كده.. ولذا تكررت مشاهد فى أفلام هذا الوقت حينما يغرر الشرير فى الفيلم بالبطلة «الفرعة» قائلاً .. اتمشى.. وتتمشى البطلة ويحرص المخرج على أن ينقل لك كمشاهد يعنى.. تضاريس البطلة وهى تتمشى.. والطريف أن البطلة وهى تتمشى والتى هى المفروض أنها طبقًا لأحداث الفيلم لا تريد أن تنحرف أو تمشى فى السكة البطالة.. تمشى بطريقة لا تعبر عن هذا بأى شكل من الأشكال وبعد ذلك ظهرت سعاد حسنى.. لتصبح عقدة عند كل بطلة أتت بعدها.. فقد كانت سعاد حسنى.. هى «البنت النغشة» فى السينما.. الشقية.. الدلوعة.. وهى البنت الوحيدة التى حملها الطلبة فوق رؤوسهم فى الجامعة ولفوا بها الحرم الجامعى لكى يقدموها لحسين فهمى فى مظاهرة مهيبة

ويقول الواد التقيل الأمور... زوزو؟! فترد الجامعة كلها صح براقو عليك.. ومع ذلك فإن سعاد حسنى لم يكن لها عشاق ومعجبون فحسب بل ومجانين أيضًا.. وبعد جيل التضاريس وجيل البنت النغشة.. ظهر جيل شريهان وهو جيل الشعر الطويل.. فالبنات كلهن شعرهن طويل مثل شريهان.. وكلهن معذبات بشعرهن يا عينى.. فالبنت من دول تتكلم وهى تجيب شعرها لورا ثم تنزله على الجنب ثم تلقى به فى الهواء ثم تسحبه على الكتفين.. شغلانة .

وبرغم هذه الثوابت التى لاجدال فيها لفتيات الأحلام فى السينما المصرية.. إلا أن لكل واحد برضه فتاة أحلام خاصة كده.. يعنى أنا مثلاً.. أموت فى «إيمان» التى مثلت مع سعد عبدالوهاب الفيلم بتاع الدنيا ريشة فى هوا.. كانت خجولة.. رقيقة ومثيرة جداً.. ويبدو لأنها كانت فتاة أحلامى لم تستمر فى العمل فى السينما وشطبت بدرى لا أعلم لماذا.. همس لى صديق خلف زوجته الواقفة بجوارنا حينما سألتهم فى هذا الموضوع.. قال لى.. أوف.. آمال فريد.. ماحصلتش فاكرها اللى طلعت مع عبدالحليم فى فيلم أيام وليالى.. اللى قالت له أنا فص وأنت فص.. قالت له زوجته.. بتقول ايه.. قال لها بسرعة.. بقولله فتاة أحلامى أنا لقيتها خلاص.. وابتسم فى صدق مفتعل قائلاً: انتى يا حبيبتى طبعًا.. قالت الزوجة فى غلاسة.. آه..

باحسب .

ولا يوجد زوج يرى فى زوجته فتاة أحلامه.. لا أعلم لماذا.. ربما لأنه يحلم ويقوم من حلمه فيجدها نائمة بجواره مشغلة «استريو» وهى نايمة.. ذلك هو الواقع الذى لا مفر منه.. ويتحسر الزوج المسكين الذى كان يعشق زبيدة ثروت صاحبة أجمل عينين فى الدنيا.. ويقول لنفسه فى أسى.. أكيد زبيدة ما بتشخرش وهيه نايمة.. إنما أعمل ايه حظى بقى.

وأنا للحق دخت بحثًا عن فتاة أحلامى إياها.. إلى أن وجدتها فى فرح واقتربت منها قائلاً.. الباشا متجوز فقالت لأ.. فقلت فى صياعة.. طيب حد متكلم.. مربط يعنى.. فقالت فى خجل لأ.. قلتلها يعنى معكيش حد.. قالت فى براءة .. لأ.. معايا عيل.. وذهبت إلى أمى أبشرها بالخبر.. خلاص ياستى .. ح أريحك وح اتجوز فانفرجت أساريرها فى سعادة.. وقالت بركة.. العروسة اسمها ايه فقلت لها فى سعادة.. اسمها أم عمرو..

البرىء والجميلات

فى كل مرحلة من مراحل حياتى كان لى فتاة أحلام.. بطلة.. تخرج من شاشة السينما لتملأ شاشة خيالى بأفلام أخرى هى لم تمثلها وإنما أنا الذى كتبتها وأخرجتها وأنا الوحيد الذى شاهدها أيضًا.. ولم يكن حبى لبطلاتى حبًا مستحيلاً لمعجب ولهان ينظر إلى نجمة فى السماء وإنما كان حبًا حقيقيًا بعياط ونهنهة وضرب وخناق وفراق.. وأحضان وقبلات.. وكانت أفلامى أعنى أحلامى.. أجمل بكثير من كل الأفلام التى تشاهدونها حضراتكم فأنا البطل.. والمؤلف.. والمخرج.. وأنا أيضًا الرقيب.. وكانت باكورة إنتاج أحلامى.. وأنا طفل فى السابعة.. حلم بطلته كيتى الراقصة.. كنت مفتونًا بها فى طفولتى.. هائمًا.. لا أعلم لماذا ربما لأنها كانت قصيرة.. أشبه بدميه.. وفى القصر أنوثة.. ولكن من أين لى أن أشعر بالأنوثة فى هذه السن.. أفتح كتاب القراءة الرشيدة أجدها أمامى تتمايل وتتثنى.. وتنهال عصا الأستاذ مدرس اللغة العربية على ضهر أيدى.. سرحان فى أيه يا ولد؟ بالله عليكم ماذا أقول.. سرحان فى كيتى.. ولما كانت

بينى وبين والدى يرحمه الله صداقة وطيده.. ذهبت إليه واعترفت بحبى.. وانفجر الرجل ضاحكًا وقال بس دى ماتت يا بنى.. وتحجرت الدموع فى عينى.. ماتت!! وكانت أول صدمة عاطفية تواجه طفلاً فى السابعة.. وكانت صدمتى الكبرى أنها ماتت محترقه وكانت هذه هى الطريقة التى استغلها أبى فى أن أكف نهائيًا عن اللعب بالكبريت.. لعبتى المفضلة فى هذا الوقت.. إحترامًا لذكراها فى نفسى.. وكان يجب أن أنسى كيتى فأنغمست فى علاقة حب جديدة بدأت وأنا فى رابعة ابتدائى.. مع أحلى وأشهى بطلة فى الوجود.. كاميليا كنت أشعر أنها مخلوقة من الحرير.. ناعمة.. مثل الغريبه.. وأعددت الشاشة.. شاشة ذهنى.. والتيمه جاهزة.. أطرق الباب تفتح كاميليا.. ترانى.. تندهش.. تأخذنى فى أحضانها.. ليس كطفل بالطبع فأنا فى أحلامى أبدو أكبر بكثير وأطول بكثير.. تنطق اسمى بشفتيها المعجزة.. يوسوف.. أفيق على وكزه من يد أبى.. الساعة بقت اثنين مش عندك مدرسة الصبح.. شوف الواد متنح أزاى للفيلم.. احنا ح نخلص من كيتى نقع فى كاميليا.. أقول لنفسى.. لماذا يا حاج تهين مشاعرى بهذه الطريقة.. ولكنه بكل قسوة يلقى بالحقيقة المرة.. دى ماتت.. وتحجرت الدموع فى عينى..

مـاتت!! ويلقى أبى القاسى بقنبلته الثانية.. ماتت محروقة.. وانفجر فى البكاء من هول الصدمة.. هوه أنا كل ما أحب واحدة تطلع محروقة وصارت عندى من يومها عقدة من النار شعرت أنها تأكل الجمال وعليه كلما اعجبت بواحدة ملت على أبى وسألته دى نظامها إيه يا حاج فلم أعد أتحمل أى صدمات .

وكبرت وتزوجت.. وكأى زوج يبدأ حياته بالكذب افهمت زوجتى أنها هى فتاة أحلامى التى تعيش فى شاشة خيالى طوال عمرى وذلك بالطبع حتى تكتمل الزيجة فهى كزوجة تعتبر أن إعجاب زوجها بأى مخلوق فى الدنيا غيرها جريمة لا تغتفر ومرت السنة الأولى فى الزواج هادئة جميلة.. طالما أننى كلما ظهرت هند رستم فى فيلم أؤكد أنها ليست التيب الذى يعجبنى وكلما ظهرت مريم فخر الدين أو صباح قلت إن جمالهما من النوع الذى لا يثيرنى وأن شفايف كاميليا تشعرنى بالتقزز وأن نعيمة عاكف لها ساق أطول من ساق.. وظلت أكاذيبى هذه هى البلسم الذى يشفى ويجعل الحياة تمر بسلام.. إلى أن كلفونى فى الكواكب بكتابة هذا المقال عن جميلات الشاشة وشعرت أنها مؤامرة تهدد بيتى الآمن.. مبدئيًا بمجرد ما أن علمت زوجتى بنيتى فى الكتابة

عن جـمـيـلات الشـاشـة.. تركـتـنى ثلاثة أيام بلا أفطار أو سحور فى هذا الشـهر الكريم وكلما وجدتنى ممسكا بورقة وقلم.. قـالت فى تحـفـز.. بتكتب عن مين؟ مـديحـة كـامل؟ عاجباك مديحة كامل أمزق الورقة.. واسكت.. وتحت ضغط الجوع والحصار الاقـتـصـادى اضطررت أن أقـدم بعض التنازلات قلت لها متهللا.. خلاص.. عرفت ح اكتب عن مين قالت فى ريبة.. مين؟ قلت أنا لن اكتب عن جميلات الشاشة مـادمت لا أرى فيـهن أى جـمـال.. سـأكتب عن رشـدى أباظة إيه رأيك .. ابتـسـمت فى رضـا وقـالت أهو ده مـوضـوع كويس وذهبت لتحـضـر السـحـور.. رشـدى أباظة مـا أروعه من رجل.. إنه النموذج فى الذوق الرفيع أسمع صوتها من المطبخ هايل ده يا يوسف.. دخول حلو قوى فى الموضوع.. أكمل ولكن فى سرى.. ألم يتزوج وحده ثلاثة مـن أسـاطير الجـمـال اللاتى لا يخـتـلف عليـهن أحـد.. تحـيـة كـاريوكـا.. وسامية جمال وصباح؟!

توحـة.. قـال عنـهـا كـاتب إنجليـزى زار مـصـر فى الأربعينات إنها لا ترقص وإنما هى أشـبـه بسـاحـرة من ليـالى ألف ليلة.. وإن الليلة التى قـضـاها يشـاهدها وهى ترقص كأنها حلم اسطورى غريب هو نفسه لا يصدق أنه عاشه بالفعل.. امرأة قوية مـهاجـمة عنيفة تخشـاها ولكنك

تخشاها أكثر إذا هجمت عليك بحنيتها بطيبتها التقيت بها فى أحد أفلامى وجلست أمامها لا أصدق نفسى.. ربتت على كتفى وشجعتنى.. كما شجعت اسماعيل ياسين من خمسين سنة وكما شجعت عبدالحليم من أربعين سنة. ومازالت تشجع وتطبطب.. وتدفع بالناس ولأول مرة اشعر أن الأنوثة ليس لها عمر وأن رائحة الوردة لا تفارقها مهما مر الزمن .

وسامية جمال الفرعونة التى بعثت فى الأربعينيات والخمسينيات.. كلما شاهدتها وهى ترقص ينتابنى شعور أن معبداً فرعونيًا مهيبًا فى الخلفية وان الكهنة ينثرون البخور والعطور عليها.. أحلى ذراعين يسبحان فى الهواء.. كأنها لا تحركهما وإنما يحركهما الهواء من فرط رقتهما وكأنهما يحلقان بعيداً فيأخذانك عن التفكير فى الجسد.. كأنها تخجل أن تنظر إلى جسدها ولذا.. تظل ساميه جمال تجبرك على أن تشاهد فنها وليس جسدها سمراء هى .. أم خمرية أم لون العسل.. أحبت رشدى أباظة وتزوجته يا بخته يا ريتنى كنت الرجل الثانى .

وصباح كمان يا رشدى.. صباح اللبنانية المثيرة.. الفائرة الأنوثة طول بعرض بجمال.. والتى أتت إلى مصر

وقالت «فين سوق خفة الدم؟» ودلوها على السوق وذهبت.. واشترت السوق كله لتصبح ليست جميلة فقط ولا صوتها مثير فقط.. وإنما دمها خفيف أيضًا فهذا لا ينفع إلا بذاك.. وتغنى بأنوثة فائضة.. أنا هنا هنا هنا يا بن الحلال.. ولكن يخطفها ابن الجنية رشدى.. وكأنها من فرط انبهارها بجمالها وأنوثتها اصرت على أن تتمسك بهما إلى الأبد فمضت السنين ولم تمض على وجهها وجسدها.. ظلت شمس الشموس نجمة الأربعينيات فى القرن العشرين نجمة ومتألقة حتى القرن اللى بعده كمان.. ولم يكتف رشدى أباظة بالتلاتة.. وإنما فى أفلامه استطاع أن يجمع بين كل فتيات أحلامى شاديه وهند رستم ولبنى عبدالعزيز وسعاد حسنى.. ماسابش حد .

شاديه أحببتها فى القبول – الإعدادى– حينما كانت تغنى.. زى الطير ما اتعود عشه اتعودت عليك.. وفى الإعدادية كنت مغرمًا بلبنى عبدالعزيز وفى أولى ثانوى همت حبًا بالممثلة إيمان الرقيقة الوديعة فى إثارة .. فى الثانوية العامة بأه.. أحببت هند رستم مما اضطرنى إلى أن أعيد السنة.. أما فى الجامعة فأحببت زوزو.. سعاد حسنى وأنهيت الجامعة وأنا بحبها.. وخلصت جيش وأنا بحبها وكتبت فى الكواكب وأنا بحبها وتزوجت مراتى وأنا



بحبها الشى الوحيد الذى غفر لى حبى لها.. أنها أيضًا تحبها.. سعاد حسنى هى التى لخصت كل جميلات الشاشة.. وهى أطول قصة حب فى شاشة خيالى.. وابقى قصة حب وبالمناسبة نحن ننفق كثيرا جداً من أعصابنا ومن مشاعرنا وهى بعيدة عنا.. هناك فى لندن فهل ننفق أقل بكثير جداً لتعود .

وأخيراً لقد وعدت زوجتى كما رأيتم أننى سأكتب مقالاً عن رشدى أباظة ولأننا فى رمضان.. والكذب حرام.. فأنا كتبته عن رشدى أباظة من وجهة نظرى أنا.. وليس من وجهة نظر المدام .

قصص وأهوال .. مع حسين كمال

كانت هذه أول مرة سألتقى به فيها.. فى الطريق هاجمتنى الأفكار وتجسدت أمام عينى نجاحات رهيبة حققها وتاريخ حافل فى الفن.. المستحيل.. البوسطجى.. شىء من الخوف.. أبى فوق الشجرة.. ريا وسكينة، وعلامات أخرى كثيرة جعلته لسنوات عديدة المخرج الأسطورة.. قالوا لى عنه إنه عصبى.. لا يسلم أحد من تعليقاته اللاذعة.. وقال لى آخرون ستتعب معه.. ستكره حياتك.. كان سبب اللقاء الإعداد لمشروع مسرحى كبير أكتبه أنا ومن إخراجه.. همس لى أحد الناصحين.. هذا إذا تم المشروع.. فهذا المخرج يزهق بسرعة ولا يعجبه العجب..

دخلت إلى الحجرة ومددت يدى مصافحًا فاستقبلنى بابتسامة متكلفة رسمها على وجهه انفرجت شفتاه بمقدار نصف مللى وعاد وجهه إلى التجهم من جديد.. وقال لى فى خنقة.. أهلا يا أستاذ وزهق منى علطول..

استقبلني بموشح عن الالتزام بالمواعيد وقال لى ياريت ماتحكيليش حكاية العجلة اللى ضربت فى الطريق ولا الإشارات الزحمة وياريت ماتقولليش إن ماما كانت تعبانة شوية.. وأغلق أمامى كل السكك واستطرد قائلاً .. هه.. اتأخرت ليه يا أستاذ؟!.. طيب أقول له إيه ده ..

كانت هذه هى البداية.. غير مشجعة على الإطلاق.. وجلسنا.

سألنى بسرعة.. البطلة عندك فى الرواية شغلتها إيه؟!.. قلت له محامية.. فاكتأب وقال لى جايب بطلة حلوة زى القمر عشان تطلعها محامية وتلبسها تايير بكم طويل ونضارة قراية وتمسكها شنطة جلد.. كرهتها.. مش طايقها ماتقراليش الرواية.. مش عاوز أشوفها أنا علشان أخرج الرواية لازم أحب البطلة.. أموت فيها.. قلت له بسرعة طيب اسمع دى.. بنت غلبانة فى حارة شعبية بس زى القمر.. فبدأ يبتسم وقال لى جميل وبعدين قلت له تبقى بعد كده أكبر نجمة إعلانات فى البلد كلها.. فقام واقفًا من شدة السعادة وقال لى.. حبيتها.. أكتب يا أستاذ.. واتفقنا.. وقبل أن أخرج قلت له وإيه رأيك فى الآخر بقه تبقى محامية برضه.. فنظر لى نظرة كلها وعيد وتهديد.. وبدأنا العمل فى المسرحية.. نلتقى يوميًا لنغزل معا حكاية هذه البنت الغلبانة

التى صارت معشوقة حسين كمال.. يكلمنى فى التليفون فى أى وقت ولا يسلم على ولا يقول لى ألو حتى.. وإنما يبدأ حديثه معى قائلاً.. اسمع أنا شفت البنت دى قاعدة على طشت غسيل ودايقة المر ومش لاقية بنى آدم تشكيله.. إيه رأيك.. قلت له جميل.. فإذا به يضع السماعة بدون تعليق وبعد خمس دقائق يكلمنى يقول لى.. بقولك إيه يا جو.. معقولة بنت زى لهطة القشطة مالهاش قصة حب.. قلت له الرواية ما فيهاش قصة حب.. مفيش حبيب عندنا يا أستاذ.. قال لى نوجده.. قلت له إزاى.. قال لى فى خيالها.. واحد هيه مستنياه.. اسمه صلاح وبتكلمه وبتأخذ وتدى معاه علطول.. قلت له سأكتب ونقرأ حينما نلتقى.. وأقابله فى المسرح.. وأقرأ له.. يوم يقول لى.. إيه ده فيه عبقرية كده.. أنا شايف سكر بينقط من الحوار.. كلامك له ريحة.. أنا شامم بارفان فى الديالوج.. ويوم ثانى يقول إيه الزفت ده.. طبعًا ما أنت مش فاضى شغال فى خمسين حاجة.. مسلسلات وبرامج.. ح تفضى للمسرحية إزاى؟! وبدأنا البروفات.. ووجدت حسين كمال يحول الحلم الذى حلمناه معا إلى حياة.. وأصبحنا أصدقاء.. فى يوم قال لى أنا واخد ڤيللا فى الهرم.. محصلتش.. عامل ديكور يجنن.. تخش تلاقى الريسبشن قدامك عربى مودرن.. ونافورة على شكل تمثال رومانى واحدة بتقولك اتفضل.. فى الخلفية

بقه.. مفيش حيطة.. فيه قزاز بطول الريسبشن تشوف من وراه البسين.. وشاليهات صغيرة، كده للضيوف.. ع اليمين أوضه الغسيل وجنبها أوضة الشغالة.. وأخذ يصف لى الجنة التى صنعها فى ڤيللته الصغيرة.. وجاءت مهندسة الديكور نهى برادة.. فقلت لها يا مدام نهى.. كنت عاوز أقعد معاكى علشان ديكور شقتى الجديدة، فإذا به يقول.. سورى.. آسف يا أستاذ أنا حاجزها.. تخلصنى الأول.. وبعدين تشوفك.. قلت له أنت مش خلصت ديكوراتك.. قال لى أنا معملتش حاجة.. قلت له إزاى والوصف اللى قلتهولى ده.. قال لى.. أنا عايش فيه.. ده فى خيالى بس.. مفيش ڤيللا ولا بسين.. ده كله هنا فى دماغى بحلم بيه.. وانفجرت فى الضحك.. وزدت إعجاباً بهذا الحالم العبقرى..

ذات يوم كنا نتكلم عن الدراما.. قال لى اسمع دى يا چو.. كان فيه واحدة زى القمر حبت شاب أمور محصلش والاثنين من عيلة.. الولد اتقدم للبنت أهلها قبلوه.. وأهله بأه ماكانش عندهم أى مانع أو إعتراض عليها.. واتجوزوا وخلفوا ولد وبنت زى القمر برضه.. وسكت قليلاً ثم قال لى.. إيه رأيك فى الفيلم ده.. وقبل أن أجاوب قال لى بتفكر فى إيه.. اللى بقوله ده زفت.. يقرف.. أنا باكلمك عن ناس حلوين.. فين الفيلم بقه؟! خلى البنت تنحرف يبقى فيه فيلم..

الولد يشم هيروين.. يبقى فيه موضوع.. ثم استطرد قائلاً دراما يعنى فساد..

وأنا عاوزك تكتب لى شخصيات فاسدة.. الحلوين الطيبين الأمامير.. خليهم لك.. لما تيجى تقرأ لى ما تجيبهمش معاك.. ليه؟! الطيبين دمهم تقيل على قلبى. سم . ارحمنى منهم. قلت له إيه رأيك أنا عندى شخصية جديدة نوفى..

فابتسم قائلاً.. هايل .. شخصية إيه ؟!

قلت له.. إيه رأيك.. فى شخصية محامية؟!

قال لى المخرج الكبير محمد عبدالعزيز وهو رفيق رحلة ومشوار ثلاثين سنة معه.. قال لى.. إنه جاء له فى يوم وقال له.. محمد.. تعال أوريك حبى.. عشقى.. حياتى.. شىء محصلش.. إنسانة فوق التصور وفوق الخيال.. وذهب محمد عبدالعزيز فى شغف وفضول ليرى تلك التى ألهبت قلب الأستاذ بهذا الشكل.. وفى وسط البلد.. وقف وأشار له عليها .. امرأة طاعنة فى السن تجاوزت الستين متخلفة عقليًا تضرب الرايح والجاى وتشتم المارة فى الطريق.. ونظر إليها حسين كمال فى هيام وقال.. محمد بذمتك شفت تيب كده فى الدنيا .. تهوس.. تجنن يا محمد..

معلش يا زهر

لم يكن عنده أى مشكلة.. ولا عندى ولا عندك إذا كنت تعرفه فهو كان بكل بساطة وفى أعقد الظروف يبتسم ابتسامته الرائعة.. ويقطب ما بين حاجبيه ويقولك فى طيبة وسلاسة ولايهمك.. تتحل.. كان سعيدًا لدرجة تجعله يوزع هذه السعادة على من حوله لم يحقد على أى من أبناء جيله الذين صاروا نجومًا وسبقوه.. بالعكس أحبهم وأحب نجاحهم.. فأحبوه وارتبطوا به ارتباطًا شديدًا.. لا قعدة بدونه ولا سهرة بدونه.. وكنت أسأل نفسى من كان صديق مصطفى الأنتيم «المقرب»؟ هل هو الفيشاوى أم الجندى أم عمر عبدالعزيز أم صلاح السعدنى أم عماد رشاد؟! أم.. أم ترانى أنا!! كل فنان فى مصر كان صديقًا له.. وفوق كل ذلك كان أوسطى القعدات وكان يثريها بحكاياته الجميلة التى كنا نسخسخ من الضحك حينما نسمعها منه.. ولكنه بأدبه ولطفه الجم كان يترك الميكروفون لآخرين يستمع إليهم بإنصات ويحب حتى لو كانت حكاياتهم أبوخ من حكاياته.. كان يربت على كتف الناس كلها ولا يطلب شيئًا من مخلوق.. وأنا اكتب مسرحيتى الأخيرة لم يوصنى على دوره كما هو المعتاد.. وإنما أوصانى أن أشد حيلى واكتب الرواية.. أوصانى على نفسى.. وكان دوره فى الرواية قصيرًا.. ولكنه لم يعاتبنى طلع على المسرح

وتحولت كلماتى على يديه إلى رعد.. كان أسداً بحق على المسرح كما سمعت السيدة زوجته تصفه بإعجاب فى ليلة العرض الأولى.. كان يحكى عن معاناته الأولى حينما كان ممثلاً مبتدئًا ليس لها نظير ولم يستطع بحبه الخرافى الذى يلقى به يمينًا وشمالاً أن يفلت من عيون الحاقدين.. قالوا.. طبعًا ما هو زوج أخت عادل إمام ولكنه لم يعبأ بأحقادهم.. لم يلتفت إليها.. كان يعلم أن فى البيوت ناس تحبه وتنتظره فى أى دور يلعبه.. وانطلق.. كان مجنونًا بالتمثيل.. بالشخصية التى يلعبها .

سألته ذات يوم.. أنت لسه صغير لماذا لا تصبغ شعرك يا مصطفى؟!

ابتسم كالعادة – فهو يبدأ أى حوار بأن يبتسم – وقال لى.. أنا متعمد اسيبه كده.. أنا حاسسس أنى حابقى «جراند» كويس قوى.. نفسى أعمل دور أب كويس ان شاالله يكون أولادى أكبر منى فى السن.. ما يهمنيش انشاله أطلع أبو الفيشاوى ثم التقينا بعد ذلك فى سبوع عادل رامى إمام.. وسألنى باسمًا.. هه.. مالقيتش حاجة نعملها؟! قلت له شفت فيلم «معلش يا زهر»؟! واتسعت عيناه مندهشاً.. وقال لى يخرب عقلك دور زكى رستم فى الفيلم.. ده أنا ح أتجنن عليه.. الأب الطيب الموظف البسيط الذى يتعرض لوشاية كاذبة من زملائه الموظفين.. قلت له هوده.. قاللى باسمًا برضه.. مش أسيبك

وحاطاردك فى كل حتة.. ده مشروع عمرى كله.. قلت له أنا اللى حاطاردك.. واتفقنا على موعد نبدأ فيه العمل فى الحلم.. «حلمنا المشترك» ذهبنا إلى بيتى ووضعنا الفيلم أمامنا وبدأنا نعيش مع بعض.. كان مبهوراً بزكى رستم.. كل شويه يقوللى ستوب. رجع الحتة دى يا جو.. يا ساتر يا رب أيه العظمة دى.. أنا ح أقدر أعمل كده..أقوله ح تقدر طالما أنت بهذه الحالة.. ولمدة ثلاث ساعات كانت أجمل مرة أشاهد فيها هذا الفيلم الذى شاهدته مئات المرات.. كان الشىء الجديد فى الحكاية أننى أشاهده مع مصطفى.. وبعدها بأفتح التليفزيون بالصدفة على برنامج «نجم على الهواء» كان مصطفى متولى هو النجم.. وكانوا يعرضون مقتطفات من أعماله والشخصيات العديدة التى تألق فيها وكان التليفون لا يتوقف من عشاقه فى كل مكان.. وكلمته بعد البرنامج أهنئه على بساطته وتلقائيته وجماله فى الحلقة.. فقال لى أمتى بقى نعمل معلش يا زهر؟!

كانت عنده مقدرة سحرية غريبة فى إزالة أى خلاف.. وما أكثر الخلافات التى تحدث فى العمل الفنى.. بمنتهى الطيبة والعقل والوقار كان يتكلم فتصفو النفوس وتهدأ.. والحق أننى بسبب أدوار الشر الكثيرة هذه التى تميز فيها كنت اندهش منه فى بداية علاقتى به.. أن بنيانه الضخم وعضلاته المفتولة وكتفه العريضه وأداءه الصارم.. كل هذا خدعنى.. إلى أن اكتشفت أن ذراعيه المفتولتين لا تضرب وإنما تربت على كتفك بحنان بالغ وكتفه العريض هذا

يحضنك بكل رقة وحينما جمعتنا سهرة فى بيت أحد الأصدقاء كنت أنا فيها الغريب الوحيد.. كان يحنو عليا بكل رقة ويدخلنى فى الكلام بمناسبة وبدون مناسبة ربما لأنه شعر بغربتى.. إلى هذه الدرجة كانت حساسيته المرهفة النادرة.

وذات ليلة كنت أمر بسيارتى من ميدان لبنان بعد منتصف الليل عائداً إلى بيتى.. فوجدت سيارة سوداء تمر بجوارى وصوت يخترق إذنى يهتف بى.. معلش يا زهر.

وعرفت طبعاً من الذى ينادى إنه هو.. ومن غيره ووقفنا.. وسألنى.. أخبار الحلم أيه.. قلتله بدأت اشتغل ابتسم فى سعادة وقاللى.. يعنى نقرا قريب.. قلت له قريب قوى..

وفجأة.. وبهدوء غريب.. تماماً مثل ابتسامته.. رحل مصطفى متولى.. وتلقيت اللطمة مفجوعاً.. وانتابتنى حالة هيستيرية من البكاء المتواصل.. فمن يخرجنى من هذه الحالة.. من يواسينى ويربت على كتفى ويحنو عليا؟ من يهون عليا الفجيعة؟! كان هذا دور مصطفى.. فهو الوحيد القادر على ذلك ولكنه لم يعد هنا ليفعل ذلك أن دوره فى المسرحية سيظل خاليًا بالنسبة لى.. وسأظل أعاتب نفسى وأقول لو كان دوره أطول قليلاً!! وحلمه سيظل أمامى بين أوراقى انظر له وأقول فى حسره.. لو كنت فقط انتهيت منه قبل ذلك قليلاً.. اعذرنى يا مصطفى كنت اكتب لك.. ولم أكن أتصور أبداً أننى سأكتب عنك.. معلش يا زهر.

عليك نور يا نور

انفعل!! صرخ!! نسى أنه يعمل حوارًا تليفزيونيًا.. فلتت أعصابه وشعرت أنه ح يخرج من التليفزيون ويجيبهم من رقابتهم.. ثار ثورة عارمة.. وقال.. احنا سلبيين كده ليه!! ساكتين كده ليه.. وشعرت أننى سأدخل فى التليفزيون.. لأقبله.. مش اهديه!! لا. أنا مش عاوزه هادى.. أنا عاوزه متزربن كده علطول.. هزنى نور الشريف.. وأحسست أن الفنان يمكن أن يقود ثورة.. إذا كان صادقًا.. والقضية التى ثار من أجلها نور الشريف ليست قضية سهلة.. ده موضوع كبير قوى.. إنهم – أعنى الخنازير القذرة المعفنة– ولا أعتذر من الألفاظ السابقة.. وإنما أعتذر عن رقتها وأدبها.. فهم يستاهلوا الفاظ أبشع بكثير.. لكن برضه إحنا متربيين– هذه الخنازير فعلت فعلة تحتاج مننا إلى غزوة.. مثل غزوة بدر.. إنهم يسخرون من أكرم الخلق وخاتم النبيين فى رسومات حقيرة لا تستحق أن تنظر لها وإنما تبصق عليها بصقة كبيرة قوى.. إنهم لا يزالون يحاولون تقويض هذا البناء الخرافى المهول الذى أزعجهم ونكد عليهم عيشتهم.. وأشعرهم بضألتهم ونتانتهم.. فلاش باك سريع لأعود لأيام كنت أعمل فيها مرشداً سياحيًا.. ووقفت عند ميضأة جامع محمد على اشرح لهم الوضوء والطهارة عندنا .. أنت لا تقابل ربنا إلا طاهراً.. وبرغم الصحراء القاحلة والمياه العزيزة، نحن نتوضأ.. وأنتم برغم الجاكوزى والبيسين..

وشلالات الأمطار.. لا تغتسلون الحكاية مش حكاية ميه.. علمنا سيد الخلق أن النظافة من الإيمان ولذا سنظل إلى أن تقوم الساعة.. أنضف أمة فى الدنيا كلها.. ولأننا مسلمون.. فنحن نتعفف.. فى كل شىء ولأنكم كفرة لا أخلاق ولا عفة ولا طهارة ستظل حظيرة خنزير أطهر من أطهركم، ستحاولون أن تصدروا الإيدز لنا بدافع من حقدكم والغل الذى يأكلكم ولكن لما تشوفوا حلمة ودنكم.. لن نستورده.. سنتركه لكم.. لتموتوا مثل الجيفة وفى يوم العيد سيمتلأ شارع جامعة الدول العربية أمام جامع مصطفى محمود بآلاف السراويل البيضاء التى تبرق مع نور الصباح الجميل وسنشم رائحة العطور الجميلة وسنرتل جميعًا.. الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً. وسيمسك أطفالنا القمر بالونات جميلة.. وح يفرقعوا بـومب فى عيـنكوا.. وعين اللى ما صـلاش ع النبى.

رسامة يهودية حقيرة واطية.. تعتدى هذا الاعتداء القذر على أشرف الخلق.. رسامة ليس لها أى قيمة.. يبدو أنها بدأت حياتها.. بترسم برضه بس على خلق الله.. بعشرين دولار.. ولما فقدت قدرتها على أن تأكل بثدييها.. قالت أقلب عيشى فى حاجة تانية.. بعد أن ترهلت وبقت ماتسواش تعريفة.. فحينما رسمت.. رسمت نفسها، رسمت حقيقتها.. وبالطبع سيحاولون أن يدافعوا عنها.. ويعملوا لها حراسة واقترح أحدهم أن تعمل عملية تغير فيها شكلها حتى لا يعرفها أحد.. لكن ح نعرفها برضه عارفين إزاى.. من ريحتها.

ولا تتصور يا نور أن هذه الرسامة الحقيرة لها أى أثر أو قيمة.. إنها كلبة من الكلاب التى تعوى.. وقافلتنا البيضاء الطاهرة تسير.. وتلعلع وتحقق انتصارات.. وتبهر الدنيا.. رغم أنف الدنيا كلها، وعندنا بقى فراودة ح يطلعوا.. عينها.. فهى ليست لها دين.. عندنا مصطفى حسين.. ح يرسم وح يمسخرهم.. وعندنا جمعة وحاكم.. وعتاولة.. استنوا بس.. ما تخافوش.. أحنا ملوك السخرية وملوك الكاريكاتير والنقد اللاذع..

والساخر المعلم محمود السعدنى.. ح يقعد كده مع نفسه.. وح يرزعهم مقال.. يضحك عليهم طوب الأرض والساخر العظيم أحمد رجب حيديهم تصف كلمة من بتوعه.. فيها الشفا..

وح نعمل أفلام نعرفهم فيها إحنا مين. ونوريهم فيما مقامهم.. والناس!! نسيتوا الناس؟! أنتم يا أعزائى.. ح تطلعوا النكت عليهم وح تمرمطوهم.. والا النكت بتاعتنا!! دى جننت يوليوس قيصر لما جه مصر.. قال عليا الطلاق ما آجى البلد دى تانى.. ونابليون هوه راخر ما استحملش وخد بعضه ويافكيك على بلده وكليبر كتر فى الكلام شويه.. خد واحدة على دماغه من سليمان الحلبى.. مراته اترملت وما صرفتش معاشها لغاية دلوقت.. ومينو بأه وده فرنساوى كان جاى مع الحملة، ساب الحملة وسمى نفسه عبد الله.. قال يا روح ما بعدك روح.. ويريدون قال أن يشتركوا فى مهرجان السينما.. والكاتب العظيم سعد وهبه واقف لهم وقفة سودة.. قال لهم على جثتى مش ح تعتبوها.. ليه.. عشان الأمراض بس.

أيتها الفئران الحقيرة استعدوا للدى دى تى.. تخرجون من ثقب لتدخلوا فى ثقب آخر.. حاولتوا أن تشوهوا صورة الإسلام.. وتطلعونا إرهابيين.. وأنتم الإرهاب.. والإرهاب أنتم.. ومع ذلك فشلتم.. حاولتوا أن توقعوا بين المسلمين والمسيحيين.. فوجدتم أننا سمن على عسل وطنط أم لوقا جارتنا لسه باعتالنا طبق عاشورة إمبارح عشان تدوق الست والدتى.. موتوا بغيظكم.. هذا الوطن وهذا الدين لا يمكن اختراقه..

مدينة الألف مئذنة التى تقف مآذنها شامخة فى السماء كالحراب المسننة.. لم تعد مدينة الألف مئذنة.. دى احصائية قديمة يا حبيبى من أيام الفاطميين.. النهاردة فيها أكثر من مليون مأذنة.. وبيوتنا كلها مساجد.. أفرد المصلية.. واسأل أبويه.. القبلة منين يا حاج.. وأقول الله أكبر..

تستطيعون أن تضيقوا الخناق على فتاة مسلمة محجبة.. محتشمة ترتدى الحجاب الإسلامى.. فشكلها الملائكى الإسلامى يثيركم.. يضايقكم.. أما العاريات العاهرات على شواطئكم.. تنظرون إليهن بقرونكم وأنتم فى منتهى السعادة.. فالإسلام هو عقدتكم.. ليس من اليوم.. من زمان قوى..

اعتذرت يا نور لعصبيتك ولثورتك فى التليفزيون.. وأنا من هنا أقولك.. احنا مش قابلين عذرك.. إوعى تهدأ.. إوعى تنام.. أنا اعتذر بالنيابة عنك عن اعتذارك.. لأننى أعلم أنك ستعمل لنا فيلماً كبيراً.. يعيش يؤثر.. يرد.. وعليك نور.

النجـم فى الأتوبيس

امرأة سمينة بعض الشيء.. مرحة.. تجر كلبًا نظيفًا وتقترب من الجمعية الاستهلاكية.. تشترى جبنًا وزيتونًا وبسطرمه.. هذه المرأة البسيطة تعمل أزمة فى الجمعية.. ليست أزمة زيت أو سكر.. أزمة زحام.. يلتف حولها الناس يسعدون برؤيتها.. يشيلونها من على الأرض شيل.. يبادرها أحدهم بقوله ضاحكًا.. أنتى جايه اشتغلى إيه!! وينفجر الجميع فى الضحك.. هذه المرأة هى مارى منيب.. هكذا بمنتهى البساطة نزلت لتشترى البقالة ولوازم البيت.. مشهد حقيقى لتلك النجمة الأسطورة.. ممتلئ بالعذوبة والجمال.. ورجل يركب الأتوبيس الفاضى.. الذى يسير فى الشوارع الفاضية.. السائق يضحك بمجرد أن يراه.. ويوقف الأتوبيس ثانية ليسلم عليه.. والركاب لا ينزلون فى محطاتهم سيستمرون معه حتى ينزل.. إنها فرصة لا تعوض.. حالة من البهجة والألفة فى الأتوبيس والنبى تغنيلنا حاجة.. وبكل تواضع يغنى.. ادينى بقرش لب.. اتسلى عشان بحب وحبيبى شغل كايرو مفيش فى القلب غيره.. ويصفقون معه.. ويتمايلون طربًا.. هذا الرجل يبعث



تماثيله بعد الحرب العالمية من فرط جماهيريته وكان نجمًا شعبيًا مهولاً.. إنه.. شكوكو طبعًا.

وزكى رستم.. الممثل الجبار.. يتمشى فى شارع قصر النيل ويسلم على المارة ببساطة شديدة إزى الصحة يا زكى بيه.. ويرد بتواضع: عال.. عال.. ومقهى فى عماد الدين يجلس عليه الريحانى والقصرى وشرفنطح.. والناس رايحة جايه.. سعيدة ياسى نجيب.. أهلاً يا سيدنا الأفندى.. ثانية واحدة ومن هذا المعجبانى الذى يتمخطر فى مشيته واضعًا الوردة فى عروة الچاكته ويدندن وعايش مع نفسه.. محمد عبد القدوس.. قطعة السكر التى فى الأفلام.

أين ذهبت هذه الأيام؟! أيام هؤلاء النجـوم الفطاحل.. وكـيف كـانوا بهـذه السـلاسـة يتـمـشـون فى الشـوارع وينخـرطون بين الناس.. هل كـان النجم الذى فى عنان السـمـاء يسـتـأذن السـمـاء قليـلاً وينزل إلى الأرض.. بين الناس.. هكذا بلا بودى جارد ولا مـدير أعـمـال.. ولا أحـد يحـمل البـالطو وآخـر يولع السـيـجـارة وثالث يرد على الموبايل؟! ولماذا بودى جارد والجمهور كله كان بودى جارد للفنان.. الشوارع جميلة.. والناس جميلة والألفاظ جميلة.. ومصر كلها كان فيها ست سبع عربيات.. لم يكن الفنان فى حاجة إلى هوجة تمشى وراءه.. لأنه هو نفسه كان هوجة فى حـد ذاته.. ولكنه بعـد أن يمثل يصـبح بنى آدم عـادى.. حقيقى.. ينزل إلى الشـارع.. نفسـه هفتـه على كـوز دره مشوى.. مـاشى.. شـوب عصير قصب ما يمنعش.. أتصور مثلاً.. أن تمشى مـادونا أو شارون ستون وخلفها كتيبة من القوات الخاصة لحمايتها من الجمهور المتكالب عليها.. وهذا ليس من فرط حب الناس لأعمالها.. ربما لحمايتها من شر أعمالها.. فواحدة زى مادونا لو نزلت تحت الربع أو مساكن زينهم.. ح تتقطع.. من غير حتى ما يعرفوا أنها مادونا.. وظاهرة البودى جارد أصبحت موجودة فى العالم كله.. ربما لأن الدنيا معدش فيها أمان.. وأنا شخصيًا بدأت

أشعر بالخطر.. زلطة ترشق فى دماغى.. حد يكعبلنى وأنا ماشى.. من يدافع عنى وأنا ليس فى يدى سلاح سوى القلم.. وفكرة البودى جارد.. فكرة مادية بحته.. فهو رجل يدافع عنك ويأخذ أجره.. لا يحبك ولا يخاف عليك.. ويحكى أن البودى جارد الخاص بكيسنجر كان جالسًا واضعًا قدمًا على قدم فى ألاطه وكيسنجر معدى.. والبودى جارد قاعد فى مكانه لاقام ولا اتحرك.. وسأله أحد الصحفيين.. كيف يمر أمامك كيسينجر هكذا ولا تتحرك ولا تقف احترامًا وتقفز من على الكرسى.. فأجاب البودى جارد ببرود.. الساعة ٦ دلوقت.. أنا الحارس بتاعه من ٩ صباحًا لحد الساعة ٤ بعد كده إنسانى وخد عنوانى.. وحتى المرأة اقتحمت هذا المجال.. وبدأنا نرى ستات يقفن خلف النجم.. مدججات بالسلاح.. يا ساتر يا رب.. وأنا شخصيًا جال بخاطرى أن استأجر امرأة لتصبح الحارس الخاص بى.. لا لتحمينى من أحد.. وإنما لتحمينى من نفسى الأمارة بالسوء.. وصار البودى جارد مظهرًا من مظاهر الأبهة والفخفخة.. أى مطرب تنجح له غنوه.. يجيب البودى جارد بتاعه.. ممثلة ثانوية تعمل مشهد فى مسلسل.. تتفق مع البودى جارد فى الأول.. والشغلانة مربحة جدًا.. ولا تتطلب إمكانيات خاصة سوى أن تكون ضلفة باب.. عضلات مفتولة.. ونظرة ميتة

تتجول فى المكان.. والشغل مش عيب.. أمريكا نفسها اشتغلت هذه الشغلانة مع الكويت.. المشكة أنها حراقة قوى فى الفاتورة.. بس كل برغوت على قد دمه.. وأنا بصراحة.. على قد فلوسى كده.. استطعت أن أدبر لنفسى- من نفسى- بودى جارد على قدى كده على ما قسم.. يقف ورائى فى غموض.. فى كل مشوار أنا رايحه.. صحيح أنه ليس مفتول العضلات لكن حنين فى المرتب.. صحيح أنه لا يمتلك تلك النظرة الميتة المرعبة.. وإنما كان عنده للحق نظرة زائغة قريبة جداً من النظرة الميتة.. صحيح أنه ليس ضلفة باب وإنما لا أنكر أنه لا يقل عن شراعه.. وأخيراً.. أصبحت ممن يمشون ووراءهم تلك الهيصة المحترمة من الحرس.. ولكننى إحقاقًا للحق.. لم اتمتع كثيراً بحارسى الخاص.. إذا كنا نقضى معظم اليوم فى قصر العينى فى عنبر ٣ إذ كان لا يتحمل الشمس ولا المشى ولا أقل مجهود وكان عنده أنيميا حادة.. باختصار بعد فترة من الوقت شعرت أننى أنا.. البودى جارد بتاعه .

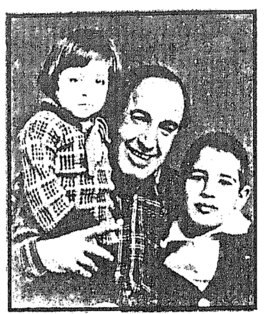
آه يانى . . يا معجبانى!!

فى حديث لى مع الراحل الساخر عبد الله أحمد عبد الله.. قال لى وهو يصف الفنان محمد عبد القدوس أنه كان.. معجبانى!! فسألته يعنى إيه معجبانى.. هل هو المعجب بنفسه المتطاوس فى مشيته قال لى لأ.. المعجبانى هو المعجب بالحياة المحب لها وللناس ومحمد عبدالقدوس.. كان يمشى يتبختر كده.. حاطط المنديل فى جيب الجاكته والورده فى عروة الجاكته.. والمنشة فى إيده.. وماشى يدندن بكوبليه أعجبه من أغنية.. فإذا قلت له سالخير يا عم محمد.. مش شرط إنه يرد عليك.. فهو عايش.. حابب الدنيا وبيتمتع بيها بيتمتع بإنه عايش بإنه شايف وسامع وحاسس بإنه فى الروقان يعنى.. والمعجبانيه هم الناس الحلوين من جوه.. ومن بره.. يدعون العصبيه وهم فى منتهى الطيبة.. يدعون الشده وهم غاية فى العطف.. فيصبح هذا الستار الكاذب من القسوة.. كالنعامة التى أخفت رأسها فى الرمال.. وهيه كلها باينه.. وسليمان نجيب أيضًا كان معجبانيًا.. وكان يشتم الخدم فى الصباح قبل أن يذهب إلى عمله ويرفدهم وفى الظهيرة يعود إليهم ليصالحهم.. ولذا كان هناك اتفاق جنتلمان بين الطرفين هو يمثل دور السيد المرعب الرهيب الذى لا يرحم.. وهم يمثلون دور الخدم الذين يرتعشون لمجرد سمع وقع أقدامه.. ولا هم يخافونه ولا هو يرعبهم.. والمعجبانى المتخاطر فى مشيته هذا يحب الناس



محمد عبدالقدوس وولده إحسان

ويحب الدنيا.. ويحب نفسه كمان.. ويمشى هكذا يكلم نفسه.. يدلعها يعنى.. اتخيله ماشيًا- سليمان بك نجيب - وهو يهمس لنفسه.. تشرب حاجة سائغة يا سليمان بك.. فيرد على نفسه أيوه والله الدنيا حر قوى خالص.. شايف الأموره اللى ماشيه هناك دى.. قمر.. قمر والله يا نجيب بك أكيد مخطوبة لولد عفريت وبيحبوا بعض.. ثم يتساءل بعصبية.. وما يتجوزوش ليه لحد دلوقت الولاد الملاعين دول.. والشارع ماله فاضى وهادى وجميل كده ليه.. حاجة بديعة صحيح.. ايه ده.. شحات!! بيعمل إيه هنا.. تعالى يا ولد.. بتشحت ليه.. خد.. خد دول وجيب لحمه وفراخ للهانم مراتك.. خلاص.. امشى من قدامى.. مش عاوزك تدعيلى.. اتنيل.. أما بنى آدم غريب قوى خالص وإيه الهدوم المقطعة دى يا زفت.. اجرى خدلك سموكن من الدولاب عندى.. ياللا.. واستحمى يا أنا يا إنت النهارده..



كان هذا الكلام يعمله سليمان نجيب فى الأفلام وفى الواقع أيضًا تصوروا.. شخصية مثل قطعة الشيكولاته.. كان بحق معجبانيًا.. ولهذا لم يتزوج.. ربما لأنه تزوج الناس كلها.. فأخذ ينثر من حنانه وطيبته هنا وهناك.. ولأنه أدرك أنه تزوج الدنيا بأسرها أصر على أن يحتفظ لنفسه بصورة الزوج (الجعجاع) الذى يشخط وينطر هنا وهناك وهو يذوب حبًا فى بيته وأهل بيته وقبل أن يموت ترك شقته للطاهى وسيارته للسواق والتحف التى فى بيته لدار الأوبرا.. إنه لا يريد شيئًا.. إنه معجبانى!!

وعزيز عثمان.. هذا أيضًا كان معجبانيًا ولكن بسلطنة.. كان معجبانيته.. أدوارًا ومقامات وموشحات وطقاطيق.. وكان يغنى على روحه مفتونًا بالفن وبالدنيا.. لا أنساه وهو يغيظ الريحانى ويقول له اترك البلبل يا خيبه للظرافه.. للطافه.. (يقصد نفسه طبعًا وعنده حق) وحتى حينما كان يمثل.. كان يستطعم الجملة ويقولها ببطء شديد وروقان شديد..

ولما كان يتزنق .. كان يغنيها..

ومعجبانى آخر.. ولكن بلدى.. وهو عميد المعجبانيه الشعبيين.. عرفتوه؟! يا صفايح الزبدة السايحة.. ويمشى متخاطراً كالبطريق.. كتفه يروح وييجى وكأنه عاوز ضبط زوايا.. عبد الفتاح القصرى.. حالة نادرة وخاصة جداً.. مفتون بالنساء وبالدنيا.. وبسذاجته وبساطته وفطرته.. خلق حالة من الهوس به.. إحنا مهووسين بالقصرى ومع ذلك كانت نهايته ليست معجبانية بالمرة فقد بصره.. وفقد أصدقاؤه وفقد فلوسه ولكنه لم يفقد أبداً حبنا له وارتباطنا به.. والسؤال.. أين هؤلاء المعجبانيه؟! راحوا فين!! والمعجبانى هو شىء آخر غير النرجسى العاشق لذاته.. لا.. شتان بين هذا وذاك.. فالنرجسية والذاتية أكثر من الهم ع القلب أما المعجبانية فهى عشق الدنيا.. والناس.. وساعة العصارى.. والقلة التى أثلجتها الطراوة والمرأة التى هى غصن بان.. إنها القدرة على تذوق الحياة وتأملها فى هدوء.. إنها «دندنة الأغانى بمزاج حتى لو كان صوتك وحش».

وأنا.. آه والله العظيم.. أنا عندى ميول معجبانيه.. وأعراضها أننى كثيراً ما أتمنى أن آخد الدنيا بالحضن.. أن أزغزغ الناس اللى رايحه واللى جايه.. أغرق فى تفاصيل الحياة الجميلة.. اتأمل كوز دره مشوى كثيراً قبل أن أقرقض فيه وأشرب الشاى بصوت «أستلذ به وأنا أشربه» وهذا لا يكفى.. أريد أن أكون معجبانياً حقيقياً.. على أبوه.. ولكن كيف؟! أهم شروط المعجبانى أن يتمشى..

أين أتمشى.. الزحام والضجيج والكلاكسات تفوقنى.. تخرجنى من حالتى.. تحولنى إلى مقرفانى.. العمارات القبيحة تشوه المنظر والأغانى البشعة التى بلا روح تزهق روحى.. تحولنى إلى مكتئبانى.. السعار المادى الرهيب والسماسرة فى كل شىء.. مبروك.. فين عرقى ياباشمهندس!! وهو لم يعرق.. وأنا أيضًا لست باشمهندس.. الفاكهة التى بلا رائحة.. واللحمة التى بلا رائحة والفراخ التى شوربتها مثل دواء الكحه بعد أن تنتهى فترة صلاحيته..

أنا لست مفجوعًا.. أو همى على بطنى.. أنا نفسى مسدودة.. ولكن أريد أن اتمتع.. أريد أن أختلى بالجو بتاعى.. ونعيش لحظة حلوه.. وأقول لها فى رومانسية.. شايفةِ القمر يا منال.. ستخلع منال النضارة الطبية السميكة وتتساءل.. أنهون؟! أقول لها متشبثًا بجمال اللحظة.. المدور اللى منور قوى فوق فى السماء.. منال تبربش بعينيها.. ومعها حق.. التراب يملأ الجو.. وبعده ستار آخر من عادم السيارات.. سأقول لها فى يأس.. سيبك من القمر شايفانى أنا!! أنا يوسف والله قاعد قدامك.. ولكنها تنظر لى باستغراب كأننى كائن غريب.. ولكن.. ياللمفاجأة.. أنا آسف معلش.. والله ما أخدت بالى.. اعذرونى يا أعزائى.. طلعت مش منال!!

خلاص.. أنا لن أخرج من بيتى.. سأصبح معجبانيًا من منازلهم.. سأعيش مع نفس الحالة.. أدندن كده وانبسط..

يقطع دندنتى رنين التليفون اللعين.. وصوت لشاب واعد.. يقول لى (ينكن) دى أول مرة اتصل بيك.. فيها.. بس أنا (معجم) بكتاباتك.. (مونكم) اشوفك!!

فأرد عليه فيه غيظ.. مونكم طبعًا.. ارجوكم دعونى اعيش فى معجبانيتى الخاصة.. أنها ليست اليوجا.. يا ساتر.. اسمحولى.. سأمدد قليلاً.. وأسرح.. من حقى أن أسرح فى لاشىء.. فى ولا حاجة.. حلو قوى ده.. وبعدين بقى.. تليفون.. صوت نسائى ايه مابتردش علطول ليه؟ حد معاك؟! ايه عاوز تقفل!! مش عاوز تكلمنى؟! لأبدأ أنا سلسلة من الاعتذارات عن جرائم لم اقترفها.. لا والله.. أصل معايا ناس.. كنت مشغول شوية.. وأحسد عبدالوهاب.. كان يترك القعده فجأة والناس والسهرة كلها ويقول لهم طيب أنا ماشى بقى.. يقولوله ما تخليك شوية.. فيجيب أصلى عندى موعد مهم.. يسألونه مع مين يقول.. رايح اقعد مع عبدالوهاب شوية.. كان يتمتع باختلائه بنفسه.. بهذه الخصوصية الجميلة.. ونحن محرمون يا أعزائى.. محرومون من المشى والتخاطر والدندنة والمزاج.. يتكلمون عن الأزمة الاقتصادية.. وأزمة السينما.. وأنا أرى الأزمة.. أزمة معجبانية.. أزمة الناس الحلوة فلم يعد للوردة مكان على عروة الجاكته.. وإذا شتمت الخادم لن يصبر حتى تأتى فى الظهيرة.. لتصالحه ح يلعن سنسفيل جدودك.. فهو يستطيع أن يقلب عيشه بعيداً عنك وفى كام شهر هو اللى يشغلك عنده..

وأخذت أفكر وأفكر..
ثم أفكـــر وأفكـر ..

ذهبت إلى العزاء أقدم رجلاً وأؤخر أخرى.. مات محمد عوض!! وموت الكوميديان يشبه موت الوردة المتفتحة.. والحزن فى موته أكبر من الحزن العادى.. أنه يشبه فاتورة ثقيلة ندفعها فى النهاية مقابل سنوات من البهجة والضحك والمتـعــة أعطاها لنا.. وفى الطريق إلى عــمـــر مكرم.. فوتومونتاج يستعرض مشاهد كثيرة ومسرحيات وأفلام لعوض.. لا تريد أن تموت مثله.. ووجدت نفسى أفعل مثله.. أفكر وأفكر.. ثم أفكر وأفكر.. مات عوض.. ولكن هل مات عاطف الأشمونى مؤلف الجثة البائسة هل مات مطرب العــواطف!! وشـــرارة!! وناصح (فى نمرة اثنين يكسب) ووصلت إلى مكان العزاء.. كان الزحام رهيبًا وكان المشهد أشبه بمسرحية رائعة.. الجمهور أمام السرادق فى حالة وجوم من أين جاءوا.. لا أعلم وماذا يريدون؟! إنهم يريدون فقط الوقوف هنا.. دموع كثيرة متحجرة فى العيون.. ينظرون فى إتجاه السرادق وأستطيع أن ألمح سؤالاً.. هل هذا هو المشهد الأخير يا عوض؟! إنه هو بلاشك.. لأنه يبدو

مثلك رقيقًا حانيًا.. وذو شجون.. بالداخل وفى نهاية القاعة كان يجلس يوسف عوف.. وصلاح يسرى.. ومحمد يوسف الكبار.. رفقاء المشوار والرحلة الجميلة الطويلة.. كانوا يجلسون فى صمت.. ولأول مرة هو ليس بينهم.. والذين صنعوا معًا ساعة لقلبك.. أرهم وهم يصنعون لأول مرة.. ساعة لأحزانك وأشجانك.. أراهم يحاولون أن يبدو متماسكين.. ولكن الحسرة التى على الوجوه تجعل محاولاتهم فاشلة..

وفى مقدمة العزاء الجيل الجديد.. أحمد سلامة وعبد الله محمود ومدحت صالح.. يقفون بجوار أصدقاء العمر.. عادل وعاطف وعلاء.. آل عوض.. التركة العظيمة التى خلفها محمد عوض.. مصمم الاستعراضات الموهوب عاطف عوض.. والمخرج الواعد عادل عوض.. والممثل الرائع علاء عوض.. الذى رأيت فى عينيه رغم إحمرارها نظرة كلها إصرار وحماس أن يكمل مسيرة الفنان العظيم.. أبيه.. وقف الثلاثة بكل رجولة.. بكل ثبات.. يأخذون العزاء وشعرت أنه عرس عظيم ولا أعلم لماذا خيل لى أننى رأيت محمد عوض.. يبتسم من بعيد..

لا يوجد مقعد واحد خال.. ولا مكان لقدم.. والغريب يتصور أن كل من بالعزاء أقرباؤه.. أحمد نبيل يُجلس

الناس والمخرج الكبير السيد راضى يأخذ العزاء.. وأرى المخرج الكبير حسين كمال جالساً وحده فى صمت وأشعر بصوت مدبولى يتسلل إلى أذنى.. زمن الحلاوة جبر.. صدقنى يا صاحبى.. صدقنى..

كان بسيطًا بصورة فريدة.. قال لى عنه المؤلف أحمد الأبيارى.. هو أبويا الثانى.. وأسر لى أن أول رواية ألفها لم يكن عمره يتعدى ثمانية عشر عامًا.. ذهب بها إليه.. واشتراها عوض منه مشجعًا إياه ليقدم لنا مؤلفًا بارعًا وحكى لى عن أول مرة يزورهم فيها فى البيت.. بمجرد أن دخل أخرج مسدسات (لعبه) يلاعبهم بيها.. هداياه لأولاد الراحل الفذ أبو السعود الأبيارى.. كان يعشق حالة البهجة.. وكانت هذه رسالته حتى فى عزائه.. كانت هناك حالة من البهجة.. وكم الحب الذى فى المكان كان يكفى مصر كلها..

محمد عوض درس كبير لكل فنان.. درس حقيقى.. أنت لا تستطيع أن تفصل مشاعره الداخلية وحقيقة أخلاقياته وتركيبته الإنسانية.. عن عطائه الفنى.. فالناس يا أعزائى.. يتوغلون داخل الفنان ينفذون إليه.. فإذا حدث التماس اسكنوه القلوب.. ولن يطلع ولا بالطبل البلدى..

وأنت كلما نفذت بداخل محمد عوض تجده وقد أعد لك شيئًا ما.. قطعة سكر.. بونبونية.. إنه يحلى لك بقك علطول.. وحينما نكتب تاريخ الكوميديا فى مصر سيحتل محمد عوض مكانًا بارزًا وفريدًا وفى دولة الضحك سيصبح وزيراً للأداء الراقى الرقيق السهل الممتنع.. ومن أبدع أدواره التى قدمها على المسرح دوره فى مسرحية جولفدان هانم.. حينما قام بدور المؤلف الذى كتب رواية (الجنة البائسة) وباعها لغيره فنسبت إليه تحت ضغط الزوجة صاحبة التطلعات الاستهلاكية.. وحينما نجحت الرواية.. أصيب بهستيريا.. حينما آل المجد كله إلى الآخر الذى لم يكتبها.. وأبكانى هذا الكوميديان الرهيب.. حينما خلع فانلته لتجده وقد كتب على صدره.. أنا عاطف الأشمونى مؤلف الجنة البائسة.. وصارت (لزمة) جملة يرددها معه الجمهور. من قلب التراجيديا وقمة المأساة أخرج لنا هذا العبقرى لزمة كوميدية نحفظها ونرددها. وفى نمرة اثنين يكسب وصل محمد عوض إلى قمة الإبداع الكوميدى.. إنه يقدم لك عدة شخصيات مختلفة ومتناقضة.. فيدخل إلى المسرح وهو ناصح العبيط الساذج والذى أتى لينفذ الوصية ويعود ليدخل وهو وجدى الأنيق الشيك الإنسان الذى سيكسب حب البطلة فى النهاية.. ثم يفاجئنا بشخصية

بيسو الحرامي.. وسوسو الأرناؤوطي الشاب المدلل.. كان في هذه المسرحية هو وحده نقابة ممثلين.. وخطفوه في السينما خطفًا.. وصار هو الورقة الرابحة..

كل هذا كان يدور برأسي وأنا جالس في العزاء.. ووجدتني يالخجلي.. ابتسم.. ابتسامة عريضة كمان.. وحينما رفعت رأسي وجدت أن الكل مثلي.. كانوا يبتسمون هم أيضًا.. انتهى المقرئ من قراءة القرآن.. أومأت عليه أقول له أحسنت يا مولانا.. شكرني بهزة من رأسه وأعطاني الكارت.. خرجت من العزاء.. ونظرت في الكارت فوجدت أن مولانا اسمه عمرو.. ولم ينس أن يكتب لي نمرة الموبايل والأي ميل بتاعه.. مقرئي اسمه عمرو؟! وعنده موبايل؟! وأي ميل؟! وانفجرت في الضحك.. يرحمك الله يا عوض.. لم تقبل أن أخرج من عزائك بلا ضحكة.. حتى تكون قد أديت رسالتك إلى النهاية..

أحـــزان كوميديان!

قال لى: صاحب نادى الفيديو.. أنا أسف يا بيه أفلامه كلهـا برة.. واندهشت قـائلاً إلى هذه الدرجـة فـأجـاب.. الأسبوع الجاى أكون أتصرفت لك فى واحد وخرجت وأنا أكلم نفسى.. هل يمكن أن يعيش إنسان فى الوجدان لأكثر من نصف قرن!! وكل الذى قدمه فى حياته (بؤو) وثلاثة أو أربعة أفـيـهـات مكررة.. مـرة نراه يرتجف من الرعب من الشاويش عطية ومرة أمام الغوريللا فى حديقة الحيوانات ومرة أمام عفريت المصباح السحرى أو تراه يقول فى لحظة الزروة فى الفـيلم عند تعـقـد الأحـداث.. أنا عندى الحل فـيقـولان له فى شغف.. هه فإذا به يقول (بوللن مسـتكاى ليبـون سـتكاينى..) مـا مـعنى ذلك؟! لا شـىء لكن السـينمـا تتكسر كلها من الضحك.. مثل خمسمائة فيلم بطريقة أداء واحدة وبمشية واحدة وبأفيهات مكررة ولكن.. مـاذا تفعل له ابن الإيه.. يدخل القلب بعبقرية نادرة .

قال لى ذلك الرجل العجوز الذى يملك مـحلاً للمشغولات الفضية بالسويس والذى كان يعمل صبيًا عند عم ياسين

والده.. لا لم تكن طفولته سعيدة على الإطلاق لقد ذاق المر من زوجة أبيه، وقالت لى عمته التى تشبهه إلى حد كبير، كان يأتى ليلوذ بأحضانى وبقطعة بسبوسة طرية، وتذكرت حكاية ذلك المريض النفسى الذى ذهب إلى الطبيب فى إيطاليا وهو يعانى من اكتئاب حاد وأعطاه الطبيب دواءً ليعود بعد أسبوع ويخبره أن الدواء لم يفعل شيئًا ويزهق الطبيب منه ويقول له .. اسمع.. بجانب العيادة هنا مسرح الكوميديان العظيم توتو.. اقطع تذكرة وتفرج على روايته الجديدة.. ستهلك من الضحك فإذا بالمريض يجيبه فى بساطة.. أنا توتو..

الكوميديان حكايته حكاية.. إنه مثل مضحك الملك ليس له عمل سوى أن يتنطط ويتشقلب ويقول كل أنواع الأفيهات وإلا أمر السياف يقطع رأسه أو لسانه أو أى شىء يمكن أن يضحك الملك ويخرجه من حالة الزهق التى تلازمه.. ولم نسمع عن ملك عين مضحكًا ثقيل الدم.. بل سمعنا عن ملوك تحملوا تجرأ مضحكيهم عليهم وقلة أدبهم مقابل قدرتهم الفذة على الإضحاك.. وزبون المسرح صار كالملك يجلس متعنطزًا فى الصف الأول واضعًا قدمًا على قدم وينظر إلى هذه المخلوقات الغريبة التى على الخشبة ولا يبتسم إلا

بصعوبة شديدة.. وهو ملك من نوع خاص.. ملك لمدة ثلاث ساعات وميزانيته مائة جنيه هى ثمن التذكرة التى دفعها فى الشباك.. وخفة الدم أهم من الجمال بل إن كاميليا الممثلة الجميلة كانت تستلف بعض النكات من يوسف بك وهبى قبل أن تزور الملك فى قصره لكى تبهر الملك ليس فقط بحسنها الفتان وإنما أيضاً بخفة دمها ..

والكوميديان إنسان مسكين فى الحقيقة وهو محروم من المشاركة فى المناسبات الجادة فإذا ذهب إلى عزاء كتم المعزين أنفاسهم عن الضحك لمجرد رؤيته يدخل السرادق.. ولأن الضحك معدى عادة ما تبوظ عزاءات وسرادقات بسبب محمد عوض أو وحيد سيف وغيرهم.. بينما وجود فنانة عظيمة مثل أمينة رزق فى عزاء لهو مظهر مشرف للفن والفنانين فمجرد ظهورها يعطى العزاء هيبة ووقاراً وتسمع فى الحال نحيب السيدات من الداخل احتفالاً بمقدم الست أمينة.. وفى الأفراح مصيبة أخرى إذ أنه لا يستطيع أن يجلس مثلما يجلس الناس صامتاً فى حاله.. فدائماً ما ينظر له الناس من آن إلى آخر ويتهامسون.. إيه ده.. ده ما بيضحكش.. هو عامل نفسه كدة ليه!!.. إنه غارق فى الهموم والأحزان.. أحزان كوميديان..

الست دى .. (عمتى)!

فى تصورى أنه لم يعش طفولة سعيدة.. بل استطيع أن أوكد ذلك بالرغم من أننى لم أعش طفولته بالطبع بل إنه هو الذى عشت معه طفولتى.. ولكن حدث أننى كنت أصور برنامجًا عنه فى السويس وذهبت إلى من تبقى من عائلته.. وكانت عمته هى أيضًا على قيد الحياة كانت تجربة مثيرة أن أجلس إلى عمة إسماعيل ياسين لسببين أولاً لأنها كانت مذعورة من الغرباء.. وبصعوبة شديدة وبالمسايسة استطعت أن أجعلها تأمن لى.. فصورت معها بدون أن تشعر والكاميرا والمصورون خارج الحجرة وإلا كانت ستصبح ليلة سودا.. والسبب الثانى الذى جعل لقائى بها مثيرًا أنها الخالق الناطق إسماعيل ياسين حينما مثل دور عمته فى أحد الأفلام.. قالت لى إنها كانت تعمل له (البانتسبانيه) – نوع من الحلوى السويسى– وتعطيها له حينما يهرع إلى حضنها باكيًا وكان يحبها بجنون وعلمت لماذا كان كثيرًا ما يكرر هذا الإفيه.. حينما يلتفت فيجد غوريللا وراءه.. أو لصًا يمسك بسكين.. أو عفريتًا.. عرفت لماذا كان يصرخ فى رعب.. يا عمتى.. لإنه كان يلجأ إليها هى فقط.. ولا أحد سواها وعليه فلنقل كثيراً.. أنه لم يعش طفولته أو أنه أجلها

قليـلاً إلى أن أتت إليـه الدنيـا فـأخـرج هذا الطفل المؤجل بداخله- من القمقم وصـار رجلاً بوجـه طفل.. بتصـرفات طفل.. بمشـاعـر طفل.. وكـان هـذا مكمن سـحـره وسـر نجـاحـه.. ومن الأشـيـاء اللافـتـة للنظر أنه مـثل مع أكـثـر بطلات الشـاشة أغراء وفتنة فـهو الذى وقف أمـام كاميليا .. وهند رستم.. وبرلنتى عبد الحميد وكيتى ومع ذلك لم نشعر للحظة أنه يرغـبهن جنسيًـا أو أن نيـتـه وحـشـه إنه طفل.. مجرد طفل فى حضن طنط.. فإذا القت له هند رستم بقبلة من شـفـتـيـهـا النـاريتين ينط فـى حـيـاء إلى الأرض ويقـول اسكتى بقى أحـسن أنا باتكسف.. وإذا حـاولت كـامـيـليـا (صـارخـة الأنوثة) أن تجـعله يخلع مـلابسـه مـعـتـقـدة أنه زوجها فى فيلم المليونير.. يجرى منهـا ويقسم ألا تراه وهو يغـير مـلابسـه.. لم أجـد له قـبلة فى فـيلم.. أو عناقًـا حـارًا وبراءته هذه هى التى جعلته يفعل كل هذا بعد رحيله ولذلك أحبه الأطفـال حبًـا جنونيًـا وصـار إسمـاعيل ياسين مطلبًا أسـاسـيًـا فى أى بيت حتى يسكت الأطفـال وحـتى يذاكروا وحـتى يسـمـعوا كـلامنا .. فى تصـورى لو عـاد إسـمـاعـيل ياسين إلى الحياة.. ورأى ما يحققه من نجاح بعد موته لما صدق على الاطلاق أنه أصبح هذه الأسطورة.. وأن تماثيله صـارت بالشىء الفـلانى.. وكـتب ملونة للأطفـال ليس عليـهـا شىء سوى صـورته هو.. لم تكن حركة النقد التى عاصرته

تدرك أنه شىء له قيمة.. اعتبروه فنانًا من الدرجة الثالثة.. وهو الذى كان مطلوبًا من كل المنتجين فكان مديروا الإنتاج يتقاتلون عليه وينتظرونه فى المحطات مثل عصابات المافيا.. واستطاع أن يخلق حالة بينه وبين الجمهور.. فإذا تعقد الفيلم.. يهمس إسماعيل ياسين لشادية فى إذنها قائلاً.. أى كلام ماتعرفش ده اجريجى ولا إيطالى ولا تخاريف صيام.. حد فاهم أى حاجة؟! طبعًا لا. ولكنه الذى يقولها.. ولذا سنتقبلها لإنها منه.. ليستيبونا بقه وإلا مش ليستيبونا؟! كان يضحك ضحكة خاصة مثل حنفية بايظة لا تريد أن تتوقف وهو يمط بؤه للأمام وصار الأطفال يقلدونها حتى بعد ثلاثين عامًا من رحيله.. وكان يبكى مثلهم.. وكان لا يبدأ أى جملة إلا بكلمة.. ياماما.. ولم يكن فقط كوميديانًا عظيمًا وإنما كان يحلو له أحيانًا أن يبكيك.. وآه على البكاء من الكوميديان متعة أخرى وهو كان يحب أن يفعل ذلك.. حته أو اتنين كده فى آخر الفيلم يودّع فيها العفريت فى حذن قائلاً بأسى: مع السلامة يا عفركوش.. مع السلامة يابن الجن أو يودّع فيها الحياة داخلاً إلى مستشفى المجانين مفضلاً إياهم عن العقلاء.. أو حينما ينهى فيلم (إسماعيل ياسين فى البوليس) وصوته يتحشرج من البكاء مرتديًا الزى العسكرى ويقول ما هو إحنا كده شغلتنا لازم نسهر عشان الناس تنام.. وكان فى صوته

شجن رغم البهجة التى كان يشيعها فى مونولوجاته الفريدة.. هل تعلمون أنه الذى ألف ولحن كثيراً جداً من هذه التحف الفنية .. كان موهوباً بحق ولكن هناك علامة استفهام كبيرة فى مشواره الفنى.. فهو بدأ حياته بدور معقول مع على الكسار فى فيلم على بابا والأربعين حرامى ١٩٤٢. وبعد ذلك يعمل دوراً قصيراً جداً مجرد مشهد لرجل سكير يعبر الشارع مع يوسف وهبى فى فيلم الطريق المستقيم ثم يعود بأدوار معقولة جداً مع الكسار مرة أخرى فى نور الدين والبحارة الثلاثة ١٩٤٤ والمظاهر ١٩٤٥ مع يحيى شاهين ثم أفاجأ به بعد ذلك فى دور صغير جداً مع أنور وجدى فى قلبى دليلى مجرد نمره فى الحفل وكذلك فى فيلم عنبر.. وبعد عنبر وفى عام ٤٩ يُعطى إسماعيل ياسين الفرصة لأول بطولة مطلقة مع ماجدة فى فيلم الناصح.. ثم يرتد بعدها ليصبح سنيداً مع محمد فوزى وفريد الأطرش.. وقفزة أخرى نحو أول اسم فى فيلم فلفل وليلة الدخلة فيقتنع به أنور وجدى أخيراً.. بعد أن نحته بما يكفى ويعمل له فيلم المليونير بطلاً مطلقاً.. يعمل دورين فى الفيلم.. ولكن ماله يتراجع عن البطولة مرة ثانية ليصبح سنيداً لكمال الشناوى فى بشرة خير والحموات الفاتنات بل وسنيداً لفيروز مع أنور وجدى أيضاً فى عام ١٩٥٤.. كان لأول مرة يوضع اسمه على أفيش مرتبطاً باسم الفيلم (مغامرات

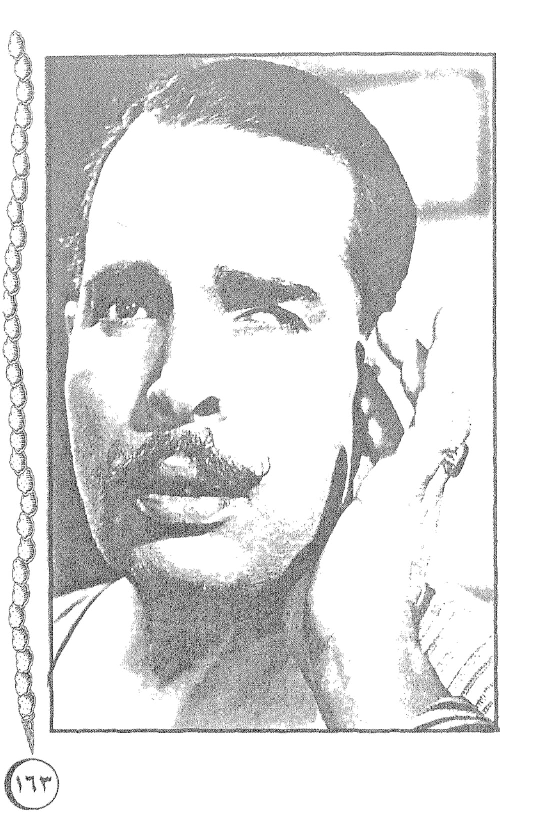
إسماعيل ياسين) ليوسف معلوف ثم (الأنسة حنفى) ليتربع تمامًا على عرش الكوميديا فى مصر.. وبعدها (عفريت إسماعيل ياسين) ولكن ما هذا؟ يعود بعد كل هذا ليعمل سنيدًا مرة أخرى للكحلاوى فى فيلم خليك مع الله.. ولشكرى سرحان فى الستات ما يعرفوش يكدبوا؟!! ولا يأتى عام ١٩٥٥ إلا وتبدأ سلسلة الأفلام التى تبدأ بإسماعيل ياسين فى .. وحط أى حاجة .. بعد اسمه.. الفيلم ح ينجح .

عذرًا يا أعزائى أرهقتكم بالتواريخ ولكن.. كما ترون أنه برحيل الريحانى عام ٤٩ بدأت الحياة تبتسم لموهوب جديد فى عالم الكوميديا هو الشاب البائس إسماعيل ياسين وعليه فالفن لا يتوقف عند مخلوق وكما ترون أيضًا أن هذا العبقرى كان بسيطًا وعملاقًا فى الوقت نفسه.. فكان فى لحظة بطلاً.. ثم يعود بكل حب ليشارك كسنيد فى نجاح فيلم آخر ليس عليه اسمه فى الوقت الذى كان هو الاستثناء الوحيد الذى كان يسمح له بوضع اسمه على الأفلام.. فهل نتعلم من هذا الطفل العبقرى بعض الدروس.. ليستبيونا بقه ولا مش ليستيبونا؟؟

روح وأنت حبيبى

بعد أن فقد الفن حتة السكر اللى اسمها عبد الفتاح القصرى.. وهو ابن البلد الشهم فى غشومية.. الجاهل فى طيبة.. المتفلسف والعسل ينقط من بقه.. ذلك النوع من الشخصيات التى تعشق أخطاءها وتعشق كلامها.. ونظراتها ومشيتها.. إنها شخصيات تذوب فيها ولا تعرف بالضبط أنت تحبها منين.. من أى حتة بالضبط احببنا القصرى؟! لا نعلم.. ورحل عبد الفتاح القصرى وترك فراغًا مرعبًا.. فى منطقته.. إلى أن تحولت القلوب والعقول والأبصار فجأة نحو ممثل تخصص فى أداء الأدوار الجادة فكنت تراه مرة ضابطًا ومرة وكيل نيابة ومرة أخرى محاميًا مرتديًا بذلة غامقة ومكشر علطول..

هذا الممثل فجأة انفتحت أبواب القلوب له وقالوا له ياللا.. روح وأنت حبيبنا.. وأحبوه.. رموا عليه يمين الحب.. وبدأ الفراغ الذى تركه القصرى يمتلئ بالتدريج.. وظل يملأه هذا الممثل حتى ضاق به الفراغ.. وكأنه كان مصرًا أن يترك بعد رحيله فراغًا أكبر.. أكبر من أن يملأه أحد..



محمد رضا.. كان المشهد الأخير لى معه منذ شهر ونصف جلسة فى أحد الفنادق.. كان المعلم رضا يتناول النارجيله مع كوب الشاى بالنعناع وكان الوقت عصراً والجو هادئًا وصافيًا.. وكانت الحياة جميلة قوى وتبادلنا ابتسامة حانية على بعد زادت من جمال الحياة.. وشعرت أنه يريدنى وكنت لا أريد أن اقتحم عليه جلسته.. ولكنه الذى دعانى إليه قائلاً ح أعطلك؟!

وجلست إلى جواره.. قال لى قرأت بعض الهجوم عليك وسعدت جداً.. ودعوت لك ربنا يزيدك ثم أضاف قائلاً تعرف يا يوسف يابنى.. أنا فى عز نجاحى وأفلامى تحقق إيرادات ضخمة جاء لى ممثل زميل وقال لى أنت بتحاربنى وبتحقد عليا فأجبته قائلاً: أنا لا أحقد عليك وهذا ليس بدافع من أننى إنسان كويس ولكن لأنى لا أملك وقتًا لأحقد عليك.. أننى لا أتوقف عن العمل ٢٤ ساعة فمتى أحقد.. أعدك يا زميلى العزيز أننى حينما أقعد فى البيت واتعطل عن العمل.. أعدك أن أحطك فى دماغى.. وأحقد عليك.. وضحكنا أنا وهو..

فقلت له باسمًا: بس برضه يا أستاذ.. حتى بعد أن أصبحت مقلاً فى عملك وقاعد فى البيت معظم الوقت.. لم أشعر للحظة أنك حقدت على أحد.. بل لا أراك إلا محبًا للخير لكل الناس.. فأردف قائلاً:

ما أنا كنت أتعودت بقه على كده..

رحم الله محمد رضا.. الذى شهد نجاحات منقطعة النظير وحفر ببساطته النادرة طريقه إلى القلوب.. وصارت شخصياته بيننا حية ترزق.. عماشة.. رضا بوند.. المعلم رضا.. محمد أفندى رفع العلم.. حنفى الونش.. وكان طفلاً ضخمًا بريئًا تعشقه الأطفال ويعشقه الكبار.. واستطاع هذا الشخص النادر أن يحتفظ بصفحته ناصعة البياض طوال سنوات عمره المديد فلم أسمع فى حياتى كلمة قيلت فى حق المعلم رضا.. لم يشك منه أحد.. حتى الألسن الكثيرة.. المتبرعة التى تختلق وتؤلف للنيل من الناس ونجاحاتها.. لم تجرؤ على أن تمس هذا الكيان الشديد النقاء..

وفى رثائه أنا مصر أن نبتسم.. سأذكركم بأفيه أو لازمه من لازماته الشهيرة فى فيلم « ٣٠ يوم فى السجن»

مع فريد شوقى وثلاثى أضواء المسرح.. كان المعلم رضا.. مسجونًا معهم وسجن بسبب سرقته للغسيل.. وكان كما يقص حبال الغسيل يقص الكلام أيضًا.. (لاحظو الخيال الذى فى اختياه للأفية) فيقول له مثلاً.. أنا باشتغل حرا.. يعنى حرامى أو يقول له أنت فاكرنا أفا.. أفانديه يعنى وهكذا..

أما حينما كان المعلم رضا يمثل دور العاشق الولهان بحجمه الضخم هذا وكرشه الجميل فكان يمتعنا ويبهجنا ويسعدنا.. وكان يتحول بسرعة من الضعف العاطفى أمام أنوثة المرأة إلى راجل الحتة وسبعها الهمام.. وكان فى الخناقات بقه له جمهور من المعجبين فكان يضرب هذا بكرشه فيطيره من فوق عمارة.. والناس تصدق وتتقبل وتضحك.. هل تعلمون لماذا صدقناه.. لسبب بسيط.. لأنه كان راجل تلقا... تلقائى يعنى ..

الأعمار بيد الله

فى فيلم شباب امرأة جلس الرجل العجوز السكير حسبو (عبد الوارث عسر) ينصح الشاب القروى الساذج إمام (شكرى سرحان) بأن يبتعد عن شفعات (تحية كاريوكا) تلك المرأة اللعوب المتفجرة الأنوثة.. ولعلع عم عبد الوارث عسر فى هذا المشهد وقال له : إمام يا بنى.. إمشى من هنا.. انفد بجلدك.. أنا زمان كنت شاب زيك كده مليان شباب وصحة ورجولة والنتيجة أهوه.. بقيت اللى قدامك ده.. أنت مش مصدقنى؟!

وجرى وأحضر له صورته وهو فى ريعان شبابه ليثبت له أو لنا (كجمهور يعنى) أنه كان شابًا صغيراً موفور الصحة حينما وقع فى غرام شفعات.. وإذا بالصورة لعبد الوارث عسر فى عمر يناهز الستين أو يزيد.. ووجدت نفسى أتساءل متى كان عبد الوارث عسر شابًا.. هل ولد الرجل أبًا؟! أنا لم أره شابًا فى أى فيلم من الأفلام كلهم شاهدنا مرحلة شبابهم إلا هذا الرجل.. رأيناه أبًا على فراش الموت

لليلى مراد فى فيلم عنبر وأبًا ليحيى شاهين شخصيًا فى فيلم الأخوة الأعداء وفى أفلام عبد الوهاب نفسها لم يكن نصيب الرجل سوى دور الأب.. هل تحمل عبد الوارث عسر المسئولية منذ الصغر؟! وشال الهم بدرى؟!

والشيء الذى أثر فى نفسى حقًا أن الرجل كان يموت كثيرًا فى أفلامه.. كانوا يقتلونه ويذبحونه ويطلقون عليه النار مئات المرات لدرجة أنهم أوقعوه ذات مرة من على السلم وهو يقود (بسكليته) ليتخلصوا منه.. ولذا بمجرد ما كان يظهر عبد الوارث عسر على الشاشة كنت أضع يدى على قلبى وأقول ربنا يستر .

ولأننى أملك شاشة ذهنى.. أستطيع أن أتخيل ما أشاء.. أستطيع أن أؤلف أفلامًا وأخرجها وأعرضها على شاشة خيالى هذه بلا اعتبار للتوزيع أو الشباك.. فتخيلت عبد الوارث يقوم بدور الفتى الأول - مرة من نفسه - ألبسته بنطلون جينز وتى شيرت وقصصت له شعره من الجانبين وأطلت سالفيه.. ومن بعيد وقفت فتاة شقراء تنظر إليه فى هيام.. ومر بجانبها عم عبد الوارث بعد أن بص للبنت بصة سيبت مفاصلها قائلاً.. هيه.. أحلامى وآهاتى هيه.. أغلى

من حياتى.. هيه أملى وذكرياتى.. هيه حبى للجنون.. ثم لقطة لهما معًا يتدفآن على النار.. ثم لقطة لهما وعم عبد الوارث يقود السيارة الجيب وهى بجواره محتمية بساعديه.. وهكذا إلى أن تقول له ارحل يا حبيبى أهلى ما يرضون.. ويذهب ليطلبها من أبيها.. وهنا المشكلة من الذى سيكون أبوها.. من الذى سيقوم بدور الأب لا أحد غيره.. عبد الوارث عسر.

وعندنا نجوم قاموا بدور الفتى الأول وهم يخلصون اجراءات الإحالة على المعاش.. ونجوم تجاوزوا الخمسين ويقفون فى فناء الجامعة يمثلون أدوار الطلبة.. وتجده يبتسم لزميلته فى رقة قائلاً: ممكن استلف كشكول المحاضرات؟! وإذا نظرت للتجاعيد التى فى وجهه لفصلته على الفور من الجامعة وأودعته دار المسنين.

وفى مشهد آخر لفتى أول كان قد أتم الخامسة والخمسين وإذا به يجرى فى فرح ملقيًا بنفسه فى أحضان أمه.. ماما.. ماما.. نجحت يا ماما باركيلى.. فترد عليه الأم فى حنان يا ترى ح أعيش يا بنى وأشوفك دكتور؟! فى الحقيقة أن المشكلة إن كان هو الذى سيعيش وليست هى..

ويستنكر الممثلون الآن دور الأب أو الجد ويقول أحدهم.. إذا عملت أب النهارده امال بكره أعمل أيه.. ولكن عبدالوارث عثر بدأها من النهاية.. بدأها أبًا عجوزًا.. مسنًا.. وعاش عمرًا فنيًا أطول منهم جميعًا.. جاء إلى چورچ أبيض سنة ١٩١٧ يهوى التمثيل.. ويطلب فرصة.. أخذه چورچ أبيض إلى سطوح المسرح وفى الخلاء والهواء الطلق.. قال له مثل يا سيدى.. ورينى.. وكان أول مشهد يمثله.. دور الحجاج بن يوسف الثقفى.. وتجلى عبدالوارث بلغة عربية فصيحة.. وأذهل چورچ أبيض.. الذى انزله من السطوح لينضم إلى فرقته.. وكان أول أدواره على المسرح دور كهل عجوز طاعن فى السن.. مشهد واحد فقط يموت فى نهايته.. طبعًا..

ولكن برغم تراچيدية الدور كانت الناس تضحك وهى تتفرج عليه.. وجن جنونه.. لماذا يضحك الجمهور.. ما الخطأ الذى ارتكبته؟! فقد كان الضحك أيامها.. خطأ لا يغتفر إذا كانت الشخصية تراچيدية وذهب إلى طبيب.. واستشاره.. حكى له الدور والشخصية وسنها.. قال له الطبيب.. أنت ترتعش وأنت تمثل.. وليس شرطًا أن يرتعش

المسنون.. وأوقف الارتعاشة.. ولم يضحك الجمهور واستراح عبدالوارث عثر..

وصار بعدها ليس أبًا فى الأفلام فقط.. بل أبًا روحيًا لكل الممثلين وفى فيلم غزل البنات.. كتب الريحانى وبديع خيرى الحوار.. وكانت مشكلة ضخمة.. الحوار طويل مسرحى.. وأنور وجدى المخرج والمنتج العفريت لا يجرؤ على أن يواجه الريحانى العظيم بهذه المشكلة.. وكانت الأقدار محفوظة.. ولجأ إلى عبدالوارث عثر.. واتفقا على أن يمر عبدالوارث عثر بطريق الصدفة - المتعمده- على جلسة قراءة السيناريو ربما استطاع أن يواجه الريحانى بهذا العيب.. وأتى.. وسمع الحوار ثم بكل رقة.. بكل أبوه.. قال له يا سى نجيب الحوار حلو قوى إنما.. السينما صورة.. وكل ماقدرنا نشيل كلمة من الحوار يبأه أحسن واقتنع نجيب.. فكلام الأب لا يرد.. لا لم يكن عبدالوارث عثر ممثلاً قديراً فحسب.. كان أديبًا حقيقيًا.. وكان شاعراً.. وكان.. فى البداية وفى النهاية أبًا بمعنى الكلمة..

لا أهلاوى ولا زملكاوى
أنا كحـــلاوى

محمد الكحلاوى.. كان قنبلة الغناء الشعبى فى الأربعينات وبداية الخمسينات مما رشحه لبطولة عدد كبير من الأفلام السينمائية حتى أن إسماعيل ياسين شخصيًا كان سنيداً له فى أفلام كثيرة منها خليك مع الله والذى كان استثمارًا لنجاح أغنية كانت ناجحة نجاحًا ساحقًا للكحلاوى، تقول الأغنية خليك مع الله واعمل الطيب.

والكحلاوى للحق كان ممثلاً رديئًا ولكنه كان يمثل برداءة وثقة فى نفس الوقت فقد كان واثقًا من جماهيريته وحب الناس له فكان أحيانًا - يبص - فى الكاميرا ويبتسم ابتسامة كحلاوية خاصة بعيدة عن الشخصية التى يمثلها وعن الموقف.. وعن الفيلم.. وأحيانًا أخرى.. يبص.. للمخرج أو للمصور وكأنه يقول.. ها أنا قد أنهيت المشهد مش ياللابأه.. عندى فرح..

ولما كانت كرة القدم هى اللعبة الشعبية الأولى والكحلاوى هو المطرب الشعبى الأول.. سارع المنتجون بعمل قصة فيلم يكون فيها الكحلاوى لاعبًا يجمعوا فيه بين الحسنيين.. وكان الفيلم (كابتن مصر) ولا نريد أن نحكى

قصة الفيلم البسيط الممتع وإنما اسمحولى أن آخذكم إلى مشهد النهاية حيث الكحلاوى بعيداً عن اللعب.. وحيث المباراة النهائية التى يلعبها الفريق فى ظروف صعبة لن يحلها بالتأكيد إلا مجىء البطل - الكحلاوى - فى اللحظة المناسبة ليحول الهزيمة إلى انتصار ساحق.. ويدخل الكحلاوى الملعب فيهتف له الجمهور واللاعبون ويحيونه.. ولا يسأل أحد هل هو مسجل فى قائمة الاحتياطى أم لا .. ليس مهمًا.. ما دام جه.. يبقى ح يلعب.. وحينما يسأله المدرب طيب ح تلعب إزاى بالبدلة والكرافاته يا كابتن.. ينظر له الكحلاوى نظرة مليئة بالإخلاص والحب ثم يبص للكاميرا ثم للمخرج وكأنه يستأذنه أن يبدأ المشهد وتكون المفاجأة حيث يخلع البدلة والكرافاته فى مشهد ميلودرامى مثير لنجده مرتديًا الفانلة والشورت تحت البدلة ويقول له والدموع تترقرق فى عينيه .. أنا عمرى ما قلعتهم يا كوتش فريق مصر جوايا مهما حصل يا كابتن.. ولم ألحظ فى الحقيقة هل كان الكحلاوى يرتدى البدلة على جزمة رياضية أم لا.. لإن المخرج ماجابش الجزمة فى الشوت.. وينزل الكحلاوى ويحرز أهدافًا بالجملة وينتصر الفريق.. وهذا الانتماء الكحلاوى الكروى كان لقطة مصرية حميمة.. فكل زعماؤنا وشعراؤنا ومطربينا غنوا لمصر وباسوا تراب مصر.. وفى مدرجات الدرجة الثالثة ابتدع الجمهور هتافات وشعارات ساخنة صارت فلكلوراً.. قاعدين ليه ما تقوموا

تروحوا.. آها.. آهو قال إيه عاوزين يا خدوه.. وابتدع لاعبو الكرة طقوسًا انفعالية جميلة أحبها الجمهور.. فهم يقرأون الفاتحة قبل المباراة وهم يحتضنون بعضهم بعضًا وإذا أحرز أحدهم هدفًا يبوس الفانلة أو يوطى على النجيلة ويقبلها فى تأثر شديد.. وهذا الإحساس الوطنى أو الدينى انتقل بدوره إلى الجماهير التى توصى اللاعبين قبل المباراة كأنهم يقدمون على معركة تحرير القدس ربنا يوفقكوا يا كباتن.. ربنا معاكو.. الشيخ حسن معانا أهوه بيدعيلكوا.. إدعى يا شيخ حسن.. والشيخ حسن مجذوب أعمى يرتدى عددًا كبيرًا من السبح ويمسك بمبخرة.. وهكذا صارت كرة القدم مثل المولد أو ليلة ذكر نعيش فيها حالة من الدروشة المختلطة بالحب والوطنية وبعد المباراة تنهال اللقاءات التليفزيونية على اللاعبين ولا أعلم لماذا يردون جميعًا بصوت مبحوح.. ويبدأون جميعًا كلامهم بالبسملة.. بسم الله الرحمن الرحيم احنا موتنا نفسنا عشان خاطر الناس دى.. الجمهور اللى جالنادى مش عاوزينه يرجع زعلان .

وبدأت الدنيا تتغير.. وأصبح الانتماء موضة قديمة لا تتناسب مع روح العصر الجديد فلا استعمار ولا حروب ولا التفاف حول فكرة وأصبح موقف الكحلاوى فى فيلمه كابتن مصر موقفًا كوميديًا فجأة بقدرة قادر ولم تعد أغنية عليا – ما تقوليش إيه اديتنا مصر لأقول ح ندى إيه لمصر تعنى أى

شيء.. أو ربما صارت تعنى العكس فالذين أخذوا القروض والملايين من مصر وهربوا هم الذين صاروا يساومون.. هم الذين صاروا يغنونها ما تقولش أخدتوا إيه من مصر.. لأقول ح تسددوهم إزاى؟

وبظهور نظام الاحتراف تغيرت النظرة العاطفية الانفعالية للأشياء وإبتلعت الملايين شلالات المشاعر الإنسانية فالذى يملك هو الذى يستطيع أن يؤثر وبالتالى أنا لن أشجع فانلة أو لونًا أو ناديًا وإنما سأجلس فى بداية كل موسم مع نفسى وأعيد حساباتى وأدرس موقف كل نادى اشترى مين من اللاعبين؟! وكيف أعد نفسه للدورى والكأس؟ وأشجعه.. وعليه أنا لست أهلاويًا ولا زملكاويًا ولا اسمعلاويًا.. وإنما أشجع الفريق الذى أتصور أنه لن ينكد عليا.. وإذا خذلنى فى منتصف الموسم.. سأخذله أنا أيضًا بكل هدوء ولن ينحرق دمى ولن تنقسم الجماهير فى المدرجات هذا مدرج للأهلى وهذا للزمالك لأن الجمهور نفسه سيتغير فى المباراة الواحدة فهذا أهلاوى رايح يشجع الزمالك وهذا زملكاوى رايح على مدرج الأهلى وعليه لن تجلس الجماهير فى المدرجات وإنما ستمشى فيها حسب الحالة.. وهكذا لن يقضى الاحتراف على الانتماء فقط وإنما على التعصب أيضًا.. وعلى فكرة.. أنا بقالى أسبوعين سنغالى.

علی أبو شادی .. صاحبی

نحن تربينا على الرقابة.. منذ نعومة أظافرنا ونحن نشعر أن ثمة شخصاً ما يراقبنا فأمى مثلاً تراقبنى منذ كنت طفلاً أحبو.. وأمشى تاتا تاتا فإذا تمردت على المساحة التى تسمح لى فيها بالمشى والحبو وعملت حركة صياعة وقلت لنفسى لماذا لا تحبو وتكسر يمين تشوف فيه إيه فى الأوضة الثانية؟ إنها الرغبة فى الاكتشاف والمغامرة.. كولومبس على صغير يعنى.. ولكننى أسمع صرختها تخرق أذنى.. رايح فين يا واد..

اتسمر فى مكانى.. لقد ضبطتنى.. ويدخل أبى عليا وأنا أذاكر ويتصفح كراريسى وكشاكيلى وكتبى مثل البوليس السياسى أيام الاحتلال الإنجليزى لا ينقص إلا أن يسألنى.. تعرف واحد اسمه إبراهيم حمدى؟! (عمر الشريف فى بيتنا رجل) وفى الامتحانات يعينون علينا مراقباً فى اللجنة.. دائماً وجهه كشر لا أعلم لماذا.. تأتى ورقة الأسئلة.. أقرأها وأفكر فى السؤال.. أنظر للسقف تلك هى عادتى.. فتخرق أذنى برضه صرخته.. أنت باصص فين.. بص فى ورقتك..

هل يمكن أن أكون حاطط برشامة فى السقف!

ومع تكرار الفكرة وتأكيدها فى الوجدان ترسب بداخلى شعور بأننى حرامى.. برغم أننى لم أسرق شيئًا فى حياتى مما أورثنى حالة عصبية تجعلنى دائمًا أبص ورائى بسبب وبدون سبب .

فى كلية الألسن.. كانت الدفعة كلها بنات أما البنين فكانوا قلة قليلة جدًا لا تعد على أصابع اليد الواحدة فكانت أيام الامتحانات هى فى الواقع مسابقات ملكة جمال أكثر منها امتحانات.. بنات زى القشطة جايين على سنجة عشرة يمتحنوا.. وفى اللجنة التى تضم عشرين ملكة جمال.. كنت أنا الطرزان الوحيد.. ولذا كنت أعامل أسوأ معاملة من المراقب الذى يراقب علينا ومعه حق.. فأنا طالع له كده فردانى شيطانى.. على حد قول الابنودى.. عود دره وحدانى فى غيط كمون.. فمنظر بنطلون وسط ٢٠ جيبة.. لاشك أنه ليس مرغوبًا فيه.. فكان المراقب يحلل مرتبه فى مراقبتى أنا وحدى.. وكانت نظرة حلوه من إحداهن.. وبسمه لطيفه من أخرى.. ترفع عنهن الرقابة نهائيًا.. برغم أن ملابسهن لا تسمح بها الرقابة على الإطلاق وعلمت وقتها لماذا عمل الأخ سيد عملية جراحية ليتحول إلى سالى.. أكيد كان قاعد فى لجنة زى دى.

وفى أحد الأيام.. جاءت لنا مراقبة مش مراقب.. واحده ست يعنى.. وحامل فى السابع ومش طايقة روحها.. هنا لم أتردد.. قلت لها أنا عاوز أقولك كلمة ربنا يقومك بالسلامة ابتسمت وقالت.. قول يا بنى.. قلت لها أنا مضطهد.. المراقبون كلهم يتحيزون للبنات فى اللجنة وأنا زى ما إنتى شايفة.. هنا نظرت لهن الرقيبة بغل.. وقالت لى ولا يهمك وحياتك لأوريهم.. وظلت مراقبتى الحامل تضيق عليهن طول فترة الإمتحان.. ولكنها من آن لآخر كانت تتحفنى بابتسامة رقيقة.. وتظل تحملق فى وجهى حتى خيل لى إنها بتتوحم عليا.. هذه المادة رسب فيها كل البنات اللاتى فى اللجنة وجابوا ض.ج وأنا جبت امتياز والست المراقبة جابت يوسف.. أقصد يعنى سمت ابنها على اسمى..

ومن أيام الدراما اليونانية والرقابة شغالة.. ويقال انهم اعترضوا على رواية كتبها سوفوكليس.. لأنه كان يعبر فى أحد مشاهد الرواية عن وجهة نظر الأعداء.. ورفضت الرقابة أن يقول العدو على لسانه أنه يدافع عن قضية أو أنه يحب بلده.. يعنى لو كتبنا رواية عن إسرائيل ومصر.. نجيب الإسرائيليين وهما بيهتفوا المصريين أهمه.. وطنية وعزم وهمه.

واخناتون حينما اهتدى إلى الأتونيه والوحدانية خاف من رقابة كهنة آمون.. فأخذ ورقة وبردياته ومراته (نفرتيتى) وديله فى سنانه وساب لهم طيبة كلها. راح المنيا.. وعمل عاصمة جديدة عشان يعرض فيها أفكاره.. ولم يتركوه.. هدوا عليه القصر وشطبوا كل أفكاره من على جدران المعبد مثلما نشطب فى الأفلام القديمة صور الملك فاروق من وراء عبدالوهاب وهو يغنى فى غزل البنات.. والمقريزى والجبرتى كان يكتبان التاريخ مرتين.. مرة للرقابة نسخة معدلة ظريفة.. ونسخة تانية يقول فيها كل منهما اللى ف قلبه.. وألف ليلة وليلة انقضت عليها الرقابة مؤخرًا.. وحينما قرأوها قالوا يا نهار أسود.. كانت تايهة عننا فين دى.. شيل يابا.. شيل.. وعملوا نسخة مهذبة لو عديتها تيجى خمسميت ليلة وليلة بالكثير.. ومفهوم الرقابة مفهوم مطاطى.. فأى كلمة يمكن أن تعطيك ايحاء ما.. فإذا قالت زوجة لزوجها.. اسخن لك الأكل يا حبيبى يهرش الرقيب فى رأسه ويتساءل.. تقصد ايه الوليه دى !! ثم يعود ويفكر ويقرر.. احتياطيًا نشطبها.. فى وقت ما كتبت مسرحية اسمها «لأ.. لأ بلاش كده» .. واعترضت الرقابة على الاسم.. وأصروا أن نشطب (لأ) منهما وعدت أنا الذى أهرش فى رأسى.. واتساءل يا ترى يقصدوا انهى لأ فيهم

الأولانية ولا الثانية؟! قلت أسأل ضميرى.. نيتى.. أنت قاصد حاجة قبيحة فى (لأ) الأولانية وإلا (لأ) الثانية؟! فوجدت اننى نيتى وحشة فيهما هما الاثنتين وشكرت الرقابة انها تركت لى واحدة.. كتر خيرهم..

والرقابة موهبة ومتعة أيضًا.. كتب العقاد فصلاً كاملاً فى رواية سارة.. اسماه الرقابة ومضحكات الرقابة.. حيث كلف أحد أصدقائه أن يراقب حبيبته ساره التى يشك فى سلوكياتها ولم يكن صديقه هذا موهوبًا فى الرقابة فدوخته ساره وراءها.. ولم يظفر بأى نتيجة.. ومراقبة المرأة أصعب بكثير من مراقبة الرجل.. فالمرأة عندها قرون استشعار تجعلها تحس بأنها مراقبة أما الرجل مننا واكل داتوره.. تبقى البلد كلها بتراقبه وهوه ولا هنا..

والسوابق حينما يخرج من السجن يظل تحت الرقابة لمدة ثلاثة أشهر.. للتأكد من حسن سيره وسلوكه.. ولا أعلم لماذا ثلاثة أشهر بالذات وهل هذه لها علاقة بشهور العدة؟! ولذا فإن الرقابة يجب أن تبدأ بالشك أو بالاتهام.. وهذا هو حال المؤلفين والمخرجين فى مصر.. كلنا سوابق.. ولا أعلم لماذا يخيل لى أن الرقيب يمسك جرنال مقطوع ويلبس بالطو أصفر وهو يقرأ لى رواية.. وذات مرة قرأت خبرًا بالأخبار..

أن الرقابة رفضت نصًا للمؤلف يوسف معاطى لكثرة المشاهد الجنسية والمثيرة التى تخل بالآداب العامة وتخدش الحياء العام.. يا كسوفى.. يا عرقى.. أودى وشى من الناس فين وجريت على حمدى سرور مدير الرقابة السابق. قلت له.. كيف يحدث هذا يا أستاذ حمدى وتخيلت نفسى عائدًا فأوقفتنى لجنة على كوبرى أكتوبر.. وبجوار الضابط الذى يتأكد من الرخصة.. رقيب.. عرفنى على الفور وقال لى.. هات النص اللى معاك.. قلت له أنا لسه باكتب فيه.. ماخلصتوش فسحبه منى بعنف وجلس يتصفحه.. ثم قطع منه كام صفحة خارجين وكام مشهد وأعاده لى وقال.. اتفضل اطلع.. ماتوقفش الناس.. وأخذت بقايا روايتى وجريت.. وكانوا بدأوا التفتيش على حسام حازم وسمير الجمل ما هم كانوا فى العربية اللى ورايا.. وعملت نفسى ما أعرفهمش يا عم.. أنا مالى.. دول سوابق.

والشىء الظريف هذه الأيام.. أننى كلما وقعت عقدًا لسيناريو فيلم عند أحد المنتجين.. اسأله وماذا ستفعل مع الرقابة يقول لى فى ثقة وهدوء.. ماتخافش أنا على أبو شادى صاحبى لو حصل أى اعتراضات ح نروح له ونخلص الموضوع الراجل هايل ومتفهم جدًا وفنان.. ما تقلقش أنت.. ويعرض عليا أحد النجوم فكرة.. أقول له وهل

ستقبلها الرقابة. إنها فكرة جريئة فيرد النجم مبتسمًا.. ولا يهمك.. نكلم على أبوشادى ونروح له ونتكلم معاه.. ده صاحبى وأشفقت على الرجل والله.. كل دول أصحابه.. وهل سيقرأ الرجل المسكين كل الأفلام والمسرحيات والأغانى ويشاهد كل الأفيشات.. وأين الآخرون.. الذين هم ليسوا أصحابنا.. ولماذا لا يصبحون أصحابنا.. ولماذا أرى فى عينى الرقيب نفس النظرة التى كان ينظرها رئيس كهنة آمون لإخناتون.. لماذا أشعر أنه يفتشنى ولا يراقبنى.. يزغر لى بعينيه ويقول لى بمنتهى الفتاكة.. أنت فاكر أنى مش فاهم اللى أنت كاتبه يا أستاذ.. لا معلش تقدر تقوللى العمدة اللى قتلوه فى البلد ده يبقى مين؟! مش تقصد السادات.. ما تقول تقصده وإلا لأ لحسن تفتكر إن أنا مش واخد بالى.. والرجل المجنون اللى عمال يشتم الناس فى الشارع ويقول ياولاد الكلب.. ياولاد الكلب.. يقصد مين.. بقولك إيه.. أنا معديلك أول عشر مشاهد بمزاجى.. أعزائى زملائى فى الرقابة.. اللصوص فى الأفلام لا يعلمون الناس السرقة.. والعاهرات لا يعلمن الناس الفجور كما أن الناس الطيبين الذين يقولون خطبًا فى المبادئ والمثل لم يحولوا الناس إلى ملائكة.. وفى التليفزيون تصر الرقابة على ألا يختلى ممثل وممثلة فى المكان إلا إذا كان معهما ثالث

(محرم).. كيف بالله عليكم يعنى لو سمير غانم ودلال.. ماشى إنما لو سمير وچيهان.. لازم أحط معاهم جورج!! وإلا.. هناك حل آخر.. لو مصر أن يختلى البطل بالبطلة لا تترك باب الحجرة مغلقًا.. الشيطان شاطر.. افتح الباب أو واربه.. افتح أى باب بالله عليكم!! إحنا فى استوديو فيه خمسين عامل كلهم محرم.. والخيانة الزوجية ممنوعة والقتل ممنوع.. والدراما ممنوعة.. ما هذا يا إخواننا دول هما سنتين وحنقول ألفين وكذا.. القرن الواحد وعشرين جاى والأنترنت فى كل الدنيا.. نريد أن نتنفس ننطلق.. لم يعد الجمل وسيلة المواصلات والله.. فيه طيارات وصواريخ.. وبيچو سبعة راكب..

أعلم أننى بعد هذا المقال سيرفض أى نص لى أقدمه إلى الرقابة وأعلم أننى طينتها على دماغى.. لكن مش مهم.. أنا على أبوشادى صاحبى .

الدنيا عاملة زى إيه

هكذا هى الدنيا.. تأتى نحوك وتقبل عليك فى الوقت الذى لا تريد أن ترى وجهها فيه.. وتجننك وتذيقك الأمرين حينما تلهث وراءها.. فما هو أدق وصف للدنيا.. قال لى صديقى وهو يشد نفس المعسل باستمتاع: شوف يا حبيبى.. الدنيا دى عاملة زى الرقاصة يوم تديك وشها.. ويوم تديلك جنبها.. ويوم تديلك ضهرها.. والتفت زميله الذى حشر نفسه فى الموضوع.. وقال يا عم ما سمعتش الأغنية بتقول إيه.. دنيا غرورة وكدابة.. زى السواقى القلابة.. ومر بائع الخضار أمام المقهى.. وقال لى: الدنيا دى عاملة زى الخيارة.. يوم فى إيدك وتقسم لغيرك.. الشاطر بقى.. اللى يخش دنيا فى الزمن ده ويلحقها.. عشان هى مابتستناش حد.. أوعى تضحك عليك.. وتلاقى الزمن عدا.. ولاحسيت بيه.

ووجدت نفسى أسرح فى كلام الرجل البسيط.. فلا أعلم لماذا شعرت أننى أكلم العقاد شخصيًا برغم الهوة المهولة بينهما.. ولكنه العقاد.. حينما سئل لماذا لا تتزوج.. لماذا

عشت حياتك عازباً.. أجاب نفس الإجابة.. قال: حينما توفرت الرغبة لم تتوفر الوسيلة.. وحينما توفرت الوسيلة لم تتوفر الإرادة وحينما توفرت الإرادة فقدت الرغبة والوسيلة.. وبرناردشو الكاتب الساخر العظيم عاش الفترة الأخيرة من حياته على خطبه ومحاضراته الفكاهية فى كل مكان وكسب كثيراً.. ولكنه لو توفر له هذا فى بداية حياته.. ربما ما كان أصبح ساخراً من أساسه.. وسلفادور دالى الرسام السيريالى.. دعوه ليلقى محاضرة فى نادى العراة.. وذهب ليلقى المحاضرة وقبل أن يبدأ - اعتذر لخمس دقائق وذهب إلى غرفة قريبة من القاعدة وخلع ملابسه بأكملها إذ إنه أصر على أن يلقى محاضرته عاريا كما ولدته أمه.. تحالفا مع أعضاء النادى العراة.. وحتى لا يشعرون بالحرج منه.. وهو الوحيد الذى يرتدى ملابسه.. وعاد إلى القاعة عارياً تماماً.. ولكن.. كانوا قد ارتدوا جميعاً ملابسهم مراعاة لمشاعره هو.. وأكمل محاضرته عاريا وحده أمامهم جميعاً.. والكاتب البريطانى «سومرست موم» عند بلوغه سن الثمانين أقيم احتفالاً له بهذه المناسبة وكان الاحتفال رهيباً ومؤثراً.. وبدأ «سومرست موم» خطابه بالتحية العادية لمستمعيه.. ثم تردد برهة قبل أن

يقول: أخواني.. هناك مزايا كثيرة جداً تتوافر للمرء.. عندما يتقدم به السن زى حالاتى.. وتوقف «سومرست موم» عن الكلام.. ثم بلل شفتيه.. ونظر حوله طويلاً ثم نظر إلى أسفل وأخذ يتمعن فى المفرش الموضوع أمامه على المنضدة.. والحقيقة أن الحاضرين أصابهم قلق شديد.. وبدأوا يتساءلون هل هو مريض؟! هل يستطيع أن يكمل خطابه.. وأخيراً.. نظر «موم» إليهم وقال: إننى أحاول أن أتذكر هذه المزايا الكثيرة.

ودوت القاعة كلها بالضحك والتصفيق الحار لسومرست موم.

يبدو أن الدنيا مثل البنك.. يقرضك كل ما تريد من النقود.. إذا استطعت أن تثبت له أنك فى غير حاجة إليها.

العشرة النوابغ

كان لها شأن عظيم فى مطلع القرن العشرين، أعنى الصحافة الأدبية وكأن مصر كلها كانت أدباء ومفكرين .. فالمادة التى كانت تقدمها المجلات الأدبية الشهيرة .. كالزهور - وأبوللو - والكاتب المصرى وغيرها، مادة فخمة غاية فى الرقى، ترجمات وموضوعات أدبية وشخصيات ومعارك رائعة حول فكرة ولم يكن المبدع هو فقط عظيماً، المتلقى كان أعظم ويقول (جيراردين)، إنما ينشىء الجريدة مشتركوها وقارئوها، لا محرروها.

وقد اقترحت مجلة الزهور على قرائها أن يذكروا اسماء عشرة يصح تسميتهم بنوابغ مصر فى أيامهم أعنى سنة ١٩١٢، وها هم العشرة الأوائل أحمد شوقى بك ٣٧٠ صوتاً وحافظ إبراهيم وچورچى زيدان ويعقوب صروف وسعد زغلول وولى الدين بك يكن والدكتور فارس نمر، وأحمد زكى باشا وخليل أفندى مطران والسيد على يوسف، وتلاهم آخرون مثل إسماعيل صبرى باشا والمنفلوطى وأحمد لطفى السيد وچورچ أبيض فى التمثيل والشيخ سلامة حجازى فى

الموسيقى وسمعان صيدناوى فى التجارة، وقد ذكر بعض الظرفاء على سبيل الفكاهة ممن يعدون نوابغ فى نوعهم، مثل حافظ نجيب النصاب الشهير والحاتى، الكبابجى الأشهر، وحينما كنت فى بيروت وجدت قصيدة رائعة كتبها شوقى بك يمتدح الحلوانى الشهير «البحصلى» يشيد فيها بإبداعاته العبقرية فى البسبوسة والزلابية والكنافة والجلاش، أما «الهلوتى» الفسخانى الشهير فقد صنع تاريخًا بحق ومجداً ليس له نظير فيما يختص بالملوحة والفسيخ والرنجة، ولا شك أنه يعد نابغة هو الآخر ولكن هل إذا نحن فعلنا مثلما فعلت الزهور من تسعين سنة وطلبنا من القراء أن يعدوا لنا عشرة من النوابغ فى عصرنا نحن هل سيستطيعون؟!! أشك..

فلا أحد اليوم يريد أن ينبغ فى شىء .. قالولى أنه يعمل «كشرى» عظمه، ولكنه فى زقاق ضيق متفرغ من حارة، وشددت الرحال وذهبت إليه، ليس جريًا وراء بطنى بقدر ما هو بحث عن أى شىء متميز، وذهبت إليه وقلبى يدق من الفرحة، فى انتظار الطبق و .. ولكن .. ليس له طعم.. لا أستطيع أن أضمه إلى موسوعة النابغين.. نحن فى عصر الدعاية - فلا تصدق كل ما تسمع، وأنا لن أقول

لكم عن النوابغ السالفى الذكر فأحمد شوقى لا ينتظرنى حتى أتكلم عنه ولا لطفى السيد ولا غيرهما، سأكلمكم عن النصاب المحتال الذى أشرت إليه هذا .. حافظ نجيب، يقال إنه الذى باع الترماى .. ويقال إنه احتال ونصب على عدد مهول من البسطاء بطرق عبقرية، وتراكمت عليه الأحكام ودخل السجن ولكنه بعبقرية أخرى هرب من السجن إلى الوجه البحرى ودخل أحد الأديرة وادعى أنه راهب اسمه غبريال جرجس، والتف حوله الأخوة المسيحيون فى حب يعترفون ويطلبون البركة، وأخيراً، احتال الراهب غبريال على رئيس الدير وأخذ مبلغ ستمائة جنيه واختفى ثم جاء إلى القاهرة وعمل درويشاً، وطب عليه البوليس وهو فى حلقة ذكر وحينما قبضوا عليه ادعى أنه الشيخ عبد الله إبراهيم من المنوفية، وحينما هرب إلى مصر القديمة انتحل شخصية جديدة وتزوج إحدى جاراته ورزق منها بطفلة اسمها عزيزة، ولم تعرف زوجته ولا ابنته بأن هذا الأب الحنون هو النصاب الشهير حافظ نجيب، وذات يوم قصدت مطبعة المعارف سيدة اسمها وسيلة محمد وعرضت على صاحب الدار كتابا اسمه «روح الاعتدال» ورأوه جديراً بالنشر وتناولته الصحف والأقلام بكلمات الإطراء وقررت

مدارس كثيرة تدريسه بين مناهجها، ثم عادت وسيلة بعد فترة وجيزة بكتاب آخر اسمه «غاية الإنسان» وكان لها دوى فى الوسط الثقافى لا يقل عن الأول، ثم قدمت لهم الجزء الأول من كتابها الجديد «الناشئة» ولكن السيدة وسيلة الأديبة لم يكن يبدو عليها أى ثقافة، مجرد ست بلدى منكسرة وغلبانه وعلى نياتها فكيف كان لها هذا الأسلوب الرائع وهذا الفكر؟! حينما قبض البوليس على حافظ نجيب لم تستطع وسيلة أن تقدم الجزء الثانى من «الناشئة» الذى كان يكتبه حافظ نجيب وينشره باسم زوجته وهى لا تدرى شيئًا هو وكل الكتب السالفة الذكر.

وقد أهدى حافظ نجيب (على لسان وسيلة) الكتاب إلى ابنته العزيزة، عزيزة ولنقرأ معًا هذا الإهداء الذى كتبه النصاب الشهير حافظ نجيب.

«ابنتى .. أنت اليوم طفلة فى المهد تسرك ابتسامتى ويكفيك حنوى، والزمان متقلب والغد مجهول فقد لا أكون إلى جانبك إذ ذاك فترجعين إلى هذا الكتاب فتؤثرين العمل بما فيه من الآراء السديدة على ما يحدو إليه نزق الشباب وجنون الصبا وطيش الرعونة .. الدهر عبر والحياة سير

والنفس بينهم لا تستقر فمن تتقى الأيام تأمن عبرها ومن تعرف الحياة تتحمل سيرها والحوادث جائية ذاهبة والأعمار فانية ناضبة فالحياة لا تدوم أسعدت أم أشقت» .

وأكتفى بهذا القدر للدلالة على مقدرة حافظ نجيب الفذة فى الكتابة الأدبية وذكائه النادر وإذا كان هذا النصاب قد باع الترماى يومًا ما فهو حين كتب لم يبع لنا الترماى ولا العتبة الخضراء، وإنما أهدانا قطعة أدبية بديعة، يا ليت كل النصابين بهذا العمق وكم من كتاب وأصحاب أقلام باعوا لنا الترماى، وضحكوا علينا، ماذا حدث لنا يا إخواننا يبدو أن عصرنا هذا ليس عصر النبوغ.

اقترب منى صديقى وهمس لى، عرفتلك بقى واحد بيعمل فول وطعمية، حكاية، ما تعرفش بيحط فيهم إيه .. عبقرى .. أستاذ .. وقمت من مكانى فورًا وقلت له .. ياللا بينا ماذا أفعل يا ناس؟! لا زلت أبحث عن النبوغ.

أنا لا أسكت ولكنى أتكلم

يقول أديسون فى دفاعه عن الصمم الذى أصيب به ولم يمنعه أن يصبح ذلك المخترع العبقرى إن الصمم أهون بكثير من العمى .. بل ويرجع عبقريته هذه إلى صممه الذى وفر له حالة من الهدوء الخلاب جعلته يواصل العمل ساعات طويلة بلا عناء بل كان هو الدافع الذى جعله يخترع أشياء عجيبة كلها لها علاقة بالأذن مثل الفونوغراف والتليفون .. ولم يشعر أديسون بعقدة لإفتقاده لهذه الحاسة المهمة إلا فى الريف حيث افتقد أصوات العصافير وحفيف الأشجار.. أما فى المدينة بضجيجها وضوضائها فكان الصمم نعمة .. ومن المعجزات العجيبة أن بيتهوفن مثلاً استطاع أن ينجز فى رحلة صممه أروع السيمفونيات التى لم يسمعها هو شخصيًّا .. والتى لم يستطع أن يقوم بها ذوو الأذن الحساسة المرهفة .. مما يجعل المثل الشهير «فاقد الشىء لا يعطيه» مجرد عبث وهراء ويجعلنى أغير المثل قائلاً : «فاقد الشىء يبدع فيه» وحينما غنى فريد الأطرش لحبوبته اسمع.. اسمع .. اسمع لما أقولك .. ثم يعود ويكرر اسمع.. اسمع لما أقولك فى رأيى أن الحبيبة فى الأغنية سمعت وأجابت ولكن الأطرش هو الذى لم يسمع .. وهذا التوسل العاطفى للمحبوبة لكى تسمع لا يرجع إلى تقل الحبيبة ..

وإنما إلى تقل فى ودان الحبيبة هذا ما جعل فريد يتراجع حتى لا يحرجها ويقول «ولا أقولك مش ح أقولك ما أنت عارف يا حبيبى قصدى إيه من غير ما أقولك» على أساس يعنى إذا كان بيتك من زجاج لا تلقى الناس بالحجارة..

وكما يدافع أديسون عن الصمم ويعتبره أهون بكثير من العمى تجد الصفدى يقول : «قل أن يوجد أعمى بليداً ولا يرى أعمى إلا وهو ذكى» .. والسبب فى ذلك أن ذهن الأعمى وفكره يجتمع عليه ولا يعود متشعبًا بما يراه ونحن نرى الإنسان إذا أراد أن يتذكر شيئًا نسيه أغمض عينيه فيقع على ما شرد من ذاكرته وفى المثل «احفظ من العميان» والعميان فيهم سخرية وفلسفة عميقة .. وابتسامة لا تفارق الفم .. ولو تخيلنا للحظة أن شاعرا فذا مثل أبى العلاء كان مبصراً لما أزهلنا بما قال .. أما أبى العيناء الساخر الرهيب والمعاصر للجاحظ فيدافع بقوله عن ابتلائه بالعمى فى بيتين من أروع ما قرأت:

أن يأخذ الله من عينى نورهما

ففى لسانى وسمعى منهما نور

قلب ذكى وعقل غير ذى خطل

وفى فمى صارم كالسيف منثور

والظاهر أن أبى العيناء عاش أغلب حياته فقيراً لأنه سأل كثيراً ممن اتصل بهم وشكا إليهم عوزه وحينما مرض

ابنه مرضاً شديداً ذهب إليه أبو العيناء وسأله ما هي أمنيتك يا بني .. فأجاب ابنه الساخر مثله .. نفسي ابقى يتيم قبل ما أموت ورد أبو العيناء وأنا نفسي أشوف اليوم ده..

ولا يعد العمى عائقًا أمام الحب .. فكما قالها كامل الشناوى بالهمس باللمس بالآهات وجعل النظرات هي الرابعة في توصيف لحظة الحب كفاية الثلاثة الأولانيين والحقيقة أن الحواس التي نتكلم عنها هي وسائل الإتصال بين البشر .. وهي في الوقت نفسه سر عذابات الإنسان وكثيراً ما يقول أحدنا ساخطًا.. مش عاوز أشوف حد .. أو مش عاوز اسمع صوت .. أو مش عاوز أكلم حد والجمل السابقة كلها هي رغبات إنسانية في الاختلاء بالذات والتأمل والتصالح مع النفس أو على حد تعبيرك تقعد مع نفسك شوية .. وهؤلاء العظام الذين فقدوا هذه الحواس قعدوا مع نفسهم كثيراً فأعطوا الإنسانية ما لم يعطه كل بني البشر ذوو الحواس .. وكل العيوب الخلقية التي يبتلى بها الإنسان تحتاج إلى فلسفة خاصة في التعامل معها .. وأروع الفلسفات هي السخرية فهذا الشاعر الأحول حينما أحب فتاة وكان يراقبها رجل من أهلها .. اعتبر أن حوله هو طوق النجاة الذى أنقذه من الرقيب المتربص بهما.. في بيت من أظرف الأبيات الكوميدية وهو لأبي العيناء أيضاً .. ويبدو أنه

بدأ بالحول قبل أن ينتهى إلى العمى .. يقول الأحول العاشق:

حمدت إلهى إذ بلانى بحبها

على حول يغنى عن النظر الشذر

نظرت إليها والرقيب يظننى

نظرت إليه فاسترحت من الغدر

وهكذا لولا أن الرقيب اعتقد أنه يبص له هو لكانت ليلة سوداء على الحبيب الأحول وفى محاولة الساخر أبو العيناء، فى نقد المجتمع المادى .. وأثر الفلوس فى تغيير الذمم والضمائر تجده يعبر عما يسمعه ولا يراه بالطبع فلم يصف الثراء والقصور والعز وإنما انتقد قوة المال فى فرض الكلمة ومصداقيتها .. اسمعه وهو يقول :

من كان يملك درهمين تعلمت

شفتاه أنواع الكلام فقالا

وتقدم الفصحاء فاستمعوا له

ورأيته بين الورى مختالا

لولا دراهمه التى فى كيسه

لرأيته شر البرية حالا

إن الـغـنـى إذا تـكـلـم كـــــــــاذبًا

قـــالوا صـــدقت ومـــا نطقت مـــحـــالا

وإذا الفـــقـــيـــر أصـــاب قـــالوا

لم يصب وكـــذبت يا هذا وقلت ضـــلالا

إن الدراهـم فـى المواطـن كلـهـــــا

تكســـو الرجـــال مـــهـــابة وجـــلالا

فـــهى اللســـان لمن أراد فـــصـــاحـــة

وهـى الســـــلاح لمن أراد قـــتـــــالا

والحقيقة السؤال الذى يشغلنى كيف استطاع هذا الأعمى أن يرى وتمتد بصيرته وتتسع فيرى بوضوح ليس فقط ما يحدث فى عصره هو وإنما ما يحدث فى أيامنا نحن..

وهكذا نرى أن هؤلاء الذين فقدوا حواسًا مهمة استطاعوا أن يروا ما لم نره نحن وأن يسمعوا ما لم نسمعه فقالوا ما لم نقله وإذا كان لنا أن نتعلم منهم شيئًا.. فلنا أن نرشّد استخدامنا للحواس التى أنعم بها الله علينا ولا نهدرها فى الفاضى والمليان وفى التوافه من الأمور .. فإذا كنت ترى أغمض عينيك قليلاً لترى عوالم أخرى .. وإذا كنت تسمع أغلق أذنيك بعض الوقت .. وإذا كنت تتكلم اصمت قليلاً فالصمت نعمة لا يعرفها إلا من حرموا منها .. وبعد إذنكوا بقى .. عشان عاوز أقعد مع نفسى شوية.

بــرء الــســاعــة

بدأها بعزف العود .. وبعد أن تسلطن .. ترك العود وانكب على الفلسفة ومنها إلى المنطق والهندسة ثم الطب حتى برع فيه واشتهر به هو أبوبكر الرازى طبيب المسلمين الأول بلا منافس ولم يكن يملك من الخمسة عين - أعنى العربية والعيادة والعمارة والعروسة والعزبة - أى واحدة منهن بل إن عينه راحت من جراء أبحاثه العلمية .. وقيل عنه فى المثل «كان الطب معدومًا فأحياه جالينوس وكان متفرقًا فجمعه الرازى» .. وكان الرازى ينكر على الأطباء فى زمانه ممن يتخذون من علمهم طريقًا لابتزاز أموال الناس بالباطل .. لم يكن عنده سماعة ولا سونار ولا أشعة.. كان يسمع دقات القلب بأذنيه ويجس الجرح بأصابعه ولم ينس فوطة ولا مقصًا فى بطن مريض ولم يعلق يافطة كبيرة كتب عليها إنه زميل الكلية الملكية بادنبره. ولما وجد بعض أطباء عصره يمطون فى العلاج يريدون بهذا المط والتطويل الذهاب والمجىء إلى المريض وأخذ الشىء منه .. وهو ما نسميه الآن بمتابعة المرضى .. إذا به يؤلف كتابًا ويسميه «برء الساعة» وفيه العلل والأمراض التى تبرأ فى ساعة .. ويقول الرازى إذا جالك صداع فى مقدمة

الرأس والجبهة فإن ذلك يكون من فضل الدم وعلاج ذلك أن يخرج شيء من الدم إما بأن تربط دماغك جامد أو بالفصد أو تشم شيئًا من الأفيون المصرى الجيد - ح يودينا فى داهية الرازى ده .. أربعة اتمسكوا بيتعالجوا م الصداع .. ويضيف الرازى فى علاجه الفورى للصداع أن تأخذ لك قليلاً من العناب مع شيء من شوربة العدس تسف بعدها شيئًا من الكزبرة الجافة. أما إذا كان الصداع فى وسط الرأس فيجب أن تبل خرقة كتان بدهن الورد والخل وتلصقها على الموضع ثم تأكل من لب الخيار - طبعًا يقصد خيارهم هم وليس خيارنا احنا - وإذا كان الصداع فى مؤخرة الرأس عند القفا .. عليك بماء الفجل وماء الشبت حتى تتقيأ كل ما فى جوفك فتبرأ على الفور أما الزكام الذى هو أصعب العلل فعلاجه عندى يقول الرازى - فى ساعة واحدة- على المريض أن يصب على نافوخه ماءًا حارًا شديد الحرارة فإذا صرخ برأ من ساعته أو أن تضع خرقة من الكتان بعد أن تحمى على النار على النافوخ وهى سخنة نار.. وادعيله. وفى محاولات الرازى فى كتابه «برء الساعة» أن يشفى أصعب العلل فى ساعة واحدة وجدت نفسى أسأله .. وماذا عن الأمراض المزمنة يا دكتور؟ المثل يقول وجع ساعة ولا كل ساعة.. مد الرازى يده الخبيرة وتحسس رأسى ثم وضع يده على زورى وقال : حاسس

بإيه .. قلت له عندى اكتئاب يا دكتور .. قال فى غيظ مرض جديد هذا لم يسمع به الرازى!! قلت له عندى بقالى خمسين سنة .. ظننى الرازى أسخر منه وقال أنت نفسك لم تصل إلى هذه السن؟! قلت له ولكنه مرض صار وراثيًا .. فيروس اسمه صهيونونزا .. وباء يقتل الأطفال ويدنس المحرمات لم أجد له علاجًا فى برء الساعة .. قال لى أن رغبة المريض فى الحياة ومقاومة المرض هى أول كورس فى العلاج .. جردوا سيوفكم وأقلامكم .. اهتموا بالمناعة .. اتحدوا ولا تسمحوا لأحد بأن يضعف الجسد .. أجلوا خلافاتكم وصراعاتكم فالفيروس يقوى داخل الجسد الضعيف.. قلت له فى حزن:

لا السيف فى مصر يرضينى ولا القلم
كلاهما فى يمين الحر منثلم
جردت سيفى وأقلامى وبى أمل
واليوم أغمدها يأسا وبى ألم

قام الرازى غاضبًا وقال : التهويل .. اليأس .. الاحباط .. الشعارات .. أنتم لا تتغيرون .. الصهيونونزا فيروس تافه أقل خطورة بكثير من الانفلونزا الذى عالجته فى برء الساعة .. قلت له اعطنى روشتة .. اكتب لى حاجة.. قال ساخرًا.. اكتب أنت .. وها أنا قد كتبت.

تلاته .. تلاته بس

لست أدرى ما الذى حدث لى فى هذه الأيام .. بقدر ما هى مسدودة نفسى عن الكتابة – يقدر ما هى نهمة ومهبولة على القراءة بصورة لم تحدث لى من قبل .. بصورة يمكن أن تخرب البيوت .. أكداس من الكتب .. أمامى وحولى وفوقى وتحتى.

والمسألة ليست مسألة كتاب شدنى أو موضوع جذبنى لأن أبحث فيه .. يا ريت .. كانت تهون .. الكتب المفتوحة أمامى حتى الآن يربو عددها على الثلاثين .. كلها على مصراعيها .. مثل فرخة مشوية على الفحم وتنتظر الأكال.. ولا علاقة بين هذا الكتاب وذاك .. وقد صاحب الإدمان المفاجئ للقراءة.. أن اتناول باللاوعى الخساية الكابوتشى الصغيرة المكلبظة دى والتى قشرتها لى زوجتى وأنا منغمس لشوشتى فى القراءة.. ولا أعلم لماذا ذكرنى منظرى وأنا نازل لغ فى الخس والجرجير ومنكفىء على الكتب بحلول عيد الأضحى المبارك خصوصًا حينما دخلت عليا وقالت لى فى عطف احط لك مية.. ولاحظت تغير معاملتها لى تمامًا.. بعد أن تركت ذقنى.. وعشت فى محراب كتبى راهبًا.. نباتيًا.. اقرأ كل شىء ولا أكل الا الخس.. وللحق وجدت منها رقة وتفاهما أكثر من مذهل.. فهى تربت على كتفى.. تحنو عليا.. إذا قلت عاوز شاى.. فى ثانية أجده يغلى أمامى.. كل شىء رائع بيننا.. سوى جملة عابرة

سمعتها تقولها لاختها فى التليفون.. احنا لازم يوم الجمعة نجيب شيخ يقرأ فى البيت.. ربنا يشفيه..

عذراً لا أرد على التليفون.. وهذا الاختراع اللعين.. إذا رن أيضًا شيلوه من أمامى.. أين كنت.. آه.. مع اينشتين.. وشابلن.. وداروين وآخرين.. ناس لطاف.. ذوق.. ذوق.. ذوق.. كان نفسى أعرفهم بيكوا لولا علمى بأن الكلام مع دول لا يمكن يسلى القارئ.. عمومًا نبدأ بهذا العبقرى اينشتين.. بتاع النسبية اللى محدش فهمها فى الدنيا غير تسع انفار يوم أن طرحها على العالم وأنا مش منهم طبعًا.. ونظرية النسبية هذه جلبت لأينشتين شهرة تقترب من التقديس.. أصبح أسطورة حية.. وبطلا شعبيًا لدرجة أن شارلى شابلن فى أوج عظمة هوليوود.. دعاه لحفل افتتاح فيلمه أضواء المدينة.. والناس اتلمت ع العربية إيه.. نمل.. وكله جاى يشوف عم اينشتين، هنا التفت اينشتين إلى شابلن متسائلاً فى حيرة.. هوه فيه إيه.. فأجابه شابلن بمرارة.. وغل.. مفيش.. شاور لهم ياخويا.. أنا كان إيه اللى خلانى أعزمك بس.. ويقال إنه أى العبقرى الفذ صاحب النسبية بدأ النطق متأخراً عن سنه الطبيعى وحينما تكلم.. نطق بأفكار غريبة.. ولم يكن على حد وصفه خطيبًا مفوهًا ابدا وكان يميل للعزلة بطبيعته.. كنت أقرأ وصف ملامح شخصية اينشتين وأنا فى شدة الدهشة.. إذ أن عكس هذه الصفات كلها تنطبق عليا تمامًا فأنا تكلمت بدرى قوى.. يمكن مفيش كام شهر كملتهم فى الدنيا وكنت باناقشهم فى البيت فى كل كبيرة وصغيرة – وكنت أخطب فى الفصل كله

بكل جراءة وبلا أدنى توتر.. بل إننى أحيانًا ما كنت أحس أن الفصل كله متوتر وأنا أتكلم فأحاول أن أزيل توترهم هذا.. ولم أكن أميل للعزلة إطلاقًا.. باختصار كنت على النقيض من اينشتين.. وهذا الذى أوصلنى إلى هذه الخيابة.. فلا اخترعت شيئا.. ولا اكتشفت نظرية.. كنت أحلم بالعبقرية.. ولكننى فعلت مثل الذى اكتشف علاجًا ليس له مرض..

وإذا كان اينشتين قد اكتشف النسبية.. فإن شابلن قد اكتشف الإنسان.. بل الإنسانية كلها ..

كنت فى طفولتى أحبه.. وبعد أن نضجت قليلاً.. تغيرت نظرتى لهذه المشية وهذه الملابس والشارب الذى يشبه طابع البوستة.. وبدأت أحس أننى تجاوزته فكريا.. وحينما كبرت قليلاً شهقت.. كأننى أراه لأول مرة.. كان هو الذى تجاوزنى هذه المرة.. معجزة هذا الرجل.. الفيلم الواحد.. يتغير فى عينيك كل عشر سنوات.. إنه المايسترو.. والفيلسوف.. والمفكر.. سيظل لقرون طويلة هو رمز الفن فى الدنيا كلها.. وحينما عملوا مسابقة.. لأكثر شخص يشبه شابلن.. ذهب شابلن نفسه إلى المسابقة بدون أن يخبر أحداً.. وتقدم كأحد المتسابقين وحصل على المركز الثانى.. هل كان شابلن شكلا.. إطارًا خارجيًا؟! إطلاقا كان مضمونًا.. وعقلاً.. وفكرًا جبارًا ولهذا سيعيش شابلن.. لقد وجدوا فى المسابقة شخصًا يشبه شابلن أكثر من شابلن نفسه.. ولكن الفنان الذى بداخله حالة فى التفرد والندرة والخصوصية غير متكررة وليس لها أى شبيه.

وشيء آخر قرأته بخصوص تعداد السكان.. منسوب إلى عالم اسمه تشارلز داروين.. وهو حفيد داروين الكبير بتاع النشوء والارتقاء والتطور..

وقد لاحظ هذا الداروين.. الحفيد.. أن تعداد السكان في العالم يتضاعف كل قرن من الزمان.. وبعملية حسابية معقدة للغاية على نص القرن اللي جاي سيصبح متر الأرض من اليابسة.. ما بنتكلمش في زراعة ولا مباني.. بالشيء الفلاني.. وبعد عشرة قرون لن يستطيع الإنسان الحياة إلا واقفاً.. وإنه إذا أحب أن يمدد رجله أو يتثاءب أو يتمطع.. لابد وان يستأذن من الواقف بجواره.. واقترح أن تكون العمائر رأسية .. يعني العمارة مساحتها ٢متر في٣متر .. بحجم غرفة واحدة .. والشقة حجراتها تكون فوق بعض.. المطبخ في الدور الرابع والحمام في الخامس وأوضة النوم في السابع وننشر هدومنا رأسياً .. فانلة وفوقيها قميص.. وفوقيها بنطلون .. وهكذا .. والحقيقة أن عيلة داروين دي عاملالي قلق في دماغي .. الراجل الكبير – الجد – طلع بحكاية الإنسان أصله قرد .. وشككنا في بعضينا والموز ولع في السوق .. وآدي الحفيد طالع بحكاية إنفجار السكان والحياة ع الواقف .. عشان الأراضي تولع أكثر ما هي مولعة.. أينشتين .. وشابلن .. وداروين.. ثلاثة عقول فذة .. وقعت بإمضاءها على الحضارة الإنسانية وتركت بصمتها على التاريخ .. باختراعات وابتكارات .. واكتشافات .. وأنا.. تصوروا أنا اكتشفت ايه !!

اكتشفت أني على لحم بطني م الصبح .. مفيش حاجة نأكلها يا مدام..

اكتب اسمك يا أخى

فى كتاب الأستاذ رجاء النقاش (نجيب محفوظ صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته) مئات القنابل الأدبية والفنية بل إن هذا الكتاب العجيب لا تمر منه صفحة إلا وتتوقف عندها قائلاً لنفسك يا اااه .. وبين كل هذه الياهات التى قلتها لنفسى نقطة استوقفتنى كثيرًا حينما نصح الكاتب الكبير كامل الكيلانى الأستاذ نجيب محفوظ بضرورة ألا يعرف أحد أنه أديب وأن يعمل فى صمت وإذا سأله أحد عما إذا كان هو الأديب الذى تنشر له الصحف قصصًا فينبغى أن ينفى ذلك فلقد شرب كامل الكيلانى «السم» لأنه أديب ولم يسلم من التعليقات الحادة ومن الحقد والسخرية منه لأنه كاتب أطفال ..

وأدب الأطفال فى بلادنا بالذات مظلوم ظلم بين برغم أنه القاعدة الأساسية التى تنشأ عليها الأجيال الجديدة ولا تزال حركة النقد الأدبى تتعامل مع أدب الأطفال على أنه لعب عيال وأنا شخصيًا كتبت مسرحيات كوميدية للكبار وعوملت أحسن معاملة فيما يختص بالأجر والاسم وحين

كتبت مسرحية للأطفال لم يعبأ بها أحد وبتعبير أكثر دقة.. أخذونى على قد عقلى ..

وفى طفولتى المبكرة كان عم حمام بائع الجرائد هو الذى أنتظره بشوق ولهفة صباح كل خميس من كل أسبوع لكى يأتى لى بمجلة ميكى وبالألغاز .. وكان عم حمام رجلاً مسنًا ولكنه موفور الصحة - يتنقل بسرعة من مكان إلى مكان والجرائد والمجلات تحت إبطه وكأنه لا يمشى وإنما يطير وكان عم حمام يدرك أهمية دوره الثقافى بالنسبة لى .. وفى الأيام التى كان يتعذر فيها أن أدفع ثمن المجلة أو اللغز .. كان يتركه لى ويمر بعد ساعتين ليأخذه بعد أن يوصينى ألا تطبع أصابعى على صفحات الكتاب.

وارتبطت بالألغاز وكان أولها لغز الكوخ المحترق للمغامرين الخمسة الذين صاروا كأنهم أفراد من أسرتى يعيشون معى - تختخ ومحب وعاطف ولوزه ونوسه وهم أولاد فى مثل سنى تقريبًا كما وصفهم المؤلف وظلوا بالنسبة لى هكذا حتى بعد أن كبرت وصرت شابًا ورجلاً لا يزالوا كما هم فى مثل سنى تقريبًا .. يتنكرون ويتغلبون على أعتى العصابات بذكاء نادر وهم يسكنون فى المعادى

تلك الضاحية الجميلة التى كلما ذهبت إليها - حتى هذه اللحظة - تلفتت حولى ربما لمحت واحداً منهم .. وارتبطت باللغز ارتباطًا كبيراً بالغلاف الذى عليه عدسة وبصمة أصبع ولكن .. أين اسم المؤلف؟ ليس على الغلاف وإنما مكتوب على استحياء فى أول صفحة تأليف محمود سالم.. وكبرت ورأيت أسماء المؤلفين كلها توضع على الغلاف بحجم يصل إلى حجم اسم الكتاب نفسه وأحيانًا أكبر إلا فى ألغاز الأستاذ محمود سالم .. وصار هذا فى حد ذاته لغزًا. ومن فرط إعجابى بالألغاز كتبت فى بداياتى ألغازًا ساذجة على قدى متأثرًا إلى حد كبير بكتابات الأستاذ محمود ولم أكتب اسمى على الغلاف أنا أيضًا .. وكأن الألغاز لا يجب أن يوضع عليها اسم المؤلف برغم أن القاعدة فى الروايات البوليسية فى الدنيا كلها أن يضع اسم المؤلف فقط مثل الفريد هتشيكوك وأجاثا كريستى .. ثم وجدت محاولات تقلد الأستاذ محمود بمغامرين آخرين غير الذين تعودت عليهم ولكنها أقل بكثير إلى أن لفتت نظرى ألغاز جديدة اسمها الشياطين ١٣ .. وهى محاولة عربية وطنية فى غاية الروعة لمجموعة من الشباب من كل الأقطار العربية يشتركون معًا فى حل أصعب القضايا ..

كنت أسأل نفسى لو كان الشياطين هؤلاء يلتفتون للقضية لفلسطينية .. لفعلوها حقًا ولأعادوا الأرض المحتلة .. ولكن ـرة ثانيـة .. أين اسم المؤلف العبـقـرى .. لا يزال هناك الداخل ليس على الغلاف .. إنه الأستـاذ محمود سالم يضًا .. الذى لولاه ما كنت أحببت القراءة ولا عشقت لكتاب ذلك المؤلف الذى يصر على ألا يضع اسمه على لغلاف ولا صورته ولا تاريخ حياته كما يحلو لكثير من لمؤلفين أن يفعلوا .. إنه يذكرنى بالرجل الغامض رقم صفر لذى يحرك الأحداث من بعيد ولا يظهر أبدًا مثل احدى شخصياته فى الشياطين١٣.

وأخيرًا .. إن استعمار المؤلفين الكبار للحياة الثقافية والأدبية وأعنى هنا المؤلفين الذين يكتبون للكبار هو مظهر من مظاهر التخلف والظلم الفادح فلولا محمود سالم ما كنت قرأت للعقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم ويوسف إدريس .. ولكننا ننسى.. أو لا نعطى الرموز قدرها فنجعل كامل كيلانى يخفى أنه كامل كيلانى ومحمود سالم لا يأخذ حقه وما يستحقه من التكريم والشهرة .. أستاذى الفاضل محمود سالم .. اكتب اسمك يا أخى .. فقد مضى عهد الاستعمار.

قلم إحسان عبد القدوس فى جيبى!



أتساءل .. هل .. هى صارت سبة أو وصمة يتبرأ منها الكثيرون؟ كان صاحبنا يقولها لى باستنكار شديد مدافعًا عن نفسه .. إيه يابا.. انت فاكرنى تلميذ؟ .. أنا مش تلميذ.. أتوقف عند الجملة.. أشرد وأراجع على الفور المعانى والانطباعات التى ترد إلى رأسى حينما أتأمل الكلمة .. تلميذ يعنى إيه تلميذ؟! إنها كلمة توحى بالاجتهاد .. والبداية .. والمعرفة والاحترام .. كما تعنى أيضًا أن هناك أستاذًا .. يا عينى .. اجلس بين يديه أو عند قدميه حتى .. وأهتف بخشوع قول يا أستاذ .. إن كلمة تلميذ تعنى أن أجهزة السمع والاستقبال عندى تعمل بكامل كفاءتها .. قول يا أستاذ .. فأنا لا شيء قبل أن تقول .. ولن أصبح شيئًا إذا لم تقل .. إنها متعتى الكبرى أن أمشى خلف الأساتذة الكبار .. وكم مشيت .. وكم أصغيت .. لا أكتفى بالمحاضرة التى كان يلقيها الأستاذ .. كنت أخرج وراءه ألاحقه بالأسئلة فإذا ذهب إلى مكتبه بالكلية .. أنا معاه..



وإذا طلع ليأخذ سيارته أنا بجوار السيارة .. وقبل أن يدير المحرك أسأله فجأة .. هل شكسبير سرق أفكار رواياته يا دكتور؟ يبتسم .. إن سؤالا كهذا لا يمكن الرد عليه ببساطة.. أركب بجواره.. أعلم أن الطريق إلى بيته بعيداً جداً عن بيتى أنا فى المهندسين وهو فى آخر مصر الجديدة.. ولكنه فى الطريق سيتكلم إنها الفرصة قول يا أستاذ .. تتحول السيارة فى الطريق إلى صالون أدبى متحرك.. وأخيراً يصل الأستاذ إلى بيته .. أسلم عليه فى خشوع و.. اكتشف أننى فى آخر الدنيا ح أرجع إزاى .. ليس مهمًا.. اطلبوا العلم ولو فى آخر مصر الجديدة .. أتشعلق فى أى أتوبيس وأشبط فى أى ميكروباص محتفظًا بثبات رأسى لا أريد أن تفلت منه كلمة مما قاله الأستاذ وكان أستاذى هو الدكتور رمسيس عوض العظيم أحد قمم الفكر والأدب فى مصر ولكنه قمة خجول متوارية .. رأسه كلها أدب فلم تتسع لأن تحتوى مدير دعاية يروج لها .. فاختار أن يصبح راهبًا وكان يستطيع أن يكون قائداً.. دخلت عليه مكتبه فى الكلية وكان يهم بإرسال آخرمؤلفاته للكاتب الكبير إحسان عبد القدوس.. قال لفراش الكلية.. يا قرنى.. تروح

توصل الكتاب ده للأستاذ إحسان فى الأهرام .. واخترقت أذنى الجملة .. قرنى يذهب إلى إحسان ما هذا الظلم .. أنا أحق من قرنى بهذا الشرف وشعرت أن قرنى هو المنافس الأول لى فى هذه المعركة الأدبية .. لا يا قرنى لن أدعك تنالها.. وصرخت.. أنا أوديه يا دكتور.. أنا أوديه.. قال الدكتور رمسيس.. ولكن يا بنى.. أنا لا أريد أن أتعبك قلت له فى لهفة .. اتعبنى أرجوك اتعبنى.. وأمام الحاحى كتب اهداءه لإحسان على الكتاب ووضعه فى مظروف .. قال .. طيب خذ .. تلقفت منه الكتاب بسعادة .. وجريت من أمامه قبل أن يرجع فى كلامه ولم أنس أن أنظر إلى قرنى نظرة الشماتة والانتصار.. استوقفونى عند مبنى الأهرام ولكن الكتاب كان بمثابة تصريح دخول .. لا لم أركب الأسانسير .. أخذت السلالم ركضاً .. كنت أشعر أن الأسانسير سيعطل مجىء اللحظة التاريخية على السلالم كنت لا أصدق أننى سألتقى بهذا العبقرى الذى لا ينيمنى الليل كان هو نجمى المفضل ولكن هل سأستطيع أن ألاحقه بأسئلتى كما ألاحق الدكتور رمسيس .. أعرف شكله جيداً .. ولكن هل هو فى الحقيقة بهذا الجمال؟ هل حديثه مثل كتاباته؟؟ هل .. وهل .. الأسئلة تتلاحق .. ووصلت إلى مكتبه قبل الأسانسير .

أخيراً .. ها هو مكتبه السكرتيرة قالت لى سيب الكتاب وأنا ح أديهوله وهل هذا يعقل يا مدام هذا ينفع مع قرنى الذى قهرته وانتصرت عليه إنما معى أنا انسى قلت لها كاذباً .. الدكتور رمسيس قاللى اننى يجب أن أسلمه له يدا بيد لأننى سآخذ منه شيئًا أوصله للدكتور رمسيس هكذا لا مانع أن أبدأ حياتى الأدبية بكذبة .. بعد ساعة ونصف انتظار سمعتها تقول.. تفضل .. يا خرابى .. أجمل كلمة سمعتها من امرأة فى حياتى وتفضلت طبعًا نتوقف هنا قليلاً لأصف لكم شعورى حينما وقعت عيناى على إحسان عبد القدوس فلا مجال طبعًا لوصف شعوره هو فأنا بالنسبة له لا شىء سوى مجرد طالب فى الجامعة يحمل كتاباً .. أما أنا فتأملته بشعره الفضى وابتسامته التى هى تكشيرة أيضاً فى الوقت نفسه كل شىء فيه أنيق.. أنفه أنيق.. حاجباه .. أذناه شفتاه وتسمرت فى مكانى.. أصابنى شلل مؤقت .. قاللى .. اقعد .. كنت أريد منه توجيهاً لكل حركاتى.. أقعد قعدت .. تشرب إيه قلت بسرعة شاى لماذا شاى لأنه سيأتى ساخنًا وسيأخذ وقتًا فى الشرب.. الليمون بارد ينتهى بسرعة.. أما الشاى فهو طوق نجاتى على الأقل سينتظرنى حتى أكمله وفى هذا الوقت بالتأكيد سيحدث حوار وسيقول الأستاذ وهذا ما أتمناه قول يا أستاذ ولكن الأستاذ لم يقل شيئًا فقط أخذ الكتاب وتصفحه.. وأنا سبعتلاف سؤال فى رأسى لا أعرف بأيهم

أبدأ ولكن فجأة جاء الشاى يا ساتر يا رب على طول كده وعلى رأى المعلق الرياضى الوقت الأصلى خلص وبنلعب فى الوقت الضايع .. أخذت ربع رشفة من الكوب .. وإذا به يقطع أسئلتى وصمتى وشللى وشايى ويقول أنت شاعر ؟! صدمت.. تعجبت ثم أجبت فى خجل .. باحاول .. قال لى : الدكتور رمسيس كاتب لى على الإهداء أنك شاعر ستفخر به مصر وأسقط فى يدى وارتبكت أكثر .. فعلها الدكتور رمسيس كتب بنفسه بداية المشهد المثير .. أضاف الأستاذ إحسان.. سمعنى حاجة قلت لنفسى غير مصدقًا لما يحدث.. ما هذا .. شاى وشعر مرة واحدة؟! وأخذت ربع رشفة أخرى من الشاى حتى يتحرك لسانى قليلاً.. وبدأت ألقى القصيدة.. لن أحكى لكم عن ضربات القلب وارتفاع الضغط وبوادر السكر العصبى فأنت تلقى قصيدة لإحسان عبد القدوس.. نسيت بيتًا أو بيتين ربما أربعة كأعراض طبيعية لزهايمر مبكر.. المهم هنا ليس فى إلقائى للقصيدة المهم فى رد فعله هو.. نكبة لا ابتسامة ولا استحسان ولا أى تعاطف ولا أى مشاركة وكأننى ألقى القصيدة أمام صورته التى تنشر فى الأهرام بل إن الصورة أحن كان ينظر لى بملامح جامدة لا تعبر عن شىء أحسست أنى أتصبب عرقًا وأننى أريد أن أنهى هذه الموقعة الفاشلة بأسرع ما يكون وأنهيت القصيدة وسكتت ويا للكارثة هو أيضًا سكت.. لحظة صمت بشعة .. يا ريته قاللى وحشة.. يا ريت قاللى اطلع بره..

وبهدوء شديد أمسك سماعة التليفون وقال اديني القسم الأدبي.. غريبة؟! لم يطلب قسم البوليس أو الأمن وخيل لي أنني سمعته يقول فيه ولد شاعر هايل .. اسمه.. اسمك ايه ولهول المفاجأة والصدمة نظرت ورائي ثم عدت وقلت له : اسمي .. اسمي أنا أيوه اسمي يوسف ايه؟ أيوه معاطي قال بهدوء لمن يكلمه على السماعة الولد قاللي قصيدة بديعة عن مصر تنشروهاله .. ووضع السماعة وقال لي تكتبها وتنزل توديها القسم الأدبي معاك قلم؟! قلت له وأنا أكاد أسقط من طولي من الفرحة والدهشة .. لا ليس معي قلم .. لكنه قال بسرعة في استنكار ودود شاعر ومعاكش قلم؟ ! افرض جالك خاطر في أي مكان ح تعمل أيه؟! ثم مد لي قلمه وقال: امسك القلم ده تكتب القصيدة وتوديها وترجعه تاني قلت له حاضر.. حاضر يا أستاذ ومشيت خطوتين ثم توقفت وعدت قال إيه تاني قلت له .. اسمح لي ولكنك .. قصدي يعني .. لم يكن ظاهراً على وجهك أي إعجاب بالقصيدة .. أنا مت من الرعب أنا ريقي نشف ابتسم أروع ابتسامة رأيتها في حياتي وقال لي.. أنا يا يوسف كالجواهرجي إذا رأيت قطعة ألماظ أو خاتماً من الماس .. لا أندهش ولا أتعجب استطيع فقط أن أحدد قيمتها فهمت أومأت برأسي وأنا مذعور .. وجريت خارجًا ولبست في الباب بكامل جسمي واعتذرت وخرجت .. أين أكتبها .. المكاتب مشغولة ولا أستطيع أن أتطفل على أحد صحيح أن

معى قلم إحسان عبد القدوس.. لكن لا أحد يعلم ذلك بعد .. جلست على السلالم الباردة النظيفة فى مبنى الأهرام أكتب القصيدة .. الأحذية طالعة ونازلة بجوارى تدب كأنها تضبط رتم أو إيقاع القصيدة وكتبتها .. وسلمتها إلى القسم الأدبى .. وعدت جاريًا كان يومى كله جرى وصدمات وفرحة وإحباط ثم سعادة مذهلة عدت إليه إلى الكاتب الكبير لأعيد له القلم .. تقدمت منه وأنا ألهث لم توقفنى السكرتيرة أنا خلاص أصبحت م البيت .. ومددت يدى بالقلم ولم أجد أى عبارة تناسب الموقف ماذا أقول له أشكرك .. ما أشكرك هذه؟! لن أنسى جميلك؟! كلام عادى تقليدى هو لا يقوله ولا يكتبه .. ضحك من طفولتى وارتباكى وقال إيه ده قلت له.. القلم .. قال فى حنان رائع .. خده ده علشانك اوعى تمشى من غير قلم وخرجت من مكتبه وأنا شخص آخر .. وظل قلمه على حد تعبيره فى جيبى وكتبت بعد ذلك مسرحيات وأفلاما ومقالات كثيرة كثيرة .. وظل قلمه حتى بعد أن فرغ من الحبر.. ممتلئا جداً ولكن بالمعنى.

إنها متعة كبرى متعة التلمذة والشعور بأنك زلطة صغيرة تنظر إلى قمة جبل .. ولذا حينما قالها لى صاحبنا باستنكار .. أنت فاكرنى تلميذ؟! قلت له بمرارة .. ياريت يا أخى.

إبراهيم عبد المجيد

اعتذر مقدمًا .. أنا مقصر .. أعترف بأننى حينما قابلته لأول مرة فى لقاء تليفزيونى لم أكن أعرفه ربما كنت أعرف اسمه فقط وليس كافيًا بالمرة أن تعرف أسماء العباقرة وحينما أهدانى روايته التحفة «لا أحد ينام فى الإسكندرية» لم أكن قد قرأتها (بس اتصرفنا) على طريقة عادل إمام تكلمنا فى الأدب بصفة عامة .. وصورنا الحلقة والليلة عدت .. وخلاص .. فى البيت وضعت روايته المهداة فى المكتبة فى الدور فى دورها فى الطابور فأمامى عدد لا بأس به من الكتب .. أستعين بها كمضادات حيوية لأواجه ڤيروسات الجرائد الصفراء والكتب التافهة الرخيصة.. إن رواية لنجيب محفوظ أو مسرحية لتوفيق الحكيم أو كتاباً للعقاد .. مرة كل ٨ ساعات هذا يكفى جداً للقضاء على التفاهة والسطحية والتخلف .. وظلت رواية صاحبنا فى دورها فى مكانها قابعة فى أدب تنتظر فى استسلام لحظة القطف إلى أن حانت ووجدت يدى تلتقطها أخيراً من على الرف فشعرت أنها امرأة جميلة أوقظها من نومها العميق فتتمطع فى لوم وعتاب رائع .. وتأملت الغلاف .. والعنوان «لا أحد ينام فى الإسكندرية» إبراهيم عبد المجيد .. قلت لنفسى وما الجديد فى ذلك يا إبراهيم .. لا أحد ينام فى

الإسكندرية؟! ما أنا لسه جاى من هناك فعلاً .. قلنا الجملة دى ميت مرة .. الناس سهرانة على الكورنيش و ع القهاوى لحد الصبح .. محدش بينام فى البلد دى .. ولكن ما سبب أرقك أنت يا إبراهيم .. ما الذى لا ينيم إسكندريتك أنت؟

وفتحت الرواية و .. انسونى بعد كده .. ماذا فعل بى إبراهيم عبد المجيد؟ هل حدث لك أن نمت على مرتبة من ريش النعام موضوعة على بحيرة من الزئبق طبعًا لأ .. أنا حصل لى .. هل هبطت على سطح القمر فوجدت نفسك معدوم الجاذبية فتطير ولا تطير كالبالون يسبح فى الفضاء .. أنا شعرت بذلك .. هل فقدت السمع والتركيز والشعور بمن حولك لدرجة أن تنادى عليك زوجتك تسع مرات وهى تصرخ أعمل لك شاى معايا .. ولم ترد أنا فعلتها .. وأنا أقرأ قصة الإسكندرية التى لا تنام هذه. القصة ببساطة هى قصة «مجد الدين» الرجل الريفى الطيب حامل القرآن ذلك الذى أعفاه من الجهادية.. مجد الدين المسالم الذى يفر من القرية هو وزوجته حينما عاد العمدة لينبش من جديد فى الثأر القديم .. ويهرب بالفعل الشيخ مجد من نار الثأر بالقرية إلى جحيم الإسكندرية .. فى فترة الحرب العالمية الثانية .. وهناك فى الإسكندرية تطلع لنا عفاريت وشياطين إبراهيم عبد المجيد .. هذا الكتاب الفذ الذى استطاع أن يجعلك ترى وتسمع وتعيش أكثر مما تقرأ وتتابع .. القنابل

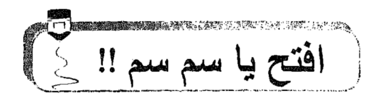
التى فى روايته حقيقية والغارات والجثث لها رائحة .. إنها حـالة.. حـالة مـرعـبـة من الفن والأدب والتـاريخ .. إنه يستحضر أرواح شخوص هذه الأيام ويقرأ جرائد هذه الأيام .. إنه يعود بخياله إلى هذه الأيام فيضيع هناك .. يتلاشى مع الشخصيات .. والعجيب أن كل الروايات التى نستطيع أن نسميها تاريخية.. تعتمد على أحداث حقيقية تميل فى الغالب إلى الإسقاط.. واللعب على المفارقة بين الحـاضـر والماضى.. إلا هذه.. إنهـا قطعـة فنيـة فـريدة متشامخة لا يعنيها الزمان ولا المكان.. وضعت القصة جانبًا مقلوبة على الصفحة التى وصلت إليها .. وسرحت.. هل أنا قابلت هذا الرجل.. كاتب هذه السطور.. وماذا قلت له.. أهلا بيك.. ما رأيك فى الحياة الأدبية فى مصر.. ماذا تود أن تحقق.. وأى من الروايات تميل لها أكثر.. ما هذه السطحـيـة والتـفـاهـة وشـعـرت أننـى أتصـبب عـرقًـا من الكسوف.

إن شخصية «البهى» أخو عبد المجيد وحدها كافية لتضع هذا الرجل على رأس قائمة المبدعين فى الرواية.. ونروح بعيد ليه .. من هو البهى؟!

يقول عنه الكاتب «لقد كره البهى كل محاولة لأن يتعلم حرفًا فى الكتاب أو الزاوية أو البيت ولم يكره شيئًا مثل كرهه للفلاحة والفلاحين.. قالوا ذلك لوسامته.. وقالوا لهيبة

فى قلبه وقال الأب دائمًا والحسرة فى عينيه «هكذا هو خلقه» اختارت له الأم اسم «البهى» لأنها ولدته فى ليلة السابع والعشرين من رمضان لقد رأت وهو ينزلق منها طاقة نور تخرج معه تضىء الحجرة وتمشى على الجدران وبكت القابلة (الداية) وهى تلفه فى القماط وتقول لأمه أن تخفيه عن العيون فهو فضلاً عن طاقة النور التى خرجت معه.. ولد مختونًا.. إنه ولد طاهراً من البداية منذوراً لخير عميم.. وانتقل خبره إلى القرى المجاورة فصارت النساء والفتيات يأتين ليجلسن على الترعة التى تفصل البلد عن الحقول ينتظرن مروره تفزع إليه صاحبات الحاجة.. تلمسنه.. تفزع منه الفتيات الصغيرات.

لا .. لا يمكن أن تحكى القصة.. ولا يمكن أن تصفها وصعب أن تقرأها فقط.. بالأمر يجب أن تعيشها «لا أحد ينام فى الإسكندرية» رواية بديعة.. جاءت فى وقت «لا أحد ينام فى مارينا». لأن القطط الأربع الفوركاتس مصهللين ورايقين ويملأن مارينا كلها صخبًا وهيصه ولأنهن يتصدرن أغلفة الجرائد والمجلات .. أختلف معك يا عزيزى الرائع.. لا أحد ينام؟! بالعكس.. نحن نائمون.. ومشخرون وفى سبات عميق ولا نشعر بأى شىء.. وأنا نائم أيضًا مثلهم لا أنفى عن نفسى التهمة.. فقط.. روايتك هى التى أيقظتنى.. سامحك الله يا أخى.



افتح يا سم سم !!

١ - لا نلتقى.. وليس بيننا تليفونات.. ولكننى أرتجف من سطوره من فرط الضحك والرعب.. فهو ساخر ولكنه جلاد فى يده سوط له مائة ذراع إذا خدتلك واحدة على ضهرك.. يا حفيظ.. الشىء الغريب أن هذا الساخر الرهيب.. لا أعلم لماذا كلما وجدنى فى طريق سطوره.. وضع كرباجه جانبًا وبيد حانية ممتلئة بالحنان.. يطبطب عليا.. هذا.. هو حسام حازم.

٢ - من على فراش المرض.. يكتب.. من غرفة الإنعاش يكتب.. يرتفع السكر.. ينخفض الضغط.. إن سخريته أقوى من نفسه ومننا.. ومن الحياة نفسها ولذا كثيراً ما ينتابنى شعور أننا جميعًا فى الإنعاش.. وأنه الفايق الوحيد..

٣ - ما هذا الرغى الذى أكتبه.. ما كل هذا الدش.. مالى أبحث وألف وأدور حول المعنى كأنه عيلة تايهة يا ولاد الحلال.. برغم أن هذه العيلة التائهة نفسها.. تذهب إليه من تلقاء نفسها وببساطة شديدة.. لتتحول فى يديه إلى قنبلة..

٤ – المجلات كالسيدات لها طلة.. وكل امرأة لها منطقة بريق.. فهذه تستوقفك عيناها.. يا نهار أسود.. إيه ده.. وهذه شفتاها.. ارحمني.. وهذه نهداها.. يا عيني.. أما معشوقتي الكواكب هانم.. أول ما يشدك لها بحق.. أن تنظر لها من الخلف.. لتقرأ آخر كلام حسام.

٥ – الشوارع كالناس بينها الغبي الثقيل الظل.. وبينها الذكي خفيف الروح.. الطريق الصحراوي مثلاً.. أنيق.. رشيق.. ذكي.. لكن ذكاءه يخونه أحياناً.. فيفقد أناقته ورشاقته وخفته.. ويتحول إلى صورة جامدة لا تتغير من الرمل والأسفلت.. ويكرر نفسه.. وحينما تأملت حسام حازم وجدت أنه لا يصلح ليكون شارعاً إنه.. مدينة..

٦– المرة الوحيدة التي التقيت به فيها.. أوصلته إلى باب بيته.. عزم عليا أن أطلع معه.. اعتذرت بأدب.. قال لي.. نلتقي في المكتب لماذا لا تأتي.. اعتذرت مرة ثانية.. أنا لا أريد أن أقابله في بيته.. أو في مكتبه.. أنا أريد أن أقابله هنا في (صفحته) الصفحة الأخيرة..

٧– قارئة أرسلت لي خطاباً تسألني عنه.. لماذا لم يعد يكتب للمسرح ده دمه شربات.. لم أستطع الرد.. ولكنني أعتقد أنه لا يزال يكتب للمسرح.. ولكنه مسرح من نوع خاص.. هو بطله ومؤلفه ومخرجه.. والضحك للركب كما يقولون في الإعلانات ومسرحه لا يغلق تسعة أشهر في السنة.

٨- كل محاولات تقليده فاشلة.. لأنه هو نفسه لا يقلد نفسه.

٩- ألعب معه لعبة لا يعرفها.. أقرأ أول الفقرة والقط اسم صاحبها.. وأغمض عينى.. وأحاول أن أتوقع النكتة.. «الإفيه» أضع ثلاثة احتمالات ثم أفتح عينى وأقرأ.. الاحتمال الرابع طبعًا.

١٠- يقولون إنه أحيانًا يشط.. يكتب بجرأة.. بجنون.. لا يراعى أى شىء .. وماله.. الفن مثل الأسد.. ينبغى ألا تحبسه فى أقفاص من المذاهب والنظريات والتوجيهات بل يجب أن نتركه فى غابته ينطلق على طبيعته لنشعر به.. نشعر بخطره وقوته وقدرته على أن يثير فينا الدهشة والنشوة والاستعداد لمقاومة الأخطاء والأخطار.

١١- إذا حبسنا الفن ومنعناه من انطلاقه فإنه سيصبح موعظة ربما كانت حسنة.. ولكن قلتها أحسن.

١٢- تولى رئاسة تحرير إحدى المجلات.. رفع سماعة التليفون وطلبنى.. يوسف ترجع تكتب تانى فى المجلة.. وكنت قد توقفت عن الكتابة فيها.. قلت له أسباب ابتعادى.. وقالى لى حيثيات رجوعى.. وتبادلنا حديثًا تليفونيًا منطقيًا للغاية.. أفحمنى فيه بحق.. وعدت لأكتب.. وهو.. استقال فى اليوم التالى..

١٣- قوية.. براقة.. ساخنة.. مشتعلة تلك العبارات التى يكتبها من بنات أفكاره.. يخيل لى أحيانًا.. أن قلمه يتعاطى الفياجرا..

١٤- كلاهما كاتب أصدر عشرات الكتب.. صاحبنا يتحداك بأسلوبه أن تقرأه والآخر يتحداك بأسلوبه ألا تقرأه .

١٥- المتحف.. هو المكان الطبيعى للذين لا يطورون أنفسهم فى فن الضحك بالذات الغريب أنه هو بالذات سيظل دائمًا فى السوبر ماركت فريش.. ولا يوجد تاريخ انتهاء الصلاحية..

١٦- أقول لك أجمل وأغرب ما فيك ؟

إن ٩٠ فى المائة ممن بهدلتهم بلسعاتك الحراقة يحبونك جداً والعشرة فى المائة الباقين يحبونك جداً.. جداً .

١٧- اسمح لى وأنا لأول مرة اكتب عنك.. أن أقلدك.. فالفورم الذى صنعته فى الكتابة كان يتطلب منى أن أرتدى يونيفورم.

سؤال للدكتور سمير سرحان

من شارع إلى زقاق ومن زقاق إلى عطفة.. والدنيا ضلمة.. كحل.. إلى أين أنا سائر؟! لا أعرف.. ما الذى أتى بى إلى هنا؟! لا أدرى.. رجل عجوز يجلس أمام باب بيت قديم متداعى ينظر فى ساعته ويقول.. أهلا اتأخرت ليه؟! ثم يأخذنى من يدى وأنا مسحور.. ويدخلنى إلى بدروم متسع.. يااه.. ما كل هذا؟! آلاف الكتب القديمة.. متناثرة أمامى.. الأغانى للأصفهانى كاملة الأجزاء.. وبدائع الزهور لابن إياس!! والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى وما هذا أيضاً.. لا.. لا.. أصدق عينى.. نهاية الأرب!! يبتسم الرجل العجوز فى طيبة ووداعة ويقول شيل اللى أنت عاوزه.. قلت لنفسى.. يالطيف اللطف يا رب.. أشيل إيه ولا إيه!! أنا لست قنوعًا مثل على بابا.. أنا قاسم الطماع الذى أراد أن يحمل المغارة كلها.. لا .. بل أنا الأربعين حرامى مجتمعون.. قلت له فى طفاسة: أنا عاوزهم كلهم ياحاج.. كلهم.. قال لى شيل وبدأت أشيل.. ولكن كيف!! أنا عاوز عربية نقل تشيلهم.. ولكن من أين لى بعربية نقل فى هذه الحتة المقطوعة!! سأحمل ما أقدر عليه وأخذت أشيل وأحمل

فوق رأسى وعلى كتفى وقبل أن أخرج.. أنظر.. فأجدنى لم أظفر بنهاية الأرب للنويرى.. كيف يفوتنى يا ناس معقولة أمشى وأسيبه؟!! أحاول أن أضعه فوق البلاوى اللى أنا شايلها فيسقط كل ما أحمله من الكتب على الأرض، وأعود- منهكًا- لأحملها مرة أخرى وأنا فى غاية التعب والإرهاق.. فتسقط فوق رأسى مئات الكتب التى كانت على الرف.. وأسقط على الأرض وأصرخ.. آه تستيقظ زوجتى على صوت صراخى.. مالك فيه أيه.. اللهم اجعله خير.. تجرى لتحضر لى كوب ماء.. إذن كنت أحلم.. قالت وهى تناولنى كوب الماء.. خير.. حكيت لها الحلم فقالت فى غيظ طيب ابأه اتغطى كويس.. نام الجعان يحلم بنهايته الأرب.. ولكن من أين يأتى النوم؟ خرجت إلى مكتبتى وأخذت أتأملها.. كلما زادت وامتلأت أحسست بنقصانها.. أخرجت بعض الكتب ورتبتها ثم أعدتها إلى مكانها على الرف.. على فكرة.. هذه الحالة ليست ترتيبًا للمكتبة.. إنه بعيد عنكوا مرض.. مثل اليهودى البخيل حينما يعد نقوده وهو يعرف عددها جيداً.. إنما متعة هيستيرية.. إدمان وباء فى أسرتى كلها فكان أبى لا يهدينى ولا يفاجئنى إلا بكتب.. لم يفعلها يومًا ويهدينى عجلة أو قطاراً أو دبدوبًا.. وكان أخى عادل يأتى إلى المنزل وعلى وجهه انفعال غريب وحالة من الدهشة

المصحوبة بالفرحة العارمة.. ويهمس لى فى أذنى.. عارف جبت إيه، أقوله إيه؟! يقول هامسًا.. صبح الأعشى.. أصرخ من الفرح صبح الأعشى يصرخ هو فيا.. وطى صوتك أنا جاييه بالعافيه.. ويدخل أخى محمد وهو يصرخ فينا.. وسعوا.. حاسبوا.. فنتفرق من أمامه بسرعة.. لا لم يكن يحمل زيتًا إنه يحمل الأعمال الكاملة لشكسبير.. ونضرب له سلام طبعًا.. وأخيرًا أدركت ما الذى جعلنى أقع فريسة لهذا الكابوس.. إنه «نهاية الأرب» للنويرى الذى دوخنى السبع دوخات.. روحت سور الأزبكية قالوا لى إنسى.. ومع ذلك لم أيأس.. وذهبت إلى هيئة الكتاب وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وقابلت الدكتور سمير سرحان.. الكاتب الكبير والناقد الكبير مهندس المشروع الأسطورى الذى وفر الثقافة للجميع والذى ترعاه السيدة الفاضلة سوزان مبارك ذلك المشروع الذى أكمل عامه العاشر فالطفل الذى كان فى العاشرة وتعامل مع الكتاب أصبح الآن شابًا فى العشرين وقد توفر له ما لم يتوفر لغيره من هذا الكنز الخرافى من المعرفة.. وأفسح لى الدكتور سمير سرحان برغم مشغولياته الكثيرة وقتًا.. فالكاتب والمثقف الكبير الذى بداخله يتغلب أحيانًا على رئيس الهيئة.. لم أشأ أن أضيع وقته أكثر من ذلك.. قلت له.. لى أمنية فهل

تحققها لى أجاب بحب وحنو رائع.. عاوز إيه.. قلت له نهاية الأرب يا دكتور فقال.. ربما لن تجد أجزاءه كاملة.. عمومًا اذهب وشوف.. وفتح لى الأبواب المغلقة.. وذهبت إلى المكتبة فوجدت الأجزاء من ٢٢ إلى ٣١ فقط.. قلت لنفسى إذن هذه ليست نهاية المطاف ولا نهاية الأرب وكيف أحصل على باقى الأجزاء.. همس أحدهم فى أذنى وأنا أتسكع بين مكتبات الأزهر.. أنت عاوز نهاية الأرب عندى اللى يجيبهولك.. قلت له كمدمن مخدرات محترف.. والتسليم فين؟! وعلمت بعدها أن ثمنه كاملاً ألف وخمسمائة جنيه وهذا يعنى أن البيت اتخرب بنهاية الأرب.. ووجدتنى أسأل نفسى.. لماذا لا تتوفر كتب التراث لكل مواطن.. لقد نجحت تجربة سليم حسن «مصر القديمة» نجاحًا ساحقًا.. بل إن الطوابير التى كنت أراها لمن ينتظرون الكتاب كانت أبلغ تعبير عن تعطش المجتمع للثقافة الحقيقية.. ولم أشأ أن أدخل مرة ثانية إلى الدكتور سمير سرحان وأعطله.. وأسأله – هل يمكن أن تتبنى مكتبة الأسرة طباعة كتب التراث كاملة؟! فهو برغم سعة صدره معى ومع غيرى مشغول.. مشغول.. والمثل يقول.. إن كان حبيبك عسل..

الأبنودى .. أول مرة

أول قصيدة قرأتها فى حياتى.. كانت له.. واحدة من الجوابات البديعة التى كتبتها فاطمة أحمد عبد الغفار لحراجى القط.. ولم أستطع أن أنام قبل أن أكمل الجوابات كلها ووجدتنى عاشقًا لفاطمة.. متيمًا بحراجى ووجدت نفسى أتلقى القصيدة بشكل غريب.. فإذا بى.. أتعجب.. ثم أضحك.. ثم أسخسخ على نفسى من الضحك.. ثم تدمع عيناى.. ثم يعتصر قلبى الحزن.. وصدقت.. صدقت لدرجة أن سذاجة طفولتى قالت لى.. هوه يعنى الأبنودى عمل إيه؟! دى جوابات باعتاها فاطمة والحراجى بيرد عليها وحين نضجت قليلاً.. أدركت أنه هو نفسه فاطمة وحراجى وأحمد سماعين وإبراهيم أبو العيون ونقلت ملكية قلبى منهم.. إليه هو نفسه.. الأبنودى.. كنت أذهب وأقف بين الجموع الغفيرة فى وكالة الغورى التى جاءت من آخر الدنيا لمولد سيدى عبد الرحمن الأبنودى.. يمسك الميكروفون.. يا ساتر يا رب فزع.. حالة غير متكررة من احتواء الآلاف الواقفين.. ذراعاه تستطيلان فجأة.. وتلف كل منهما علينا جميعًا فيأخذنا كلنا فى حضنه.. ياه.. إن الكتابة عن هذا الرجل صعبة.. صعبة جدًا فهو الذى يكتب.. ونحن نقرأ..

هو الذى يقول.. ونحن نسمع.. فيظل أى شىء نقوله عنه أو نكتبه.. أقل بكثير مما يجب أن يكون.. وأول مرة أشتغل مذيعًا تليفزيونيًا.. كانت معه.. فى القناة الرابعة.. لم أكن قد وقفت أمام كاميرا من قبل.. ولا أمسكت بميكروفون.. وحينما سألنى الأستاذ حسن أحمد حسن رئيس القناة الرابعة وهو يحثنى أن أبدأ طريقى كمذيع.. أول برنامج ح تعمله.. مع مين؟! قلت كأننى أحلم.. نفسى أقابل عبد الرحمن الأبنودى.. وبطريقة حسن أحمد حسن الرائعة المفاجئة الحاسمة رفع السماعة.. وكلمه.. وبانهار أبيض!! قاللى إنه وافق على التسجيل.. وشعرت بحجم الكارثة التى أنا مقدم عليها أنا كان إيه اللى سحبنى من لسانى بس؟! وذهبت إليه وأنا أشعر أننى لا أبدأ حياتى كمذيع وإنما أنهيها.. وبدأ الحوار ونسيت وأنا أكلمه.. أن أضع الميكروفون أمام فمى أنا.. كنت أضع «المايك» أمامه وأتكلم.. وصوتى لم يطلع طبعًا.. وما أهمية صوتى؟! كان بينى وبينه ونحن فى وكالة الغورى ثلاثة آلاف بنى آدم.. الآن.. أنا أمامه.. ليس بيننا سوى «المايك» ساعتان مع الأبنودى على شاطئ الإسماعيلية وبين أهله هناك.. قطعة فنية بديعة لم يعطها لأحد غيرى.. ربما لأنه يقرون استشعاره كشاعر أحس بأننى جزء منه.. أو ربما لحنى يوم ذهبت إلى وكالة الغورى!! وأول مرة أسجل حلقات

برنامج الست دى أمى .. كانت معه.. تكلمنا عن قنديلة أم الأبنودى.. الذى اصر على أنطق اسمها كما ينطقه هو.. جنديلة.. ومرة أخرى يفتح لى المغارة ويقدم لى أشولة من الحب والصدق والفن.. كان خارجًا من أزمة صحية ولكنه كعادته لم تكن عنده أزمة فى العطاء.. وحينما تكلم عن أمه.. كأنه فتح الباب.. أعطى الضوء الآخر لكل الذين تكلموا من بعده وابتسم لى ابتسامته التى أعشقها وقال لى.. ح ينجح البرنامج يا خال.. واتوقف هنا عند ابتسامة الأبنودى قليلاً.. فهى ابتسامة بها حياء صعيدى جميل وبها طيبة متناهية.. وبها ذكاء رجل ابن نكتة.. كما أن بها شيئًا غامضًا أستطيع أن أسميه بعدًا تاريخيًا فهو حين يبتسم لى أشعر وكأنه يذكرنى بموقف فطسنا من الضحك عليه سويًا منذ ثلاثين عامًا.. ولا أستطيع أن أرد ابتسامته بأحسن منها.. فلا يوجد فى الدنيا كلها أحسن منها.. أعود وأقول أول مرة.. أول مرة أسمع فيها صوت الأبنودى.. كان فى الراديو.. وكانت أيام سوداء بعد النكسة وأنا من مواليد السويس والسوايسة يعلمون جيدًا طعم ولون هذه الأيام هاجرنا واتشحططنا وتركنا بيوتنا.. وجئنا إلى القاهرة والراديوهات على آذاننا.. وكانت أمى الطيبة.. تسكتنا وتزجرنا.. إذا سمعته فى الإذاعة «وجوه على الشط» وبدأت أشعر بالغيرة منه.. فهل أقبل أن تحبه أمى؟! صحيح هى

فى سن أمه.. لكن الطفل منا يشعر أنه يمتلك أمه.. ثم لماذا لا يثور أبى "يرحمه الله" ويشاركها الاستماع بإنصات وبحب.. إذن لاسمعه أنا الآخر يبدو أنه أخى وأنا لا أعرف.

وأول مرة ألقى فيها شعراً أمام جمهور.. كنت فى السابعة من عمرى وكنت نحيلاً وقصيراً.. احضروا لى كرسيًا لأقف عليه.. لا لأجلس.. حتى يرانى الناس وقلت شعرًا لا أذكره طبعًا.. إنما الذى أذكره أننى كنت متقمصًا شخصيته.. وطريقته فى الأداء.. أنه يخفى كلمة من البيت فى القصيدة.. ويسكت ويأخذ نفسًا.. ثم يلقى بالكلمة.. قنبلة..

كنت نحيلاً.. نحيلاً جداً.. وحين عايرنى أحد زملائى السمان.. فى المدرسة الابتدائية أننى مثل عود القصب.. قلت له بفخر.. ومعيلة فى نفس الوقت.. هى مش بالتخن.. ما الأبنودى رفيع!!

وأخيراً.. أريد أن أقول.. اثنان فى حياتى أأخذ برأيهما بشكل مطلق.. لا أناقشهما إذا قالوا يمين يبقى يمين وإذا قالوا شمال يبقى شمال.. أمى.. وابنتى..

فإذا كانت أمى قد قالت رأيها.. فابنتى لم تكمل سوى ستة أشهر فقط.. ولكننى لا أعرف لماذا أشعر أنها عاشقة للأبنودى..

ومـات . . . .

مات التهامى قبل أن يحكى لى روايته.. حرمنى منها.. وأخذها معه ورحل.. بكل أدب سمع روايتى وعاشها بكل تفاصيلها ورسمها وصورها كما رآها ولما جاء دوره ليحكى لى روايته هو اعتذر وانصرف من الدنيا.. جاء لى خبره بنفس الطريقة التى تعرفت بها عليه.. وعن طريق نفس الشخص.. كنت أسلم المقال الأسبوعى والتقيت بالزميل سمير أحمد.. بعد أن كلمنى فى كل الموضوعات التى فى الدنيا.. قال لى بشكل عابر.. مش عم تهامى تعيش أنت.. وخجلت من سمير وهو يرى دموعى لأول مرة وهو لم يرنى إلا باسمًا.. ربت على كتفى وقال لى كلنا لها يا أستاذ يوسف.. متعملش فى نفسك كده.. قلت له أنا لم أعمل فى نفسى شيئًا.. تهامى هو الذى عمل.. كانت بداية التلاقى رواية كنت أكتبها ويرسمها التهامى.. وفى كل حلقة كنت أندهش وأتعجب وأشد فى شعرى.. كيف استطاع أن يكون حقيقيًا وصادقًا إلى هذه الدرجة.. إنه لم يلتق بالشخصيات التى كنت أتكلم عنها فى روايتى كما أنه لم يلتق بى أنا أيضًا.. كيف رآهم من خلال السطور وجسدهم بهذه الدقة.. بكل هذه التفاصيل.. وكان سمير أحمد برضه..

قلت له عاوز أقابل التهامى.. أخذنى سمير إليه.. فى كوريدور الدور الثانى فى دار الهلال كان سمير كعادته يوجز لى فى طيبة.. عم تهامى ده أصله راجل طيب وغلبان قوى.. بس هو يعنى مخه يعنى.. راجل كبير وبيقولوا اتظلم قوى.. طول عمره كده كلامه قليل.. بس فنان.. فنان قوى.. ظروفه المادية منيله بنيله.. ودخلت لأسلم عليه.. فى حجرته الصغيرة العتيقة بدار الهلال أصابعه كانت سوداء من الحبر الشينى.. لا يرسم إلا بالأسود.. بدلته عتيقة ومتسخه.. ارتبك حينما دخلنا عليه شعرت إنه لم يتكلم من سنين طويلة وشعرت أنه يبذل مجهوداً كبيراً ليتذكر الكلام بتاع الناس.. اللى هو من نوعية أهلاً وسهلاً اتفضل... هذه الأشياء كانت بالنسبة له فى هذه اللحظة.. مشكلة عويصه.. برطم ببعض الحروف التى لا تحمل أى معنى وأنا اعتبرتها تحية ودعوة للجلوس معه.. أثنيت على فنه ورسوماته وقلت له أنا منبهر.. لم يعلق.. لم يبتسم حتى.. كأننى شتمته.. كان ينظر لى من تحت لتحت.. متوجساً كأننى آت إليه من كوكب آخر اقتحمت عليه خلوته ثم لاحظت فى نظرته أنه يربط بينى وبين الرواية التى يرسمها لى.. ثم فتح الدرج الملىء بكل الكراكيب التى فى الدنيا.. وبحرص شديد أخرج بونبونايه عتيقة.. أعطاها لى بعد أن اتسخت بالحبر الشينى الذى ينقط من أصابعه وقال لى.. كل دى.. كل

ملبس.. طول ما أنت قاعد تأكل ملبس.. قلت له شكرًا ياعم تهامى.. مقبوله.. فككت الورقة والقيت بالبونبونايه فى فمى.. قال لى.. أنت بتتعب ودماغك شغاله علطول.. الملبس يديك طاقة.. عشان فيه سكر.. ثم همس لى كأنه سيدلى لى بمعلومة خطيرة.. وقال لى.. ما تخليهمش يضحكوا عليك.. اطلب منهم فلوس.. عشان تأكل لحمة وتقدر تشتغل، وتركت التهامى ومشيت.. ولكن التهامى لم يتركنى لم يغادر رأسى فبعض الناس كالكتاب المفتوح.. تقرأه فى ربع ساعة.. وبعض الناس كالمجلات.. يكفى أن تقرها بسرعة.. ولكن هناك آخرين كالتهامى كالكتب المغلقة.. الصفراء القديمة.. كتب مجهدة.. عاوزه قعدة.. وعاوزة قطاعة ورق.. لتفكيك الملازم من بعضها.. وقررت أن أفك طلاسم التهامى.. وعلمت أن التهامى كان سيصبح رسامًا عالميًا وأن ديزنى أرسلوا فى طلبه ولكن حظه كان أسود مثل رسوماته.. وعلمت أنه كان معارضًا لشكل برج القاهرة عند بنائه.. وكان يراه قبيحًا وكان فى خياله برجًا آخر واعلن عن رأيه هذا وذاق الأمرين فلم يكن مسموحًا فى هذا الوقت أن تختلف مع برج أو غيره أو حتى مع كشك سجاير طالما أن عليه ختم الدولة.. وعلمت أيضًا أن فى حياة التهامى.. حكاية.. وقصة حب فاشلة وخياه مروعة!!

وحينما رآنى الأستاذ رجاء.. شغوفًا بالتهامى.. متسائلاً عنه طول الوقت.. قال لى بطريقته اسمع بقى يا بنى أنت.. بلاش كسل.. خد كاسيت وروح اقعد مع التهامى.. شكلك ناوى يكتب روايه.. قلت له.. سأفعل.. وأخذتنى الحياة.. أخذنى العمل وأكل العيش ونسيت التهامى.. أنا أيضًا نسيته.. ولست أول من نسيه.. فهل غفر لى التهامى نسيانى له كما غفر للدنيا كلها أنها نسيته؟.. وحينما بكيت أمام سمير أحمد لم أكن أبكى موت التهامى.. وإنما كنت أبكى نسيانى له.. أبكى أننى أرجأته.. أجلته.. والتهامى حالة فريدة لا تتكرر ولا تتأجل.. كان يعانى ضائقة مادية رهيبة.. وكان يسأل يوميًا عن شيك بميتين جنيه.. لرسومات رسمها وتأخروا فى إرسال أجره إليه.. أتخيله وهو المتحدث الفاشل.. يتكلم فى التليفون كل يوم ويقول.. آلو.. أصل المتين جنيه يعنى.. أصل الظروف يعنى.. ياريت يعنى.. فى حديث التهامى ١٧ يعنى.. ووضع السماعة.. ومات.. على رأى تشيخوف.. ولكن الأسبوع الماضى.. أتى شاب إلى دار الهلال يسأل عن التهامى بعد موته وفى يده شيك بميتين جنيه.. عرفت بقى لماذا بكيت يا سمير؟! لأننى كنت مثل هذا الشيك الذى أتى فى الوقت غير المناسب.

الدهن فى العتاقى..

أنا أموت فى هذا الجيل.. جيل الكبار.. المخضرمين.. اللى ضحكوا طوب الأرض، خلصوا النكت وسابونا يا حول الله «ننأنأ» فى عالم الكوميديا، وجيل الكبار من كتاب الكوميديا مثل «بديع خيرى» و«على الزرقانى» و«أبو السعود الإبيارى» جيل يدهشك حقًّا وأنا أتابع الحوار والموقف الدرامى اللى يهبل الذى نسجه أى واحد منهم لا أجد نفسى إلا صارخًا يخرب بيته.. أو إلهى ينتقم منه.. أو ده مجرم وهى طريقة مصرية فى التعبير عن السعادة والإعجاب.. لأن الكاتب الكوميدى لم يسعدك فقط وإنما «عورك» لمس جروحًا جواك.. ضحك عليك وقال «كلام كبير قوى» وهو متظاهر بالبساطة والابتسام.. وهى عبقرية الضحك الراقى.. وكان من حسن حظى أن ألتقى بواحد من جيل الكبار ارتبط اسمه على طول بالضحك الذى لا يرحم وهو عمنا وأستاذنا «يوسف عوف».. كنت ألتقى به فى برنامج تليفزيونى وجاء الأستاذ على سنجة عشرة وإحقاقًا للحق أنا لا أعلم إلى هذه اللحظة لماذا ارتبط هذا التعبير «سنجة ١٠» بالأناقة؟!

فإذا قلنا مثلاً إنه لابس اللى على الحبل فالحبل مرتبط بالغسيل ومن ثم بالملابس النظيفة المكوية.. وإذا قلنا إنه لابس الحتة الزفرة.. فمن الممكن أن يرتبط هذا أصلاً بجاكيت جلد النمر أو جلد التمساح وهذا أصل الزفارة..

وإذا قلنا مثلاً إنه جاى «عاملهم» فهى إشارة مبهمه لشدة اهتمامه بنفسه ومن هنا تأتى «متأنتك».. و«متشيك».. وفى الأحياء الشعبية يقولون «مروش نفسه».. إلا سنجة عشرة هذه.. فالسنجة على حد علمى مرتبطة بالترام القديم وكانت دائمًا ما تقع السنجة وينزل الركاب ليساعدوا الكومسارى فى رفعها إلى وضعها الطبيعى.. كان هذا طبعًا فى العصور الغابرة.. حينما كان الناس يعاونون بعضهم بعضًا وقبل ظهور تعبير «وأنا مالى يابا» الذى أصبح من الألفاظ الشائعة.. هذا بالنسبة للسنجة.. أما بالنسبة للرقم عشرة بالتحديد.. فلا أدرى مغزاه.. وهل إذا كان مثلاً على سنجة ٩ يعد هذا إقلالاً من شأن الشياكة.. هذه يجيب عنها الأستاذ «يوسف عوف» لأنه هو السبب فى انسكاب هذه الأفكار الغريبة وغير الطبيعية فى مخى لحظة أن رأيته على سنجة عشرة.. وأصر الأستاذ أن يتصور واقفًا وقال لى هامسًا.. حتى تظهر الجاكيت بكاملها والبنطلون أيضًا.. ولحته يناقش المصور على

انفراد فى إمكانية أن يظهر الشراب أيضًا إذا ما كانش فيها تكليف يعنى.. ولكن لسوء الحظ كان قدرنا أنا وهو أن نسجل الحلقة جالسين متجاورين وهمس الأستاذ قائلاً.. أنا لا أحب الجلوس فى التصوير ذلك لأن بوادر الكرش قد بدأت فى الظهور رغمًا عن أنفى وحينما أجلس يخيل لى أحيانًا أننى فى الشهر الخامس من الكرش.. أما الوضع واقفًا فيظهر الرشاقة والقوام الممشوق مما يجب أن يتوافر فى أى مطرب.. واندهشت متسائلاً موليير سيغنى!! وأجاب فى ضيق من اندهاشى وليه لأ.. أنا صوتى أحسن من كل الأصوات اللى أنت سامعها دى.. أنا مشكلتى بس الفرصة.. قلت له بقولك إيه.. احنا مش ح نتكلم فى المغْنَى.. احنا عاوزين نتكلم فى الضحك.. مين المسئول عن أزمة الضحك.. نكلم مين؟! قال لى نكلم روحنا لو كل واحد وقف يكلم نفسه فى الشارع.. مش ح يبقى فيه أزمة فى الضحك.. قلت له يا أستاذنا أنت متهم بأنك أضعت هيبة الإذاعة المصرية وجلالها ببرنامجك الشهير ساعة لقلبك.. فضحك وقال لى: هل تعلم أن حزب الغم والنكد كان رافضًا لبرنامج ساعة لقلبك لهذا السبب، قلت له كنتم تملأون الحياة المصرية بالبهجة والمرح فى الخمسينيات والستينيات أين ساعة لقلبك فى التسعينيات؟! قال لى

ضـاحكًا.. كل حـاجة غليت شـوف الساعـة من تلاتـين سنة كانت بكام الوقت بقت بكام.. وشـوف السـاعة زمـان كانت كـام دقـيـقـة والوقت بقت كـام دقـيـقـة.. وأضـاف فـى جـدية شـوف.. الكاتب النهـاردة هو المسـئـول الأول عن أزمـة الضـحك ولكن ظروفًـا أخـرى أيضًـا.. إيقـاع الحـيـاة.. الظروف الاقتصادية، أما الممثلون فنحن نملك أعظم ممثلين كوميديا فى الدنيا.. ولن نعبر الأزمة إلا بالبسمة.. حينما حـاورت «يوسف عوف» عـرفت أن العـمل رسـالة وأنه أحب أن يحـملهـا طوال عـمـره الفنى وعـرفت أيضًـا أنه هاوى ضحك وأنه غاوى يجيب (الأفـيه) من الهوا.. ولكن الشىء الذى عرفته أيضًا والأهم أن «يوسف عوف» يمتلك رصيدًا ضخمًا من الضحك الراقى رفيع المستوى ولكنه أودع هذا الرصـيد فى بنوك سـرية ولا يخـرج منه إلا بالقطارة وكل حين ومين.. ولهذا قررت أن أفضحه أمام جمهوره ومحبيه حـتى يتكاثروا عليـه ويرسلوا له خطابات تهـديد إمـا أن يخـرج لنا المزيد والمزيد من الأعـمـال الفنيـة الكومـيـدية الجميلة وإما.. أنت عارف..

شنطة يوسف عوف

دائمًـا فى يده شنطة جلدية أنيـقـة.. مـعـه فى كل مكان.. فى الأوتيل الذى يكتب فيـه.. فى الشـارع وحـتى حينمـا أقـابله فى بيت سـمـيـر خـفـاجى لا تفـارقـه هذه الشنطة.. إذا جالى صداع ينظر لى نظرته المليئة بالحنان ويقول لـى.. استنى.. ويعطينى اسبرينايه مستوردة ويقول فى خبره.. خد دى..

وإذا كانت نفسى فى فنجان من القهوة.. أطلبها من الجرسون.. فيقول للجرسون.. استنى.. ويخرج علبة بن محوج مخصوص من الشنطة و.. اعمل لنا فنجانين من البن بتاعى.. وكان هو نفسه مثل شنطته حالة دائمة من العطاء المتـواصل.. إنه الكاتب السـاخـر النجم الذى لم يتـوقف طوال رحلتـه الشـاقـة عن أن يمد يده.. ويغـمـزك بحاجة.. كان هو نجمى المفضل وأنا طفل صغير.. لم أكن أتمنى أن أتصـور مع أى من النجوم.. كنت أحلم بصـورة معه وتوقيع فى الأوتوجـراف وكانت أول غمـزه يغمـزنى بهـا.. تسللت عبر أذنى.. من خلال مـيكروفون الإذاعـة..

وهو يقدم لنا ساعة لقلبك.. ساعة حظ مليئة بالبهجة.. والضحك.. ساعة حظ لا يمكن أن تعوض وكانت المرة الأولى التى أراه فيها.. حينما جاء ليشاهد أولى مسرحياتي.. ووقفت في الظلام أراقبه هو وحده.. أنا لا يهمنى سوى رأيه.. إنه الذى سيعطينى الدرجة.. كان يتابع المسرحية كطبيب يضع سماعته على قلب مريض.. وأنا أروح وأجىء فى قلق.. ح يعيش واللا مش ح يعيش يا دكتور.. فيه أمل.. أبوس إيدك.. طمّنى.. وخرج من غرفة العمليات- المسرح- وفى يده شنطته إياها التى لاتفارقه وأنا واقف أمامه.. أنتظر نتيجة العملية.. لم يفعل شيئًا.. لم يقل شيئًا فتح شنطته وإدانى باكو لبان..

فى التليفزيون كانوا يصورون معه برنامجًا.. أغنية وتعليق.. قالوا له يا ظالمنى.. فأهداها إلى المخرج الذى بوظ له روايته قالوا له.. بعيد عنك حياتى عذاب.. فأهداها إلى فؤاد المهندس.. وحينما قالواله.. يحميك يا بنى تبقى غالبنى قرب خدلك حته ملبن.. فوجئت به يقول.. أهديها لابنى يوسف معاطى.. ولم أصدق نفسى.. وأخذت اتنطط فى الحجرة وحدى كالمجنون..

والتقينا ذات مرة بالصدفة.. وأنا كلما رأيته.. ألبدله.. ألزق له إنها فرصة بالنسبة لى لا تعوض.. قال لى أنت بتأخذ كام يا معاطى فى الرواية قلت له كذا قالى أنت عبيط يا معاطى.. أنت تستاهل قد كده ثلاث مرات.. اطلب وحتاخد.. ده حقك.. احنا غلابة يا بنى.. معقولة.. نضحك الناس.. والمنتجين يضحكوا علينا.. وكانت نفحة أخرى من نفحاته.. من شنطته التى لا تفرغ.. وطلبت الأجر الذى نصحنى به وأخذته.. وعلمت بعد ذلك أنه نصحنى أن أطلب نفس أجره.. كان يساوينى بنفسه!!! تصوروا؟!!

ومرة أخرى التقينا فى ندوة عملتها لنا مجلة عربية كبرى.. كان الموضوع كوميديا الرواد وكوميديا الشباب.. وكان هو أكثر شباباً منى وأكثر تجديداً.. وباظت الندوة.. من كثرة الضحك.. وتعرضت فى الندوة لهجوم حاد من البعض.. ولم يعطنى هو الفرصة لأدافع عن نفسى كان هو الذى يدافع عنى وقال عن نفسه أنه كان ينحت فى الصخر.. ولكننى أنا وجيلى نحرث فى الماء.. وأن مهمتنا أصعب.. ثم قال دلعوا المؤلف الكوميدى.. ماتسدوش نفسه.. كل هذا وأنا جالس بجواره فى الندوة.. كأننى فى

حلم.. هل أنا فعلاً.. أجلس بجوار يوسف عوف وشردت بعيداً وأنا لا أصدق أننى أعيش هذه اللحظة التاريخية.

وأفيق من شرودى عليه وهو يخرج شيكولاتاية من شنطته ويغمزنى بها.. مالك يا بنى سرحان فى إيه.. كله كويس إن شاء الله.. وأخيراً.. فى رمضان الماضى.. ذهبت إليه كعادتى أطلب.. فلقد تعودت معه على الطلبات الكثيرة.. وهو لا يتوقف عن تدليلى وإجابة كل طلباتى قلت له عاوزك فى برنامج السنيد يا أستاذ.. عدل طاقيته الصوف الجميلة وقال لى.. لو طلعت معاك كده ولا بنت ح تبص لك.. قلت له ماشى يا أستاذ.. أنا قابل.. بعد اللقاء.. سألته وأنا أنظر إلى شنطته بدناوه.. إيه مفيش حاجة.. قال لى.. إنت فاطر ياد إنت.. قلت له لا والله صايم.. تجيلى بعد الفطار ياللا.. قوم وصلنى.

وحين قرر الأستاذ حمدى الكنيسى أن يعيد ساعة لقلبك للإذاعة مرة أخرى كلم المعلم الكبير الأستاذ طبعًا.. وإذا به يقترح اسمى لأشاركه فى ساعة لقلبك.. وفى الطريق قلت له.. ح نعمل إيه بس يا أستاذ.. بعد النجاح الساحق لساعة لقلبك والدكتور شديد والخواجه بيجو..

وفهلاو.. والشخصيات التحفة المحفورة فى وجدان الناس.. بقولك إيه يا عم.. أنا حاسس أن أنا ح أقع.. أنا مقدرش على ساعة لقلبك.. قال لى مازحًا لو مش قادر على ساعة لقلبك.. أكتب ربع ساعة لقلبك على قدك ولم أجرؤ أن أكتب حرفًا طبعًا.. ولا ثانية لقلبك.

قال لى سمير خفاجه.. الظاهر يوسف عوف جاله تسمم.. ونقلوه المستشفى.. وجريت مذعوراً.. تسمم!! من إيه.. إنه يأكل كما يكتب.. ينتقى ويختار وإنف أنافه ليس لها مثيل.. ولكنه لم يكن تسمم.. كان فى العناية المركزة.. وممنوع من الزيارة.. لم أحفل بكلمة ممنوع هذه.. ونحيت الطبيبة التى فتحت الباب جانباً وقلت لها سأدخل.. قالت لى.. إنه لا يشعر بأحد.. قلت لها.. أنا لا أريده أن يرانى.. فهو الذى رأنى طوال السنين الماضية.. وإنما أنا الذى أريد أن أراه ..

دخلت.. ورأيته.. وتلفت حولى.. باحثًا عن الشنطة.. وحينما لم أجدها.. انفجرت فى البكاء.. لا لم يكن بالنسبة لى فقط مؤلفًا عظيماً.. وكوميديانًا فريداً.. كان أبى.

محدش عبيط

من يذكر ممن؟ هل نحن نذكر من شعبان أم أن شعبان هو الذى يذكر منا.. هل يذكر شعبان من نفله ليذل باب الذكرية عليه.. أم نحن الذين نذكر من أنفلنا فى صورة شعبان؟ الچاكتة اللى لون الانتريه.. والقماش اللى مراته جايباهوله من الوكالة.. والمكواه التى يهددنا فى مرارة بأن يعود إليها إذا لم ينصلح حال الفن.. يظل يقول هذا وننفجر جميعًا فى الضحك فى هذه الليلة «الطحن» التى سذ لمع فيها شعبان.. والتى يتـ لـابق فيها أولاد الذوات وشباب الجامعة الأمريكية لكى يلمعوه أو بتعبير أدق.. لكى لا يلمعوه وإنما لكى «يتفرجوا عليه».. وشعبان «المكين» مذعور دائمًا وسايق الهبالة على الشيطنة.. فهؤلاء المثقفين الذين يحاورونه ويعملون له الأحاديث الصحفية والتلفزيونية هو يعلم أنهم ليـ لوا مؤمنين به ولا يحبونه.. ويعلم - كابن بلد صايع- أنهم أتوا به إلى هنا أمام تلك الكاميرات اللعينة لكى يتمهزأوا به ولكنه فى الوقت نف له يعلم أنهم ناس مهمين.. وناس كبيرة.. هو أيضًا لا يعلم هما مهمين فى إيه.. وإنما بفتاكة ابن البلد لازم يعدى الليلة.. عشان اللقمة ما تنتظرش.. ولذا قرر شعبان بحداقة ألا يدافع عن نفـ له وأن يتقوقع داخل ذاته.. ويقولك.. أنا كده.. أنا أهوه وإن كان عاجبكوا وإذا سأله أحدهم سؤالاً أحس فيه بنية غدر.. يشّغل الشعوذة.. ويرد ردودًا عبثية تبدو كأنها تلقائية.. ولكنها شديدة التعمد..

وكل من يحاور شعبان يتصور أنه وجد فرصة لا تعوض.. ولقمة طرية.. وأنه يجب حتى يجعل الموضوع كوميديًا.. أن يشتغله.. والواقع أن شعبان - بالحداقة سالفة الذكر - هو الذى يشتغله ويشتغلنا كلنا.. ونحن هنا لسنا بصدد تقييم شعبان.. فهو مصر على أن يروشنا حتى لا يعطينا الفرصة لأن نقيّمه.. على الأقل خوفًا من أن ينفذ تهديده ويرجع للمكواه تاني.. ولكنه يجب أن يعرف أنه إذا ظل يغنى بهذه الطريقة لسنوات قادمة.. إحنا اللى ح نشتغل مكوجيه كلنا وشعبان يجب أن يعلم أن الغناء الشعبى من أرقى وأمتع الفنون على الاطلاق.. وأن سيد درويش هذا الذى لو سألته عنه في حوار تليفزيوني.. سيستعبط ويقوللى يبأه مين الباشا.. وأنا واثق أن شعبان يعرفه جيداً.. سيد درويش هذا كان شعبيًا لدرجة أنه بعد أن مات قال عنه أحد الموسيقيين التافهين «لقد مات الهلس فى الموسيقى» وعندما جلس سيد درويش على التخت رموه بالطوب وظلوا يرمونه بعد ذلك كثيراً.. واليوم ها هو الزمن ينحنى أمام عبقريته الفذة.. فالشعبية يابو الشعب ليست حاجة أوريچينال فرجة يسعد بها الطبقة الهاى.. على رأى سمير غانم حينما قال لشيرين فى «المتزوجون» : «إبقى هاتى ماما وبابا واخواتك وقوليلهم تعالوا نزور الخرابة».. أنا أعلم يابوخميس أنك فى حالة من الاندهاش وأنك مهزوز وأن هذه الهيصة التى حولك أربكتك ولكن صدقنى.. اهدأ.. وتأمل.. وخد نفسك - بالطريقة التى تحلو لك - وفكر..

فالمغنى الشعبى يجب أن يفكر برضه.. وأنت لم يرمك أحد بالطوب.. كما فعلوا مع سيد درويش وإنما أمة لا إله إلا الله التفت حولك.. فلا تعمل مثل «الكاميرا الخفية المفبركة» ابحث عن أغنية شعبية حقيقية.. ودعك من الأحاديث والإعلام والمائل دى.

اسمع كلامي ولا تكرهنى كما تكره إسرائيل.. فأنت حينما غنيت قائلاً: أنا باكره إسرائيل كان هناك احتمالان الأول أنك مطرب هلس وبتهزر ولاتعنى ما تقول وهذا الاحتمال أنا أرفضه بدليل أننا تعاطفنا معك ورددناها معك.. الاحتمال الثانى أنك راجل بليط قلتها كده من قلبك بكل تلقائية بلا فللفة مثل كل مواطن مصرى فصرت نجماً فى لحظة.. طيب.. هل تذكر يا شعبان من الرجل الذى يكره إسرائيل؟ وهل تذكر أنت من نفسك وتصبح أضحوكة وأنت الذى قلت أنا باكره إسرائيل.. إن هذا يسعد إسرائيل جداً على فكرة.. وأنا مثلك يا شعبان باكره إسرائيل وبحب مصر قوى ولذا أرجوك.. اطلع من الصورة.. أخرج من الكادر.. حتى لو أغروك أو هددوك.. فمصر لم يعد فيها أم كلثوم ولا عبد الوهاب ولا عبد الحليم ولا العقاد ولا طه حسين ولا توفيق الحكيم فإذا كنت تحبها مثلى.. لا تدعهم يذكرون.. ولا تشاركهم الذكرية فأنت قدرنا.. شئنا أم أبينا.. وأشد أنواع الذكرية مرارة هى سكرية القدر .

تيجوا . . نعمل دماغ . . ؟

يتوافد أفراد الشلة واحداً بعد الآخر.. تبدأ القعدة بعد العاشرة مساء تحت التكعيبة.. فوق سطوح التاجر الثرى.. كل لوزام الأنس موجودة.. منقد الفحم ثلاث أو أربع شيش.. «جمع شيشة» وأطباق الفاكهة المغسولة التى تبرق فى الظلام أغلبها يوسفى ليس تحيزاً لى ولكن لأنه سهل التقشير وحلو فى ليالى الشتاء الباردة.. الكل وصل.. واتسلطن.. إلا هو.. عفيفى.

من عفيفى هذا؟ إنه قطعة السكر اللى فى القعدة.. إنه على حد تعبيرهم.. واد مسخرة.. تخرج فى معهد الفنون المسرحية قسم التمثيل.. ولكن ليس له حظ برغم انه ابن حظ.. يتساءل الجميع.. عفيفى اتأخر.. حد يبعت يجيبه.. يقول التاجر الثرى لأحد صبيانه.. خد ياد العربية وروح هاته.. يذهب الواد بالسيارة الفارهة إلى مجاهل منطقة شعبية ويقف تحت بيت عفيفى وينادى عليه.. يا عفيفييه.. عفيفوووه.. يطل عفيفى ببيچامته المزقة.. ويطل من البيچاما فقره وحالته التى تصعب على الكافر.. ويقول فى ألاطة.. أستاذ عفيفى يا حيوان!! نازلك.. يضحك الصبى لقد بدأ عفيفى ليلته.. يرتدى عفيفى ثيابه ليذهب إلى الجمع الذى فى انتظاره.. ثياب الخروج اسوأ حالاً من بيچامته

ا ل لالفة الذكر.. يفتح باب اليارة فى عنطزة ويجلس فى الخلف اطلع يا سواق.. يضحك الصبى.. فهو أيضاً أحد المريدين والمتيمين بعفيفى.. تحت التكعيبة.. الكل ينتظرعفيفى.. يشربون المزاج ولكن بلا مز اج.. يلمعون صوته آتياً من الخارج.. ومثل دخلة النجوم تماماً على خشبة الملرح.. يتكلم قبل أن يكش.. بس كبله.. امل ك يا بنى الجماعة المالطيل دول.. هأهأ.. يضحكون.. يقول التاجر الثرى بمنتهى الإعجاب.. أهو جه ابن الجنيه.. الله يلعن شيطانك!!! يلتقبل عفيفى فى دخوله بعاصفة من الضحك بدون أن يقول شيئاً.. إنه الرصيد.. رصيده عندهم.. يكطف النارجيله فى جرأة من التاجر الثرى ويضعها فى فمه بلا استئذان ويقول.. عشان يبقى صباحنا فل بس يقول أحد الجالين.. العود أهوه مش ح تلمعنا حاجة يا بنى أنت.. يجيب عفيفى فى بجاحة اسند قلبى الأول احلن بقالى أسبوع ما حطتش لقمة فى بقى.. أخبار اللحمة إيه.. يقول له التاجر الثرى ما أنت ضارب كيلو ونص كباب لوحدك يابن الكدابة.. إمبارح بلليل.. يقول عفيفى.. شوف يا أخى الأيام بتجرى بلرعة إزاى.. ويعلو صوت الضحك.. يأخذ العود.. ويغنى.. شفتى بتاكلنى أنا ف عرضك.. خليها تللم على خدك.. وتبدأ الليلة.. عفيفى.. ح يلكن.

لا يترك عفيفى جملة إلا ويعلق عليها تعليقاً ساخراً.. ذكياً بعض الأحيان، وأبيحا فى أحيان أخرى لكن سرعة

بديهته.. معجزة.. حقًا.. دموع.. دموع تنهمر من الأعين من فرط الضحك.. ويقول التاجر الثرى صاحب الليلة الذى كاد قلبه يتّوقف من الضحك.. كفاية.. كفاية.. يابن الـ.. قتلتنى.. آه.. ده أنت مفترى.. يخرب بيت أهلك يا عفيفى..

هكذا احتل عفيفى كل انتباه القعدة وصار نجمها الأوحد.. والحشيش ليس له طعم من غير عفيفى.. ويسأله أحد البهاوات الجالسين وأيه أخبارك ياد ياعفيفى.. يضع عفيفى قدمًا على قدم فتبرز أصابعه من شرابه المقطوع ويقول.. والله الموبايل بتاعى زهقت منه.. عاوز أجيب السيلفر الجديد.. ويفاجئه التاجر بسؤال مباغت.. وأزى أمك.. وبسرعة بديهة خارقة يرد عفيفى: تالت فلبينية تمشيها.. ما بتحبهمش أبدًا مزاج عندها شغل البيت.. أو بتعبير أصح.. هو – مش مزاج.. هو – مزاج ومهنة فى نفس الوقت.. ما بتطيقش بيت مش نضيف.. إلا بيتنا طبعًا ويقطع ضحكهم الهادر حكاية ثانية لعفيفى.. كان أبويا شغال فراش فى المدرسة الابتدائى التى كنت فيها وفى مرة عملنا شغب أنا واتنين فقريين زيى.. بس دلوقت بسم الله ما شاء الله واحد سباك والثانى مبلط قيشانى.. لأ.. بقوا مراكز جامدة أصلها حظوظ.. المهم دخلنا ع الناظر ضرب كل واحد قلمين وقال لنا تجيبوا أولياء أموركوا.. روحت جارى على مكتبه ودايس ع الجرس دخل أبويا.. ما هو الفراش بتاع الناظر قلت للناظر.. آدى ولى أمرى أهوه.. وظل عفيفى هكذا نجمًا

ساطعًا جمهوره هذه الشلة وأجره أن يتعشى عشوة حلوة ويضرب له نفلين وتحمس له التاجر الثرى.. قال ذات مرة عليا النعمة الواد عفيفى ده مظلوم ومش واخد حقه.. ده لو نزل لهم ح يقعدهم فى البيت.. وذات يوم قرر التاجر الثرى أن يغامر بعفيفى وينتج له ملرحية.. وفعلها .

فى العرض الأول.. كانت مفاجأة وصدمة رهيبة.. لم يبتلم أحد فى الصالة مجرد بلمة.. كان عفيفى ثقيلاً ورخماً لدرجة لا يتصورها عقل وأخذ التاجر الثرى يضرب كفًا بكف.. اختلت الموازين.. أخذه بعد العرض قال له.. قلت لك تعمل دماغ قبل ما تطلع ع الملرح عشان تونون وتقول يا عفيفى بكرة لازم تطلع دماغك دى ميت فل.. مالك يا عفيفى.. فيه إيه.. فى اليوم الثانى لم تبدأ القعدة أياها فى العاشرة كالمعتاد.. بدأوها من السابعة حتى يعمل عفيفى دماغًا معتبره.. فى القعدة كان عفيفى فى أحلن حالاته على الاطلاق قال كلامًا لو حاول موليير نفله أن يكتبه لفشل.. وذهبت الشلة كلها إلى الملرح فى سيارة التاجر الثرى المنفجر فى الضحك.. آه.. كفاية.. خلى شوية للملرح يابن العفريتة.. ما تقول الشوية دول فى الرواية.. وحجزوا فى الصف الأول وطلع عفيفى على الملرح وأخذ يمثل.. الشىء العجيب أن الصف الأول فقط هو الذى كان منفجراً فى الضحك أما باقى الصالة فجلت فى وجوم لا تدرى علام يضحك هؤلاء.

وهاجم الجمهور عفيفى وقالوا انزل.. كفاية.. وكاد الثرى أن يجن.. قال لنفسه: عشر سنوات وعفيفى يقتلنى من الضحك ما الذى يحدث للناس.. الواد زى السكر.. هل الناس فايقه أكثر من اللازم؟! كان فى الرواية مشهداً يستخدم فيه المخرج ماكينة دخان ويملأ الدخان المسرح.. فى دخلة عفيفى.. وواتت التاجر الثرى فكرة جهنمية.. الدخان الخارج من الماكينة لن يكون دخانًا مسرحيًا وإنما سيكون دخانًا أزرق من الصنف اللى يعمل أحلى دماغ- يكيف الصالة كلها وسنرى.. وفعلها فى اليوم الثانى.. وبدأ الجمهور يتأثر بالدخان.. وعفيفى بقى فى الحلاوة.. وصار المسرح تكعيبة أخرى مثل تكعيبة التاجر الثرى وكان الضحك فى الصالة أشبه بالصراخ وبالصواعق وبهدير الموج وخرج الناس من المسرح وكانت هناك أكثر من حالة أزمة قلبية من فرط الضحك وقال التاجر الثرى لأصدقائه.. أه أهوه ده عفيفى.. وذهب الناس إلى بيوتهم بعد المسرح ولكنهم لم يتذكروا أى شىء.. لا الرواية ولا الضحك ولا حتى عفيفى.. وتكلف التاجر ليلتها خمستلاف جنيه «حشيش بس» ليعمل دماغ لخمسمائة متفرج وعندما حسبها وجد أنه لو ظل هكذا طول الموسم لأفلس وباع عفش بيته أغلق الرواية وعمل لعفيفى عقد احتكار مدى الحياة.. هناك تحت التكعيبة.. فوق السطوح.

أنا أعك إذن أنا موجود

الوجودية يا أعزائى ملكصها أن البرتقالة على الشجرة غير موجودة لأن أحداً لا ينتفع بها وهى على الشجرة.. ولكنها تعتبر موجودة إذا كانت على المائدة فى طبق وبجوارها سكين لأنها ستؤكل وينتفع بها.. وبناءاً على هذا لا يعتبر الشىء موجوداً إلا إذا كان نافعاً.. هذا ما كان يقوله سارتر فيلسوف الوجودية وهو جالس على مقاهى باريس يتحدث ويتفلسف حتى منتصف الليل ثم ينهض وحوله المعجبون والمعجبات دون أن ينتفع أحد بما قال.. ده بأه كلام سارتر.

والفلوس يا أعزائى.. وده بأه كلامى أنا.. تعتبر غير موجودة طالما هى فى البنوك لا ينتفع بها أحد.. ولكنها إذا خرجت من البنك وتحولت إلى قروض فهل تصبح موجودة طبقًا لكلام سارتر الواقع يقول لأ.. فالقروض لا ينتفع بها أحد إلا أصحابها طبعًا.. ونظرية الأنفع هذه نظرية محترمة بلاشك.. ولكن الأنفع لمن؟ ويحكى أن بقرة وخنزيراً التقيا ذات يوم وشكا لها الخنزير بأن الناس يفضلون البقر على الخنازير لا يعلم لماذا هذا طبعًا حدث قبل جنون البقر الأخير.. وقال الخنزير شاكيًا أو حاقداً.. إذا كانت البقرة تعطى لبنًا وزبداً وجبنًا فأنا أعطى لحمًا ينتفع به فى أشياء كثيرة.. ففكرت البقرة قليلاً ثم قالت لعل الر فى ذلك أننى

أمنحهم الخير وأنا على قيد الحياة.. وكثيرون فى حياتنا أعطونا الخير وقدموا الكثير فى حياتهم ولم يسلموا من الهجوم الحاد والتحطيم إلى أن ماتوا .. فأقمنا لهم التماثيل وخلدناهم بعد مماتهم.. عندك مثلاً جمال الدين الأفغانى هذا الداعية والمفكر الإسلامى المطارد دائمًا لم يكن له وطن يستقر به كان وطنه الشرق كله كان وطنه الناس البنى آدمين ولا يكاد ينزل ببلد حتى تقوم حريقة عليه من حكومته ومن عامته.. واتهموه بالزندقة والإلحاد ودخل السجن وذاق مرارة النفى والتشريد.. قالوا عنه إنه يتناول النشوق بيمناه ويوزع الثورة بيسراه ودسوا له السم لأنه جاهر بآراء تهدم هذه الصروح التافهة من المعتقدات والتقاليد البالية.. ومات الإمام على هذه الصورة ليتحول بعدها إلى فقرة فى كتاب التاريخ.. كنا نحفظها صم كالأناشيد لكى نطرشها بعد ذلك فى ورقة الإجابة .

وجاء بعده الشيخ محمد عبده ليلقى نفس المصير من خصومه ورموه بالإلحاد والخروج عن الدين وذات يوم جاءه شاب بائس رقيق الحال يشكو صعوبة الأحوال وضيقها فنصحه الشيخ محمد عبده بكل رزانة قائلاً: اسمع يا ابنى أنا أريد لك الخير وأنصحك أن تشتمنى وتهاجمنى فى مقالات تنشرها باسمك فيلتفت إليك خصومى وهم أقوياء فيساعدونك.. وبدأ يملى عليه شتيمته بنفسه، وعمل الطالب الفقير بنصيحة الإمام فهاجمه فى الصحف وانضم إلى خصومه وحصل على منصب مهم.. وكان الشيخ محمد عبده يروى هذه القصة ثم يضحك قائلاً: والعجيب أن

صاحبنا بعد أن وصل إلى غايته ظل يهاجمنى بحرارة كأنه يؤمن بما يقول .

وسيد درويش العبقرى الخالد الذى لم توهب الموسيقى الشرقية فنانًا مثله.. صنع المعجزات الموسيقية وكانت ألحانه الخالدة من أقوى عناصر الثورة المصرية وعندما جلس على التكت رموه بالطوب وظل يرمى بعد ذلك كثيراً.. وكانت جنازته خاوية.. متواضعة ولم يكتب أحد من الشعراء الذين صالوا وجالوا فى مدح أى حد معدى قدامهم.. كلمة عن سيد درويش.. إلا بعد عشر سنوات من رحيله حينما عاد فجأة إلى الحياة والوجود.. واليوم ينحنى الزمن خاشعًا أمام عبقريته الفذة.

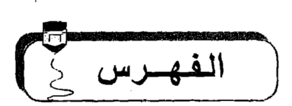
فعذراً يا سارتر.. هؤلاء النافعون كانوا جميعًا برتقالاً على الشجر وليلوا على أطباق كما ذكرت.. وصار وجودهم حقيقة ملموسة بعد رحيلهم بزمن طويل..

وما رأى سيادتكم بأه فى برتقالة موجودة على طبق وبجوارها سكين وما إن تقترب منها تجد أنها برتقالة بلاستيك لا ينتفع بها.. وما رأى معاليك لو كانت هى الوحيدة الموجودة.. خلاص يا عزيزى لم تعد الفللفة لها مكان فى حياتنا.. أنا أشك إذن أنا موجود أنا أفكر إذن أنا موجود.. هذا كلام ناس فاضية.. خذ دى عندك (أنا أعُك إذن أنا موجود).

سمعت شريط شعبان الأخرانى ؟

ما سمعتوش ؟

إذن أنت مش موجود ..


الفهرس

رقم الإيداع ٢٠٠١/١١٧٨٧

الترقيم الدولى ISBN 977-01-7353-3



بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة او مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الابن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن على التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك

الثمن ٢ جنيهاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

